وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة زيان عاشور الجلفة

مخبر جمع دراسة و تحقيق مخطوطات المنطقة و غيرها

مجلة التراث مجلة دولية دورية محكمة يصدرها

مخبر جمع دراسة و تحقيق مخطوطات المنطقة و غيرها

العدد 06 السنة 2013

عدد خاص بالملتقى الدولي الثاني لمناهج تحقيق المخطوط بين العرب والغرب

المنعقد بجامعة الجلفة يومي 14 و 15 أفريل 2013

ISSN: **2253-0339**

الإيداع القانوني:1934-2011

الرئيس الشرفي :

أ.د شكري علي رئيس جامعة زيان عاشور الجلفة

مدير المجلة :

د.لحرش أسعد المحاسن

رئيس التحرير :

أ بشيري عبد الرحمن

الهيئة العلمية:

أ.د بوزيدي كمال	**جامعة الجزائر**	**د.سناء الباروني**	**جامعة جندوبة تونس**
أ.د بوغزالة محمد الناصر	**جامعة الجزائر**	**د.بن داود ابراهيم**	**جامعة الجلفة**
أ.د عبد القادر بن حرزالله	**جامعة باتنة**	**د.حمادي نورالدين**	**جامعة الجلفة**
أ.د سعيد فكرة	**جامعة باتنة**	**د.فشار عطاالله**	**جامعة الجلفة**
أ.د خير الدين سيب	**جامعة تلمسان**	**د.عزالدين مسعود**	**جامعة الجلفة**
أ.عبد الستار عبد الحق الحلوجي	**مصر**	**أ.هزرشي عبد الرحمن**	**جامعة الجلفة**
د.عز الدين بوكربوط	**جامعة الجلفة**	**أ.شلالي رضا**	**جامعة الجلفة**
أ.د العوفي عبد الكريم	**جامعة ام القرى**	**أ.درماش بن عزوز**	**جامعة الجلفة**
أ.د عمر أنور الزبداني	**قطر**	**أ.صدارة محمد**	**جامعة الجلفة**
أ.د ذياب البداينة	**الأردن**	**أ.بن حفاف اسماعيل**	**جامعة الجلفة**
د.محمود محمد زكي	**مصر**	**أ.معيزة عيسى**	**جامعة الجلفة**
د.دهينة نصيرة	**الجزائر**	**أ.شريط محمد**	**جامعة الجلفة**

قواعد النشر في المجلة

تصدر مجلة التراث في شكل دوري ضمن الميادين التي تعنى بالبحوث و الدراسات الاجتماعية والانسانية من كافة الأساتذة باحثي الجامعات و يشترط في الدراسات و الابحاث المراد نشرها ما يلي :

- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر في أي مجلة أو جزء من كتاب أو مذكرة أو أطروحة .
- أن يلتزم الباحث بالمنهج العلمي و الموضوعية و الأصالة
- تقدم المقالات مكتوبة فيما لا يتجاوز 20 صفحه متن 16 نوع الخط (traditional Arabic) .
- أن تكون الهوامش في أخر الدراسة ، حجم الخط 14.
- أن يكون البحث مكتوبا بالآلة مع ارفاقه في شكل قرص و تكتب أسماء الباحثين و رتبهم العلمية والجامعة التي يعملون لديها .
- تخضع الأعمال المرسلة الى المجلة للتحكيم قبل نشرها
- ترتب الموضوعات وفق اعتبارات فنية
- ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه ،و لا يمثل رأي المجلة بالضرورة
- ترسل البحوث و جميع المراسلات الخاصة بالمجلة الى مخبر جمع دراسة و تحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها

فهرس الموضوعات

1 أحدث مناهج تحقيق المخطوطات تظبيقا على أول موسوعة طبية في تاريخ الإنسانية

د خالد حربي جامعة الاسكندرية مصر ص 04

2 إسهام المحققين العراقيين في تحقيق كتب التراث مصطفى جواد أنموذجا

أ.د. وجدان فريق عناد جامعة بغداد ص 24

3 النص التراثي وإشكال تعاقب التحقيقات،(دلائل الإعجاز) لعبدا لقاهر الجرجاني نموذجا.

أ د. عبد الله الرشدي دار الحديث الحسنية، الرباط المملكة المغربية ص 37

4 التجديد في مناهج تحقيق النصوص. دراسة تطبيقية من خلال مخطوطات علم القراءات

د. يوسف بن مصلح بن مهل الردادي المدينة المنورة ص 58

5 جهود محمد بن شنب ومنهجه في التحقيق

د/محمد زيوش– جامعة الشلف– ص 78

6 مناهج تحقيق كتب تراجم النحاة:

د. حسن خميس الملخ جامعة آل البيت– الأردن ص 89

7 الأسس العامة لمناهج تحقيق نصوص المخطوطات عند بعض العلماء العرب

أ.د.خديجة زبار عنيزان جامعة بغداد ص 109

8 من أجل مقاربة جديدة لتحقيق المخطوط

د. لطيفة عبّو جامعة تلمسان ص 125

9 إسهامات المحققين الغربيين في إحياء التراث العربي الجغرافي والرِّحلي

د. سميرة أنساعد أستاذة محاضرة جامعة الشلف ص 131

10 وثائق نقل المعارف عند المسلمين وعنـاية المستشرقـين بها

د.عزالدين كشنيـط المركز الجامعي تامنغست ص150

11 مناهج تحقيق المخطوطات لدى العرب والغرب: الاتفاق والافتراق

د. محمود مصري جامعة اسطنبول ص 165

12 طرق ومناهج تحقيق التراث والمخطوطات التاريخية «مخطوط رحلة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني إلى الحج (1189هـ– 1775م)» أنموذجاً

د. خيرالدين شترة جامعة المسيلة ص 176

أحدث مناهج تحقيق المخطوطات

تطبيقا على أول موسوعة طبية فى تاريخ الإنسانية وأهمها

دكتورخالد حربى جامعة الاسكندرية

انتهيت في دراسات وتحقيقات وترجمات سابقة إلى أن أبا بكر محمد بن زكريا الرازي (250 – 313هـ - 864 – 925م) أبرز أطباء الحضارة الإسلامية ، وطبيب المسلمين بدون منازع ، وأبا الطب العربي ، وجالينوس العرب ، بل وحجة للطب في العالم منذ زمانه القرن الثالث الهجري ، وحتى القرن الثامن عشر للميلاد ، ففي خلال هذه القرون الممتدة ، كانت مؤلفات الرازي الطبية والعلاجية تشكل أساساً مهماً من أسس تعليم طلاب الطب في جميع أنحاء العالم ، وذلك إنما يرجع إلى الإسهامات الطبية والصيدلانية ، والبحثية والتعليمية الأكاديمية الرائدة التي قدمها الرزاي ، وعبرت بحق عن روح الإسلام وحضارته إبان عصورها المزدهرة ، وعملت على تقدم علم الطب، وأفادت منها الإنسانية بصورة لا يستطيع أن ينكرها مُنكر.

تضمنت أعمالي المنشورة في الرازي كثيراً من إنجازاته وابتكاراته تلك التي شكلت لديّ (حزمة) من المبادئ والآراء والأفكار والنظريات الرازية التي لم تكتشف من قبل ، فتم اكتشافها باعتبارها إضافات جديدة في بناء مذهب الرازي ، وحجم الطب العربي الإسلامي ككل . وقد أفدت إفادات جمة بتلك الدراسات والتحقيقات في منهجي لتحقيق " **الحاوي في الطب** " كأعم وأهم وأضخم موسوعة طبية في الطب العربي الإسلامي ، بل في تاريخ الطب الإنساني كله . ولعل هذا ما يفسر استمرار العمل في تحقيق الحاوي من سنة 1995 وحتى سنة2012 .

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتبحث بصورة شمولية في الرازي وانجازاته ، وكيف يمكن أن تعد هذه الإنجازات وصاحبها ، مدرسة طبية أفادت الإنسانية .

إن تصوري لدراسة مآثر وتراث علماء الحضارة الإسلامية يتطلب أن نناقش بصورة فاعلة عدة محاور رئيسة تتمثل في التساؤلات الآتية :

- ما الصورة التي وصل إليها العلم في عصر هذا العالم أو ذاك ، وما موقفه منها ؟
- ما المقدمات المعرفية والمنهجية التي انطلق منها ؟
- ما المنهج الذي اتبعه للوصول إلى ما وصل إليه ؟
- ما طريقته في الدرس العلمي ، أصولها ومميزاتها ؟
- ما مدى تأثيره في تلامذته وعلماء عصره ، وما خصائص التقاليد العلمية التي أرساها ، وأثرها في الأجيال اللاحقة ؟
- ما الحجم الحقيقي لانجازاته العلمية ، هل استطاع تحقيق إنجاز علمي تميز عن إنجازات السابقين، وأثر في اللاحقين ؟

أسئلة منهجية وجوهرية حاولت الإجابة عليها في **منهجي لتحقيق الحاوي** كأول وأعم وأهم موسوعة

طبية في تاريخ الإنسانية, ذلك **المنهج** الذى تضمن الأعمال والمراحل التالية:

1- أبو بكر الرازى حجة الطب فى العالم منذ زمانه

وحتى العصر الحديث

الطبعة الأولى ، دار ملتقى الفكر ، الإسكندرية 1998 ، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.

دراسة ، تناولت حياة الزارى وعصره ، وقوام المعرفة الطبية ، والنظرية الطبية التى سادت فى ذلك العصر ، وذلك بغرض الوقوف على المنطلقات المعرفية التى انطلق منها الرازى ، وقد استدعى ذلك دراسة مجالس التعليم وطريقة الرازى فى الدرس الطبى ، النظرى والعملى ، وانتهيت من كل ذلك إلى أهم سمات العمل العلمى عند الرازى. كما تعرضت الدراسة لإنجازات الرازى فى التأليف الطبى كالحاوى ، والمنصورى ، وبُرء ساعة ، وجراب المجربات وخزانة الأطباء ، وكتاب التجارب ، وكتاب سر صناعة الطب ، والجدرى والحصبة ومقالة فى النقرس ، وعرجت من ذلك إلى منهج البحث العلمى عند الرازى من خلال دراسة معالم المنهج التجريبى ، وهى الملاحظة والتجربة وفرض الفروض وتحقيقها ، ثم استكشاف تلك المراحل عند الرازى . وكذلك الكشف عن منهج الرازى فى التشخيص والعلاج ، وذلك من خلال عدة نقاط هى : التشخيص العام ، الرازى رائد نظرية التشخيص التفريقى ، المعالجات النفسية والخروج على قسم أبقراط ، والوقاية فى إطار منهج الرازى .

2- بُرء ساعة

الرازى ، بُرء ساعة ، دراسة وتحقيق خالد حربى ، الطبعة الأولى ، دار ملتقى الفكر، الإسكندرية 1998. الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

تعد مخطوطة "بُرء ساعة" للرازى بادرة أعمالى فى مشروعى التراثى الذى أتبناه تجاه تحقيق ونشر مؤلفات الرازى التى مازالت مخطوطة. وقد نشرت النص المحقق لهذه المخطوطة – الصغيرة الحجم والبالغة الأهمية- فى عام 1998 بعد أن نشرت دراسة مستفيضة فى الرازى وأثره فى تاريخ الطب العربى والعالمى وذلك فى الأعوام السابقة لنشر "بُرء ساعة" .

فى الطبعة الأولى اجتهدت فى تقديم أقرب وأدق نص وضعه الرازى وذلك عن طريق استيعاب وفهم نص المخطوطة ، ثم مقابلة النسختين المعتمدتين فى التحقيق ، وذلك بغرض تلافى أخطاء النساخ ، خاصة وأن النسختين لم تنسخ واحدة منها الأخرى ، وبالتالى فإن الخطأ الواحد لا يتكرر فى النسختين إلا فى القليل النادر ، وكل ذلك من أجل الوقوف على أقرب نص صحيح للكتاب وبعد ذلك تم استيفاء جميع خطوات منهج التحقيق عبر صفحات الكتاب .

وفى الطبعة الثانية ، أضفت بعض المعلومات الجديدة التى اختمرت عندى على مدار سنوات صحبتى للرازى وكتبه كما صححت بعض المواضع وعدّلت بعضاً آخر بهدف تحقيق الغرض الذى خرجت هذه الطبعة من أجله ، وهو الكشف عن وثيقة من أهم وثائق الطب العربى إبان عصور ازدهاره لاسيما وأن صاحبها يُعد – باعتراف الغربيين- حجة للطب فى العالم منذ زمانه وحتى العصور الحديثة.

3- جراب المجربات وخزانة الأطباء

الرازى ، جراب المجربات وخزانة الأطباء ، دراسة وتحقيق وتنقيح خالد حربى ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002 ، الطبعة الثانية دار الوفاء الإسكندرية 2005.

موسوعة طبية متكاملة – فى غاية الأهمية- للعلاج بالنباتات الطبيعية والأعشاب لكل الأمراض المعروفة فى عصر الرازى ، والتى يمكن أن تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم .

وقد ظل هذا الكتاب مجهولاً إلى وقت قريب ، حتى وفقنى الله لتحقيقه ونشره باعتباره وثيقة هامة جداً من وثائق الطب العربى الإسلامى المزدهر ، وباعتباره أيضاً أحد مخطوطات الرازى الذى أتبنى تجاهه مشروعاً تراثياً يهدف إلى تحقيق ونشر ما تبقى من مؤلفات الرجل المخطوطة.

وإذا كان الهدف من تحقيق كتاب "جراب المجربات وخزانة الأطباء" للرازى هو الإسهام فى عملية إحياء التراث العربى الإسلامى إبان عصوره المزدهرة ، فلا شك أن ما بُذل من جهد فى سبيل تحقيقه قد جاء عن اقتناع كامل بقيمته العلمية من حيث انه يعتبر موسوعة طبية متكاملة للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبيعية لكل الأمراض المعروفة فى عصر الرازى ، والتى يمكن أن تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم. وذلك باستثناء بعض الأمراض القليلة التى ظهرت حديثاً ولاسيما مرض فقدان المناعة (الإيذر) لكن مما يبين عظمة وجدوى وفائدة الطب العربى أن هناك أبحاثاً تجرى حالياً على مفردات هذا الطب ، وخصوصاً على حبة البركة لاستخراج مادة طبيعية تساعد فى علاج هذا المرض ومن الملاحظ حالياً مدى اهتمام معظم دول العالم المتقدم بإحياء المعالجة بالأعشاب والنباتات الطبيعية ، من حيث أنها لا تترك آثار جانبية أو مضاعفات إذا استخدمت الاستخدام الأمثل ، والذى يأتى من قِبل المتخصصين فى هذا الفن ، أى الأطباء والصيدلانيين .

وعلى ذلك تتضح أهمية تحقيق وإخراج النصوص المخطوطة القديمة المتخصصة فى هذا الجانب الهام ، ولاسيما الكتب الطبية العلاجية مثل كتاب "جراب المجربات وخزانة الأطباء" موضوع هذا العرض ، حيث أرى أن مثل هذه الأعمال – أى تحقيق ونشر المخطوطات القديمة- إنما توفر الوقت والجهد للمتخصصين ، إذ أن هذا الكتاب إنما يحوى المئات من أسماء النباتات وكيفية استعمالها فى علاج الأمراض المختلفة فما على الباحثين فى الطب والصيدلة ، إلا أن يجروا أبحاثهم للتأكد مما صاغه الرازى وغيره من الأطباء القدامى ، وتقديم نتائج هذه الأبحاث فى صورة علاجية عصرية .

وقد جاء الالتزام بتحقيق هذا الكتاب أيضاً باعتباره وثيقة هامة من وثائق الطب العربى المزدهر تكاد تكون مجهولة – إلى حد ما- فلم يذكر هذا الكتاب من المؤرخين أو المفهرسين الثقات سوى خير الدين الزركلى فى مصنفه "الأعلام" ، وذلك إنما يرجع إلى خلط المؤرخين القدامى ، وكذلك بعض الباحثين المحدثين بين هذا الكتاب "جراب المجربات وخزانة الأطباء" وكتاب "التجارب" للرازى ، واعتبارهما كتاباً واحداً. ولكن بعد حصولى على النسخ المخطوطة لكلا الكتابين ، أثبت بالفحص والدراسة والتحقيق أنهما ليس كتاباً واحداً ، بل هما كتابين مستقلين ، يختلف الواحد منهما عن الآخر ، سواء فى الموضوع أو المنهج ، أو طريقة العرض أو الأسلوب .

ولعله من كل ما سبق تتضح أهمية إخراج كتاب "جراب المجربات وخزانة الأطباء" لعلم من أعلام الطب فى العالم وهو الرازى ، ولأهميته بالنسبة للمهتمين بشئون التراث الإسلامى بعامة وللباحثين فى مجالات الطب والصيدلة وتاريخهما وتاريخ العلوم العربية الإسلامية بصفة عامة .

4 – كتاب التجارب

أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، كتاب التجارب ، دراسة وتحقيق خالد حربى ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002 ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.

من أهم وأجلّ كتب الرازى ، سجل فيه مئات التجارب الطبية والعلاجية (الحية) التى قام بها بنفسه وعالج من خلالها مرضاه وبعد نجاحها دونها مفصلة فى هذا الكتاب الأشهب ، والذى ظل مخطوطاً ، لم يسبر غوره أحد من الباحثين لتحقيقه ونشره حتى عام 2005. فاتجشمت أنا عناء هذه المهمة (الهامة) ، ونشرت الكتاب بدراستى وتحقيقى ، وذلك ضمن مشروعى التراثى المعنى بتحقيق ودراسة ونشر مؤلفات أبى بكر محمد بن زكريا الرازى أعظم طبيب أنجبته العصور الوسطى قاطبة ، بل وحجة الطب فى العالم منذ زمانه (القرن الثالث الهجرى) وحتى العصور الحديثة.

ويعتبر كتاب التجارب من الدلالات القاطعة على أن الرازى يُعد "إمام" فى كشف وتطبيق المنهج التجريبى بكافة مراحله المعروفة حالياً . فلقد تحرر الرازى من تأثير المذاهب والنظريات الطبية السائدة فى عصره – وخاصة كتابات ابقراط وجالينوس – ، فلم يرض بالتسليم بما تتضمنه ، إلا بعد إقرار التجربة بذلك ، على اعتبار أنها أضمن الطرق وصولاً إلى الحقيقة العلمية ، ومن أقواله فى ذلك ما يلى :

– وتكون الدعاوى عندنا موقوفة إلى أن تشهد عليها التجارب .. ولا نحل شيئاً من ذلك عندنا محل الثقة ، إلا عند الامتحان والتجربة .

– إن الشكوك المغلطة تقع على الأكثر فى الفن النظرى أكثر منه فى التجربة .

– العلم الذى يطمئن إلى مذهب مقضى عليه بالوقوف والعزلة ، لأن إدماج المعلومات فى مذهب يعد بمثابة تحجر علمى .

– عندما تكون الواقعة التى تواجهنا متعارضة والنظرية السائدة ، يجب قبول الواقعة ونبذ النظرية حتى ، وإن أخذ بها الجميع نظراً لتأييد مشاهير العلماء .

وبفضل تطبيق الرازى للمنهج التجريبى بكل دقة وإحكام ، استطاع الوصول إلى وضع مبادئ وأسس "علم السريريات" البحتة ، أو ما يعرف "بالطب الإكلينيكى" الذى يُعد الرازى بحق رائده الأول فقد كان لكل مريض عند الرازى تقارير تفصيلية وافية مدوّن فيها كل المعلومات عن الحالة المرضية ، وتاريخ تطورها ، وأدق التفاصيل من حياة المريض الشخصية والنفسية والاجتماعية ، وكل ذلك بغرض الوقوف على تشخيص سليم للمرض ، وبالتالى تقديم العلاج المناسب .

ولقد اهتم الرازى اهتماماً كبيراً بإجراء تجاربه على الأدوية الجديدة قبل تقديمها كعلاج ، وكان يبدأ أولاً بالتجارب على الحيوانات ، ثم على الإنسان وهذا ما هو متبع تماماً حالياً .

5- سر صناعة الطب

أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، سر صناعة الطب ، دراسة وتحقيق خالد حربى ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002 ، الطبعة الثانية دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.

يمثل موضوع هذا الكتاب حلقة مهمة جداً من حلقات سلسلة مؤلفات الرازى ، حيث قصد به "نشر صناعة الطب" رداً على من ضنّ بها وكتمها ، الأمر الذى أدى إلى إبادة ثمرة العلم .

فلقد رأى الرازى أن بعض المتطبيين يكتمون أسرار صناعة الطب عن غيرهم لأنهم اتخذوها معاشاً ومكسباً ، فخرجوا بذلك عن أخلاق هذه المهنة الشريفة ، فجاء كتابه هذا – فى مقابل الاتجاه المضن – لنشر "صناعة الطب" بأنواعها : الإنذارات ، والضمانات والتجارب المستنفذة من الحكماء ، والمؤلفة من كلامهم ونكتهم ورموزهم ، ثم ألحق الرازى بذلك طرقاً مما خبره فى نفسه واستدركه بمزاولته وتجربته ولإتمام الفائدة اختتم الرازى كتابه بفصل مجمل فى الأدوية والأغذية ، وبعض أسرار أبقراط التى كتمها غيره ، وضنّ بها على الناس.

وجملة القول إن كتاب سر صناعة الطب للرازى يعد من جلّ مؤلفات تاريخ الطب العربى ، بل والعالمى .

ظل الكتاب مخطوطاً حتى أتى إخراجى ونشرى له ضمن مشروعى التراثى المهتم بتحقيق ونشر أكبر عدد ممكن – ومتاح- من مؤلفات حُجة الطب فى العالم .

6- الرازى فى حضارة العرب

د.م دنلوب ، الرازى فى حضارة العرب ، ترجمة وتقديم وتعليق خالد حربى ، ط الأولى ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002.

أتت ترجمة هذا الكتاب فى إطار اهتمامى وانشغالى بأعمال أبى بكر محمد بن زكريا الرازى ، ومن باب الاهتمام بكل ما كتبه الغربيون عن علماء العرب والمسلمين ، وذلك لنقف على موقفهم الحقيقى تجاه حضارتنا العربية الإسلامية خاصة وأن منهم المنصفين ، ومنهم دون ذلك.

قال دَنلوب : نتناول هنا طبيب مسلم ، ورجل علم يدعى "جالينوس العرب" الذى تمتع بشهرة عظيمة إبان العصور الوسطى ، ووصلت هذه الشهرة إلى زماننا ، ألا وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الشهير بـ "رازيز" أو :رازيس" (حيث ينطق ويكتب بالتبادل بين ز ، س).

ولمعرفة الرازى فى أوربا فإن تاريخ 1799 ذو أهمية كبيرة . ففى تلك السنة نشر جون شانينج الإنجليزى لأول مرة عمل الرازى باللغة العربية الأصيلة ، حيث قدم طبعة بالعربية واللاتينية معاً لـ "كتاب فى الجدريوالحصبة" للرازى . وكان هذا الكتاب قد اجتذب فى عام 1747 اهتمام الدكتور الشهير ميد Mead (1754-1973)

فوصف كتاب الرازى هذا بأنه أقدم وأكثر الكتب الأصيلة أهمية عن الجدرى والحصبة. ومن المحتمل أنه من أكثر المخطوطات دقة وأصالة فى المطبوعات الطبية العربية.

7- بنّية الجماعات العلمية العربية الإسلامية

خالد حربى ، بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية ، تقديم ومراجعة د, على عبد المعطى محمد ، د. ماهر عبد القادر ، ط الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2003.

درست الرازى فى هذا الكتاب كجماعة علمية ومدرسة امتد تأثيرها فى الأجيال اللاحقة .. ففى مجلسه العلمى كان الرازى الأستاذ العالم ينصح طلابه بكثرة قراءة الكتب النظرية المشهورة فى الطب ، وينصح بالاستكثار من قراءة كتب الحكماء .. وذلك فى نظره نافع لكل حكيم . ولذلك نراه فى كتابه "المرشد" يرشد الأطباء الجدد إلى قراءة كتاب أبقراط فى "تقدمة المعرفة" ، وكثير من كتب جالينوس مثل "أدوار الحميات" و"الأدوية المفردة" و "أزمان الأمراض" ، و "الاسطقسات" و "البحران" ، و "أيام البحران" ، و"تدبير الغذاء فى الأمراض الحادة" ، و"العلل والأعراض" ، و "حيلة البرء" ... وغيرها . وفى ذلك يقول الرازى : "والأجود ألا تترك ولا كتاباً واحداً إلا وتطلع عليه وتعلم ما فيه".

وبعد أن يجمع الطالب أكبر قدر من الكتب ، ويقف على ما فيها ، فإن الرازى ينصحه بأن يعمل لنفسه كتاباً يُضمنه ما غفلت عنه الكتب التى قرأها ، ويكون بمثابة مرجع يسهل الرجوع إليه عند الحاجة ، إذ يقول : "إن كنت معنياً بالصنعة وأحببت أن لا يفوتك ولا يشذ عليك شئ ما أمكن ، فأكثر جمع كتب الطب جهدك . ثم أعمل لنفسك كتاباً تذكر فيه كل علة ما قصر الكتاب الآخر وأغفله من كل نوع من العلل ، فيكون ذلك كنزاً عظيماً وخزانة عامرة ، حافظاً على الذكر ومسهلاً لتناول ما تريده منه إن شاء الله" .

لقد حرص الرازى على تعليم طلابه حرصه على علاج مرضاه أو أشد وقد اتبع فى منهجه التعليمى طريقتين ، الأولى للتعليم النظرى ، والأخرى للعملى .

أما حلقات التعليم العملى ، فكانت تعقد فى البيمارستانات، وحول أسرة المرضى. ويشير الرازى إلى أهمية الدروس العملية بالنسبة لطالب الطب قائلاً : "ينبغى لطالب هذه الصناعة أن يكون ملازماً للبيمارستانات ، ومواضع المرضى ، كثير المداولة بأمورهم وأحوالهم ، كثير التفقد ، ولا يتهاون بها .

فليس الطب علماً يدرس فى الكتب فحسب ، بل هو تجارب وخبرة مكتسبة من المرضى . وكان الرازى من أكثر الأطباء تجاربا وخبرة . بل أعظم وأشهر أصالة من أى طبيب آخر فى الإسلام . وقد انعكس ذلك على طريقة تدريسه لتلاميذه حول سرير المريض ، شارحاً لهم الحالات المرضية النادرة واحدة بعد الأخرى ، وهذا يعنى أن المريض عند الرازى استخدام ككتاب يقرأ يومياً وباستمرار للوقوف على الأعراض التى تعتريه. وكان يشرح لطلابه كل حالة يفحصها ويسجل أسئلته ومشاهداته فى صفحة خاصة مبتدأ باستجواب المريض ، والطلاب من

حوله ، سائلاً عن اسمه ، وعمره ، وبلده ، ورحلاته ، وعما ألم به ، واليوم الذى شعر فيه بالمرض ، وموضع الألم ، والأعراض التى رافقته بالترتيب والتسلسل الزمنى لها ، مؤكداً على أن المريض خير رواية لشرح أبعاد المرض الذى يعانيه شخصياً ، كما كان يسأل المريض عن عائلته وأفرادها ، وهل أنهم شعروا بنفس الأدوار التى يكابدها هو؟.

من كل ما سبق أستطيع أن استنبط مزايا طريقة الرازى فى الدرس الطبى ، وما أحدثه فى مجال المعرفة الطبية ، والتعليم الطبى ، وذلك فيما يلى :

1- اتبع الرازى طريقة أكاديمية فى التعليم ، يدل على ذلك تقسيمه لطلابه إلى مجموعات متمايزة بحسب تاريخ الالتحاق بالحلقة وما حصله الطالب من الدرس الطبى منذ التحاقه ، وهذا يكاد يقترب مما هو معمول به الآن فى مراحل التعليم المختلفة ، مع الوضع فى الاعتبار للفارق فى الوسائل التعليمية التى كانت متاحة فى زمن الرازى ، وما هو متوفر منها الآن.

2- أدرك الرازى أن لكل متعلم مقدرة عقلية ينبغى مراعاتها فيما يلقى إليه من مقدار العلم، فضلاً عن نوعه.

3- تدرج الرازى بالمتعلم من الأسهل إلى الأقل سهولة ، فكان يُعطيه أولاً أصول العلم ، حتى يتهيأ عقله بعد ذلك لقبول جوامعه.

4- حث المتعلمين على أهمية قراءة كتب السابقين المتخصصة باعتبارها منطلقات إبستمولوجية ينطلقون منها إلى معرفة جديدة على اعتبار أن العمر لا يكفى لمشاهدة كل الوقعات المرضية .

5- اتخذ الرازى من المتعلم مدرساً له ، وذلك من خلال مناقشاته السريرية وأسئلة المتعلمين ، واستفساراتهم عن أمور قد لا يكون الرازى قد وقف عليها ، فيعود إلى الإطلاع والمشاهدة والتجربة. وهذه الطريقة تشبه إلى حد ما عمل الأطباء – الأساتذة- وخاصة فى مرحلة الدراسات العليا.

6- بث القيم الأخلاقية فى نفوس التلاميذ ، بحثهم على أن يكون هدفهم معالجة المريض بصرف النظر عن أخذ الأجر . ومعالجة الفقراء بنفس الاهتمام الذى يعالجون به الأغنياء .

7- الاهتمام بأثر العامل النفسى فى العملية التعليمية .

8- أكد الرازى على أهمية الدروس العملية فى تعلم الطب ، وقد تمثل هذا فى تعليم طلابه كيفية مزاولة المرضى ، وفى شرحه لهم حول أسرة المرضى فى البيمارستانات . وتعد حالات الرازى السريرية من الإسهامات الأصيلة فى مجال المعرفة الطبية. وقد أُعتبر بها رائداً لعلم السريريات الحديث.

8- مقالة فى النقرس

دراسة وتحقيق خالد حربى ، ط الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.

من أهم وأخطر كتب الرازى ، بل وكتب تاريخ الطب العالمى قاطبة ، حيث يعد هذا الكتاب وثيقة جليلة قدمها الرازى ليس للمشتغلين بالطب فحسب ، بل وللإنسانية جمعاء. ويكفى أن نعرف أن هذا الكتاب يحتوى على تشخيص تفريقى بين أعراض كل من مرض النقرس ، ومرض ألم المفاصل ، فمن الإسهامات الأصيلة التى قدمها الرازى للإنسانية جمعاء، تفرقته بين الأمراض المتشابهة الأعراض ، والتى تعتمد على علم الطبيب وخبرته

، وطول ممارسته ، وذكائه ، وقوة ملاحظته ، وتجاربه ، وقد توفر كل ذلك فى الرازى ، الأمر الذى جعله سباقاً فى هذا المجال ، فلم يسبقه أحد من السابقين عليه ، سواء من أطباء اليونان ، أم من أطباء العرب والمسلمين .

وتعتمد نظرية الرازى فى التشخيص بصفة عامة على وضع سؤال رئيس مؤداه: ما الفرق بين الأمراض ، ومما يتكون هذا الفرق ؟ ثم يخبرنا بكيفية التفتيش عن هوية محددة لهذا الفرق لمرضين أو أكثر متشابهين ظاهرياً ، وينتهى مقرراً أن الفرق لا يبنى على أساس فهم حقيقته ، ولكن يُبنى على قاعدة الملاحظة السريرية المختلفة عند الفحص وذلك ما هو معمول به منذ الرازى وحتى الآن .

ومن هنا أتى تحقيقى ودراستى ونشرى لكتاب مقالة فى النقرس للرازى والكتاب يحمل رقم (6) فى سلسلة مؤلفات الرجل التى أعكف على تحقيقها ونشرها منذ سنوات طويلة. وليس من شك فى أن تلك المؤلفات تكتسب أهميتها من أن صاحبها يُعد بحق أعظم طبيب أنجبته العصور الوسطى ، قاطبة ، بل وحجة الطب فى العالم منذ زمانه ، وحتى العصور الحديثة وكل ذلك بغرض إحياء وإظهار جانب مشرق من جوانب تراثنا العربى الإسلامى المجيد ، مازال فاعلاً حتى اليوم.

ولأهمية وفاعلية نص كتاب "مقالة فى النقرس ، للرازى ، صدرت نشرتى له فى بداية عام 2005. وكان قد سبقها نشرة أخرى قام بها فريق العمل بإدارة المخطوطات (أكثر من مائة موظف) بقيادة يوسف زيدان بمكتبة الإسكندرية .

وبظهور نشرتى اكتشف المتخصصون والمهتمون بشئون التراث العلمى العربى ، أنها أدق وأصوب من نشرة يوسف زيدان وفريقه ، تلك النشرة التى حكم عليها – رسمياً- بأنها تمثل اعتداء على التراث الإسلامى المخطوط وتظهر صورة هذا الاعتداء فى الإقدام على نشر النصوص دون أهلية علمية كافية بموضوع النص (مجلة المصور 22 سبتمبر 2006) ودون امتلاك لأدوات البحث العلمى الضرورية من التأنى والصبر وقراءة النص فى ضوء النصوص الأخرى لنفس المؤلف (أخبار الأدب 15 أكتوبر 2006) . وتتمثل أبرز صور الاعتداء فى تشويه الموقف العقلى للرازى ، وفى اتهامه فى عقيدته وأخلاقه دون دليل كاف (الشرق الأوسط اللندنية 1 نوفمبر 2006) ، ثم نقل هذا التصور المغلوط إلى العالم بأسره ، عندما أقدمت مكتبة الإسكندرية على ترجمته إلى اللغات الأجنبية الرئيسة الثلاثة : الإنجليزية والفرنسية والألمانية وهى الترجمات التى حملت معها أخطاء المحقق حتى فى عنوان الكتاب (الجمهورية 4 نوفمبر 2006).

وانظر تفاصيل هذا الاعتداء على الرازى وضحدها فى كتابى: العبث بتراث الأمة فيما سيأتى.

9- علوم حضارة الإسلام ودورها فى الحضارة الإنسانية

خالد حربى ، علوم حضارة الإسلام ودورها فى الحضارة الإنسانية ، سلسلة كتاب الأمة رقم 104 ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، قطر 2005.

تناولت الرازى فى هذا الكتاب كأنموذج لعلم الطب فى الحضارة الإسلامية ، وأثره فى الحضارة الإنسانية .. فالرازى هو أول من وصف مرض الجدرى والحصبة، ووصف لهما العلاج المناسب ، وأول من ابتكر خيوط الجراحة

من أمعاء القطط ، ومن أوتار العود .. ويعد الرازى أول من اهتم بالجراحة كفرع من الطب قائم بذاته ، ففى كتابه الأشم "الحاوى" وصف لعمليات جراحية تكاد لا تختلف عن وصف مثيلتها فى العصر الحديث. وهو أيضاً أول من استخرج الماء من العيون ، كما كشف طرقاً جديدة فى العلاج ، فهو أول من استعمل الأنابيب التى يمر فيها الصديد والقيح والإفرازات السامة ، واستطاع أن يميز بين النزيف الشريانى والنزيف الوريدى ، واستخدم طريقة التبخير فى العلاج ، والمعمول بها حتى الآن .

ولقد أسهم الرازى فى مجال التشخيص بقواعد لها أهميتها حتى الآن ، منها : المراقبة المستمرة للمريض ، والاختبار العلاجى ، وهو أن يُعطى العليل علاجاً مراقباً أثره ، وموجهاً للتشخيص وفقاً لهذا الأثر. ومنها أهمية ودقة استجواب المريض ، فينبغى للطبيب أن لا يدع مسائلة المريض عن كل ما يمكن أن يتولد عن علته من داخل ، ومن خارج ، ثم يقضى بالأقوى. ومنها أيضاً العناية بفحص المريض فحصاً شاملاً على اعتبار أن الجسم وحدة متماسكة الأعضاء إذا اختل واحد منها "تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى". ولقد اعتمدت نظرية الرازى الأساسية فى التشخيص على التساؤل عن الفرق بين الأمراض فمن الإسهامات الأصيلة التى قدمها الرازى للطب تفرقته بين الأمراض المتشابهة الأعراض ، وهذا ما يطلق عليه الآن التشخيص التفريقى Diff Diagnosis .

وجملة القول: إن الرازى قدم إسهامات طبيبة وعلاجية رائدة عملت على تقدم علم الطب ، وأفادت منها الإنسانية بصورة لا يستطيع أحد أن ينكرها.

10– العبث بتراث الأمة

خالد حربى ، العبث بتراث الأمة – فصول متوالية : فهرس بلدية الإسكندرية – نقرس الرازى ليوسف زيدان ، ط الأولى ، الإسكندرية 2006.

دراسة نقدية ضمت فصولها أوراق قضية علمية وثقافية خطيرة ، كان لابد من جمعها فى ملف واحد ، بعد محاولات مضنية لانطماسها من قِبل المعنيين بها .. تناولت فى هذه الدراسة بالنقض ، كتابين ليوسف زيدان ، الأول فهرس بلدية الإسكندرية ، والآخر تحقيقه – ومعه فريق عمل يزيد على المائة – لمقالة فى النقرس للرازى . وما يهمنا هنا هو النقرس ، حيث بيّنت فصول الكتاب الخاصة بنشرة يوسف زيدان – وفريقه– لكتاب "مقالة فى النقرس" للرازى، كمية الأخطاء والمغالطات والتزييفات والتحريفات التى ارتكبها يوسف زيدان – وفريقه – فى نشرته لهذا الكتاب التراثى الخطير، وترجع خطورته إلى أن ما دوّنه الرازى فيه من معلومات طبية وصيدلانية خاصة بمرض النقرس، مازال معظمها فاعلاً حتى هذه اللحظة، ويوسف زيدان – وفريقه – ينشر الكتاب بصورة لا تسيء إلى الرازى فحسب، بل تسيء إلى تراثنا العلمى المجيد كله، على اعتبار أن الرازى قد وصفه الغربيون أنفسهم، وهم ليسوا من بنى جلدتنا، بحجة الطب فى العالم منذ زمانه وحتى العصور الحديثة، وهذا ما يبرر وصف كثير من الصحف المصرية والعربية نشرة يوسف وفريقه – بسبب نشرتى لنفس الكتاب – بأنها فضيحة علمية عالمية ، أعلنت عنها كمية الأخطاء العلمية البشعة التى ارتكبها يوسف وفريقه، وحصرّتها فى كتابى هذا.

فلقد تناولت نشرة يوسف زيدان وفريقه لنقرس الرازى من الجلدة إلى الجلدة، وتقع بلغاتها الأربع (العربية – الإنجليزية – الفرنسية – الألمانية) فى 178 صفحة، فى مقابل نشرتى لنفس الكتاب باللغة العربية فقط فى 191 صفحة. قدم يوسف وفريقه نشرتهم بمقدمة جاءت فى 3.5 صفحة فى حين بلغت مقدمتى 103 صفحة. اشتملت مقدمة زيدان وفريقه على اتهام الرازى بالتزلف لدى الملوك والأمراء طمعاً فى عطاياهم ، واشتملت أيضاً على اتهام الرازى بالإلحاد بدون أى دليل أو سند، فضلاً عن زعم يوسف زيدان أن أميراً أمر بضرب الرازى بكتبه على رأسه حتى تبلى وتهترئ.

لقد اتضح لنا أن هذه المقدمة الزيدانية القصيرة (والخطيرة) لهى خير دليل على الإساءة إلى التراث العلمى العربي الإسلامي، وبالتبعية لكل العرب والمسلمين. فيوسف زيدان يشيد بالرازى كأعظم علماء المسلمين، كما يعترف بأهمية نص النقرس الذى ينشره, ثم يقدم مقدمة لتلك النشرة (السيئة) فى ثلاث صفحات ونصف، تتضمن ثلاث اتهامات خطيرة للرازى، والعجيب أنها تتعلق بالجانب الشخصي عند الرجل، ولا تتعلق بنص النقرس بأى وجه من الوجوه. فالنص طبى أو علمى بحت، والإلحاد، والتزلف لدى الملوك، والضرب على الرأس بالكتب جوانب شخصية، لا ينبغي بأى وجه من الوجوه أن تقدم بها نشرة لكتاب طبي أو علمى بحت. وهنا يتضح الغرض الزيدانى الخفى من وراء هذا التوجه، ذلك الغرض الذى ينال إعجاب المستشرقين الغربيين (المغرضين) ، هؤلاء الذين يريدون منا أن ننشغل بمثل هذه الجوانب الشخصية (الملفقة) للرازى ، وغيره من علماء الحضارة الإسلامية الخالدين ، بدون التعرض لاستيعاب وفهم مضمون الكتاب ، ومحاولة الوقوف على المنهج العلمى الذى اتبعه الرازى – أو غيره– للوصول إلى ما وصل إليه من نتائج أفادت الإنسانية جمعاء .

وهذا ما فعله يوسف زيدان فى نشرته –وفريق عمله– لنشرة النقرس للرازى ، فشوه وحرّف ، وصحّف، وقلب الصواب خطأ فى كثير من مواضع النص الطبى ، وقدمه بمقدمة شخصية (تلفيقية) ، ثم أخرجه فى طبعة أنيقة – عن مكتبة الإسكندرية للأسف – سوف تحوز بلا شك إعجاب المستشرقين الغربيين– إن لم تمنع عن التداول ، وأظنها ستمنع – من حيث إن ابن يعقوب يوفر لهم ما يصبون إليه .

إن ما يؤيد ويعزز طرحى هذا أن منهج تحقيق ونشر النصوص التراثية يُحتم على المحقق القيام بحزمة من الخطوات المنهجية فى النص المراد تحقيقه ، لا فى شخصية مؤلفه ، ولم يقم يوسف زيدان بتلك الخطوات فى نشرته ، فى مقابل استيفائى لها بإسهاب واضح فى نشرتى، حيث تضمنت مقدمتى لتحقيق نص النقرس للرازى : دراسة فى الرازى كحجة للطب فى العالم منذ زمانه وحتى العصر الحديث ، بعنوان : "الرازى مدرسة طبية أفادت الإنسانية"، تناولت فيها الرازى من خلال ستة نقاط ، هى: 1– قوام المعرفة الطبية السابقة على الرازى . 2– المنطقات المعرفية الطبية السابقة على الرازى. 3– النشاط العلمى فى عصر الرازى . 4– مدرسة الرازى العلمية . 5– خصائص العمل العلمى عند الرازى، 6– إنجازات الرازى وأثرها فى الإنسانية. ثم اتبعت ذلك بدراسة فى النقرس –موضوع التحقيق–عند الرازى ، تناولت فيها النقرس فى مؤلفات الرازى الأخرى مثل كتاب التجارب،

وكتاب سر صناعة الطب ، وكتاب جراب المجربات وخزانة الأطباء، وكتاب فى علاج الأمراض بالأغذية والأدوية المشهورة الموجودة فى كل زمان .. وغير ذلك من مؤلفات الرازى التى حققتها ونشرتها .

وقد لاحظنا أن من الأمور المهمة التى استوقفتنى عند استيعاب وفهم نص النقرس أن الرازى يبتدأ الباب الأول منه بالتفرقة بين أعراض مرض النقرس ، وما شابهه من أمراض أخرى ، وخاصة مرض وجع المفاصل . وتلك مسألة جد خطير تستحق الوقوف عندها طويلاً ، حيث يعد الرازى بحق رائداً لما يطلق عليه حالياً التشخيص التفريقى Diff Diagnosis فى الطب الحديث . وقد اعتبرت ذلك من الإسهامات الأصيلة التى قدمها الرازى للإنسانية جمعاء . ولذلك قدمت دراسة بعنوان : "الرازى رائد نظرية التشخيص التفريقى (ص 75 من نشرتى) ، تناولت فيها أهم الفروق التى قال بها الرازى، ليس فقط بين النقرس ووجع المفاصل ، بل وبين الجدرى والحصبة ، والقولنج وحصاة الكُلى ، والصرع الخلقى والصرع العرضى .. وغير ذلك ، وقدمت نماذج تطبيقية لهذه الفروق، وانتهيت من هذه الدراسة إلى التقرير بأن الرازى يُعد بحق رائداً لنظرية التشخيص التفريقى المعمول بها حالياً فى الطب الحديث .

ثم اتبعت ذلك بتحليل دقيق ومفهوم لنص مقالة النقرس من حيث إن ذلك يعد من أهم مقتضيات منهج التحقيق . وانتقلت بعد ذلك إلى وصف النسخة الخطية وما توحى به من دلالات ، وما ألصقها بها يوسف زيدان من شبهات، حيث نقل مقدمة المخطوطة ، وقال : آثرت أن انقل النص مطولاً .. ليستنبط – بزعمه المغرض– الفرّيات التى ألصقها بالرازى ، وهى التزلف لدى الملوك والأمراء ، والإلحاد فى الدين ، وما ارتبط بها من الضرب على رأسه بكتبه حتى تُبلى .

وعند هذا الموضع الزيدانى المغرض وجدتنى أدحض هذه الفريات بالأدلة العلمية والمنطقية والموضوعية كل فى موضوعه ، وانتهيت إلى أن الرازى لم يتزلف لدى الملوك والأمراء طمعاً فى عطاياهم ، لسبب واقعى ومنطقى وعقلى وبسيط جداً ، وهو أن الرازى كان من أغنى أغنياء العلماء آنذاك ، حيث جمع ثروة طائلة بحكم عمله والمراكز التى شغلها مثل طبيب الخليفة الخاص ، ورئيس أكبر مستشفى فى الخلافة الإسلامية كلها .. ولقد قدمت من الأدلة ما يؤيد ويعزز عدم اهتمام الرازى بالتزلف لدى الملوك والأمراء للحصول على أموالهم ، وأوضحها أنه مات فقيراً ، والسبب الرئيس وراء ذلك ، والذى لم يعلمه ، يوسف زيدان ، ومن يشايعه من المستشرقين الغربيين المغرضين ، أن الرازى أنفق ثروته الطائلة التى جمعها بحكم طبيعة عمله ، على المرضى الفقراء والمحتاجين ، هؤلاء الذين كان يذهب إليهم بنفسه ليعالجهم فى بيوتهم ، فكان يشخص المرض ، ويأتى لهم بالعلاج الأمثل ، ثم يترك لهم جزءاً من المال يعينهم على بعض أمور الحياة . ظل الرازى على هذا الحال حتى انتهت ثروته ، مع تقدم العُمر ، فلم يجد بُد من أن يؤلف للمرضى الفقراء كتاباً يستطيعون به أن يعالجوا أنفسهم ، فكان كتابه الفريد فى نوعه "طب المساكين" أو "من لم يحضره الطبيب" ، وفضل الموت فقيراً على عطايا الملوك والأمراء .

أما بخصوص الفرية الثانية التى ألصقها يوسف زيدان بالرازى ، وهى الخاصة بإلحاده بناءً على زعمه أن الرازى كان يقول بالقدماء الخمسة : الله ، الزمان ، المكان ، النفس، المادة : ومن يقول بذلك ، كان مشركاً أو

ملحداً فى الدين ، ويستحق الاضطهاد بسبب أفكاره الفلسفية حتى أصُيب بالعمى فى آخر عمره ، لأن أميراً أمر بضربه على رأسه بكتبه ، حتى تُبلى هذه الكتب وتهترئ ، على حد افتراء يوسف زيدان على الرازى.

وفى ضحدى لهذا الافتراء ، وجدتنى أذهب إلى أنه مناقض لنفسه من وجهين ، الأول يتمثل فى أن عقاب من يُتهم بالإلحاد فى الدين فى مجتمع إسلامى ليس الاضطهاد ، بل هو الاستتابه لمدة ثلاثة أيام ، فإن لم يرجع عن إلحاده ويتوب فجزاءه القتل ، وليس الاضطهاد ، ويتضح الوجه الثانى فى أن المنطق يقول – والعقل يؤيده– إن المقرب للملوب مثل الرازى ، من الممكن أن يشفع له هذا القرب –خاصة إذا كان قائماً على الخدمة والتبجيل والتزلف– فى العفو عنه إذا ما ارتكب خطأ أو جرماً صغيراً ، أم كبيراً استحق عليه أن يرمى بالإلحاد والمروق عن الدين . فحجم ومكانة رجل مثل الرازى كانت تسمح له بأن يستتاب من قِبل أولى الأمر ، فإذا رجع عما زعمه – إن كان قد زعم– عفى عنه .

ولم يحدث شئ من هذا كله ، وذلك لأن الحقيقة التى يجهلها أو يستجهلها يوسف زيدان ومن يشابهه من المستشرقين الغربيين أن الرازى لم يلحد ولم يخلع عنه عباءة الدين ، ولم يتزحزح عنه قيد أنمله. وقدمت من الأدلة التى تثبت أن الرازى فيلسوف وطبيب مسلم موحد بالله ، مؤمن به ، وبملائكته ، وكتبه ورسله، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره . وتلك هى حقيقة الإيمان كما أخبر بها جبريل عليه السلام .

وبناءً على اعتقاد يوسف زيدان بأن الرازى قال بالقدماء الخمسة ، أى الشرك بالله والإلحاد فى الدين ، إذن فهو يستبعد أى وجود للصيغ والعبارات الإيمانية فى كتبه من قبيل : بسم الله الرحمن الرحيم – إن شاء الله تعالى – بإذن الله– بحول الله وقوته .. الخ . على اعتبار أن (الملحد) لا يؤمن ، ولا يقول بهذه الصيغ. وهو بذلك يشكك –بقصد أو بعدم علم– فى نسبة كتب الرازى إليه ، حيث إن الحقيقة التى لا مراء فيها هى أن جميع كتب الرازى الطبية ، والعلاجية والكيميائية ، بل والفلسفية مليئة بتلك الصيغ الإيمانية ابتداء بمقدمة أى كتاب مروراً بخواتيم فصوله أو أبوابه, وانتهائاً بخاتمته.

ولقد رأينا كيف أقبل يوسف زيدان على نشر كتاب "مقالة فى النقرس" للرازى بدون أى دراسة، كما بيّنت من قبل، والكتاب يبتدأ بالصيغ الإيمانية – أيده الله – أطال الله بقاءه – ولم يبق إلا الرغبة إلى الله عز وجل – فأتم الله علينا النعمة – بحوله وقوته فضلاً عن أن معظم أبواب الكتاب تنتهى بصيغ : "إن شاء الله تعالى"، وينتهى الكتاب بحمد الله ومنّه، وصلواته على خير خلقه محمد وآله وسلم تسليماً دائماً، وكل ذلك بدون أن يستدعى موقفه المسبق الداعى إلى إلحاد الرازى. والغرض من وراء ذلك واضح مبين لكل قارئ أمين كما قال الرازى نصاً: "لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل".

أما بخصوص الفّرية الثانية المتفرعة من فرية اتهام الرازى بالإلحاد ومؤداها أن أميراً أمر بضرب الرازى بكتبه على رأسه حتى تبلى وتهترئ، فواضح أنها تلفيق واضح يوهم بأنه مبرر للفرية الكبرى الأولى، وكأن يوسف زيدان يريد أن يقول لك : أضُهد الرازى بسبب قوله بالقدماء الخمسة (الله – النفس – المادة – الزمان – المكان) (شرك وإلحاد) حتى أن أميراً أمر بضربه بكتبه على رأسه حتى تبلى وتهترى، ودليل ذلك أن الرازى فقد بصره.

وبعد أن أضحدت فرية اتهام الرازى بالإلحاد، أرانى أيضاً أضحد ما تفرع منها، وأيضاً بالأدلة العلمية والمنطقية والعقلية، بل والسطحية الساذجة. فإذا أخذنا هذه الفرية من ذيلها، أقول إن الرازى فقد بصره فى أوآخر أيامه، لكن ليس بسبب ضربه بكتبه على رأسه كما زعم يوسف زيدان، بل بسبب طريقة الرازى فى الدرس والتحصيل والمطالعة والكتابة والتأليف، يقول أحد معاصريه : "ما دخلت عليه قط إلا رأيته ينسخ، إما يسود أو يبيض" ، وإذا علمنا إن عدد مؤلفات الرازى يزيد على المائتين والسبعين (270) كتاباً، لاقتربنا من السبب الحقيقي وراء فقد الرازى لبصره، وهو القراءة المفرطة، والكتابة المستمرة، كما ذكر البيرونى، وخاصة تحت إضاءة ضعيفة تمثلت فى الشموع والقناديل آنذاك. يقول الرازى نفسه : "بقيت فى عمل الجامع الكبير خمس عشرة سنة أعمله الليل حتى ضعف بصرى، وحدث على فسخ فى عضل يدي". ويقول :"إنه بلغ من صبري واجتهادى أنى كتبت بمثل خط التعاويذ فى عام واحد أكثر من عشرين ألف ورقة".

أيصح أمام هذه الحقائق البيّنة أن نصدق رواية يوسف زيدان الزاعمة بأن الرازى فقد بصره بسبب ضربه على رأسه بكتبه، وبأى عقل يمكن أن نصدق أن رجلاً يُضرب بـ (270) كتاب على رأسه حتى تبلى وتهترئ (أى تتفتت) وتكون النتيجة فقدان بصره فقط ! والمنطق يقول إن ضرب رجل بكتاب واحد فقط على رأسه حتى (يتفتت) كفيل بفقده لحياته كلها، وليس بصره فحسب. وللمتدبر أن يتدبر ويعى غرض يوسف زيدان من وراء تلك الفرّيات التى يشوه بها تراثنا العلمى المجيد.

إن كل ما سبق إنما يمثل ردى وضحدى لما افتراه يوسف زيدان فى مقدمته- المكونة من ثلاث صفحات – على الرازى.

أما نص النقرس المحقق فيبتدأ من ص 13 من نشرته، وينتهى فى ص 55، أى أن مجموع صفحات نشرة يوسف زيدان لنقرس الرازى 42 صفحة. ولقد رأينا كيف تمكنت – بفضل الله – من اكتشاف واستشفاف واستنتاج كمية المغالطات والتحريفات والتصحيفات والتعديات، والتشويهات التى حفل بها هذا العدد الضئيل من الصفحات لنشر مخطوط هام من التراث العلمى الإسلامي. وقد رصدت وضحدت كافة هذه الأمور (العبثية) كل فى موضعه من كتابى هذا، وحتى لا أكرر اكتفى هنا بذكر أرقام الصفحات التى احتوت كل أنواع الأخطاء التى وقعت عليها، ليخرج القارئ معى بالنتيجة النهائية لتلك النشرة الزيدانية الفريدة لنقرس الرازى.

قلت إن النص المحقق فى نشرة يوسف يبدأ من ص 13، وينتهى فى ص 55، وعرض يوسف أخطاءه فيما يلى من هذه الصفحات :

ص 13 – 14 – 17- 18 – 19 – 20 – 21 – 22 – 23 – 24 – 26 – 27 – 29 – 31 – 32 – 33 – 34 – 35 – 36 – 37 – 38 – 39 – 40 – 41 – 44 – 46 – 47 – 49 – 50 – 51 – 52 – 54.

فهذه الصفحات التى احتوت على أخطاء يوسف ومجموعها 32 صفحة من المجموع الكلى لصفحات الكتاب، وهو 42 صفحة، تلك التى ترجمت إلى لغات ثلاث أخرى غير العربية، وهى الانجليزية والفرنسية

والألمانية، مع التماس العذر للذين قاموا بالترجمة، أولئك الغير متخصصين فى التراث وقاموا بالترجمة بنيّة الحصول على أجرها فقط، فلا يسألوا عن الأخطاء التى اقترفها يوسف زيدان بالعربية، ونقلوها هم إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ولذلك وصفت نشرة يوسف زيدان باللغة العربية لمخطوط "مقالة فى النقرس" للرازى مع ترجماتها الثلاث بأنها "فضيحة عالمية".

11- اسهام الرازى فى طب العيون وصيدلانيتها

بحث ألقى فى مؤتمر العين فى التراث الإسلامى المنعقد بالمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت 13-15 مارس 2007. انتهيت فيه إلى أن الدارس لتاريخ الطب العربى الإسلامى يدرك تماماً كيف أن هذا الطب قد مرّ بمراحل متعاقبة شكلت المقدمات المعرفية والمنهجية التى انطلقت منها مرحلة الإبداع والابتكار إبان القرن الثالث الهجرى .

ويعد أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (250-313هـ / 864-925م) خير ممثل لبداية وازدهار هذه المرحلة من تاريخ الطب . وذلك إنما يرجع إلى الإنجازات الطبية والعلاجية ، والبحثية ، والتعليمية التى أبدعها ، وأفادت منها الإنسانية جمعاء .

لم يترك الرازى أياً من أجزاء الجسم إلا ودرسه ، ووصفه ، وشخّص أمراضه ، وقدم لها العلاجات المناسبة ، يدلنا على ذلك منهجه فى التأليف ، حيث امتازت معظم مؤلفاته بتناول الأعضاء ، أو الأمراض من الرأس إلى القدم . وهذا ما نجده، على سبيل المثال ، فى "الحاوى" ، "المنصورى" ، "بُرء ساعة" ، "التجارب" ، "الجراب" ، "منافع الأغذية ودفع مضارها" ، و "كتاب فى علاج الأمراض بالأغذية والأدوية " . وغير ذلك . كما أبدع الرازى فى تخصيص مؤلفات خاصة لأمراض بعينها ، مثل : "رسالة فى الجدرى والحصبة" ، "كتاب فى الفالج" ، "كتاب فى اللقوة" ، "كتاب فى الحصى فى الكُلى والمثانة" ، " كتاب القولنج" ، " مقالة فى البواسير والشقاق فى المقعدة" ، و " مقالة فى النقرس" .

ومع ما تشغله هذه المؤلفات من أهمية فى تاريخ الطب الإنسانى ، إلا أن "العين" بالذات ، وطبها ، وصيدلانيتها قد شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام الرازى . فتكاد تكون العين هى العضو الوحيد من أعضاء الجسم الذى أفرد له الرازى عدة مؤلفات ، لا مؤلف واحد . ومنها : " كتاب فى هيئة العين : ، "كتاب فى فضل العين على سائر الحواس" ، " مقالة فى المنفعة فى أطراف الأجفان" ، " مقالة فى العلة التى من أجلها تضيق النواظر فى النور وتتسع فى الظلمة" ، " مقالة فى علاج العين بالحديد" ، و" كتاب فى كيفية الإبصار". هذا بالإضافة إلى ما احتوت عليه المؤلفات الجامعة من أبواب وفصول مستقلة فى العين وأمراضها وعلاجها .

فما الدافع وراء اهتمام الرازى الزائد بالعين ؟

ما المنهج الذى اتبعه الرازى فى دراسة العين، وتشخيص عللها، ووضع أدويتها ؟

ما الحجم الحقيقى لإنجازات الرازى فى طب العيون ، وأثره فى اللاحقين وتاريخ العلم بخاصة ، والإنسانية بعامة ؟

تساؤلات منهجية وجوهرية تدور حول إجابتها هذه الدراسة . وسنعرض لأهمها فى الجزء المخصص من الحاوى للعين من النص المحقق فيما سيأتى .

12- إبداع الطب النفسى العربى الإسلامى

دراسة تأصيلية مقارنة بالعلم الحديث

خالد حربى ، إبداع الطب النفسى العربى الإسلامى ، دراسة تأصيلية مقارنة بالعلم الحديث ، ط الأولى ، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبى ، الكويت 2007.

تناولت الرازى فى هذه الدراسة ضمن مجموعة من علماء العرب والمسلمين الذين استطاعوا أن يدشنوا أو يبدعوا علم الطب النفسى العربى الإسلامى ، حيث استند العلاج النفسى خلال عصور التاريخ قبل العرب والمسلمين إلى السحر ، ورد المرض النفسى إلى قوى شريرة فى استخدام الرقى والتمائم والتعاويذ. ففى الحضارة اليونانية كان يعتقد أن الشفاء من الأمراض النفسية يستلزم أن ينام المريض فى هيكل خاص ، حيث يتم شفاءه بمعجزة تحل بجسده فى الليلة الوحيدة التى يقضيها فى ذلك الهيكل. ولقد اقتصرت الآفاق الخلقية فى الطب اليونانى على قسم أبقراط الشهير ، والذى كان مضمونه أن يقسم كل طبيب للأرباب والربات بأن يذهب إلى كل البيوت لفائدة مرضاها ، دون الذهاب إلى أصحاب الأمراض المستعصية ، هؤلاء الذين لا يُرجى شفاءهم. وكان ذلك استناداً إلى تعريف أبقراط للطب بالفن الذى ينقذ المرضى من آلامهم ويخفف من وطأة النوبات العنيفة ، ويبتعد من معالجة الأشخاص الذين لا أمل فى شفائهم .

ولقد أثبتت الدارسة أن الرازى فكر كأول طبيب فى معالجة المرضى الذين لا أمل فى شفائهم ، فعُدَّ بذلك رائداً فى هذا المجال . لقد رأى الرازى أن الواجب يحتم على الطبيب ألا يترك هؤلاء المرضى ، وأن عليه أن يسعى دوماً إلى بث روح الأمل فى نفس المريض ويوهمه أبداً بالصحة ويرجيه بها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس . وقد أتت الدراسة بأمثلة توضح أن الرازى قد أدرك أثر العامل النفسى فى صحة المريض ، ليس هذا فحسب بل وفى إحداث الأمراض العضوية،. وبذلك يكون الرازى قد تنبه إلى ما يسمى فى العصر الحديث بالأمراض النفسجسمية Psychomatic diseases وهى موضوع اهتمام أحدث فروع الطب .

أما الحاوى Continenes فيعد من أهم مؤلفات الطب العربى الإسلامى وأضخمها حجماً ، فهو أول موسوعة طبيبة لكافة المعلومات والعلوم الطبية المعروفة حتى وفاة الرازى فى بداية القرن العاشر الميلادى ، جمع فيها الرازى كل الخبرة الإكلينيكية التى عرفها فى مرضاه ، وفى نزلاء البيمارستانات (المستشفيات) . وهذا التأليف كان فتحاً جديداً فى تاريخ تعليم الطب. ويتفق جميع المؤرخين القدماء على أن الرازى توفى قبل أن يُخرج هذا الكتاب ، ويرجع الفضل فى إخراجه إلى ابن العميد أستاذ الصاحب بن عباد الذى طلبه من أخت الرازى، وبذل لها دنانير كثيرة، حتى أظهرت له مسودات الكتاب. فجمع تلاميذه الأطباء (منهم: يوسف بن يعقوب، وأبو بكر قارن الرازى) الذين كانوا بالرى، حتى رتبوا الكتاب.

ويعتبر كتاب الحاوى أضخم كتاب عربى وصل إلينا كاملاً، وهو مازال ضخماً غنياً بالمعلومات الطبية، لم يُسبر غوره، ولم يُدرس بدقة وتأصيل لكثرة ما تضمنه من أسماء الأدوية وصيدلية تركيبها، وأسماء الأطباء من العرب، وغير العرب الذين أُخذ من مؤلفاتهم فى هذا الكتاب. ولضخامة الكتاب بهذا الشكل، لم يقرضه طبيب من الذين أعقبوا الرازى، وكل ما فعله الممارسون من بعده، أن تداولوا صوراً مختصرة منه ومن هؤلاء.

على بن داود، صنف "مختصر الحاوى" فى حدود سنة 530 هـ - 1135م.

ابن باجه الأندلسى، توفى عام 537 هـ - 1142 م، وضع كتاب : اختصار الحاوى فى الطب.

كمال الدين الحمصى من أطباء دمشق ، توفى 613هـ – 1215م وضع كتاب: اختصار كتاب الحاوى فى الطب.

رشيد الدين أبو سعيد بن يعقوب، من أطباء القدس، توفى عام 646 هـ - 1284 م، وضع كتاب: تعليق على كتاب الحاوى فى الطب للرازى.

أبو الحسن على بن عبد الله القريشى، وضع كتاب: المنتخب من الحاوى فى الطب (مع إضافات نحوية وشعرية).

وهناك عدد من الأطباء العرب ألفوا كتباً وأطلقوا عليها نفس الاسم "الحاوى" منهم: الطبيب على بن سليمان من أطباء القاهرة أيام العزيز بالله الفاطمى، توفى 411هـ -1021م، وسماه: كتاب الحاوى فى الطب. نجم الدين محمود الشيرازى توفى عام 730 هـ - 1329م، سماه كتاب الحاوى فى علم التداوى.

وقد اشتهر الحاوى بذكر عدد كبير من الحالات السريرية التى تجاوز عددها المائة حالة. وهو موسوعة طبية اشتملت على كل ما وصل إليه الطب إلى وقت الرازى. ففيه أعطى لكل مرض وجهة النظر اليونانية، والسريانية، والهندية، والفارسية، والعربية، ثم يضيف ملاحظاته الإكلينيكية ، ثم يعبر عن ذلك برأى نهائى. ولذلك اعتبر "الحاوى" من الكتابات الهامة فى مجال الطب التى أثرت تأثيراً بالغاً على الفكر العلمى فى الغرب، إذ ينظر إليه عادة على أنه أعظم كتب الطب قاطبة حتى نهاية العصور الحديثة.

وقد ذكر كل من "سنغر وأندروود" أن كتاب الحاوى فى الطب هو أعم موسوعة فى الطب اليونانى العربى. وأهم أعمال الرازى، فجاء أوسع وأثقل كتاب تُرجم إلى اللاتينية، وطبع فى أوربا سنة 1486. ويذكر ماكس مايرهوف أنه قد ترجم على يد طبيب يهودى من صقلية يدعى فرج بن سالم – ويعرف فى العالم اللاتينى باسم فراجوت – بأمر من شارل الأول أمير نابولى وصقلية. وقد انتهى فرج هذا من ترجمة "الحاوى" فى عام 1279 ميلادية، وكانت بعنوان Liber Dietus Elhavi، لكن الترجمة لم تنشر إلا فى عام 1486 فى بريشيا والبندقية فى إيطاليا.

وبين عام 1279 و عام 1486 ظلت مخطوطات الحاوى اللاتينية نادرة ، فمكتبة كلية الطب فى باريس لم تكن تمتلك فى منتصف القرن الرابع عشر إلا نسخة واحدة منه. ومن الطريف أن ملك فرنسا لويس الحادى

عشر اضطر إلى دفع تأمين مالى كبير فى مقابل أن يستعير هذه النسخة لكى ينسخ عنها أطباء البلاط الملكى الفرنسى مرجعاً لهم ,, وبين عام 1452 وعام 1509 ظهرت طبعات.

وقد نشرت للحاوى ترجمة لاتينية أخرى باسم Continens Rasis فى البندقية عام 1542 ميلادية. وجاءت هذه الترجمة فى 25 جزء، وبلغ وزنها حوالى 9 كيلو جرامات كما قدم Green Hill طبعة ممتازة عام 1448. أما الطبعة العربية لكتاب "الحاوى" فقد تأخرت حتى سنة 1955. حين ظهر الجزء الأول من هذا الكتاب والذى اعتبره جميع الخبراء بالطب العربى القديم من أهم المصادر . وقد قامت دائرة المعارف العثمانية فى حيدر آباد الدكن بالهند وبمعونة من حكومة الهند بتشكيل فريق من العلماء والباحثين، فجمع هذا الفريق عدة نسخ خطية. واستمر طبع الكتاب، حتى اكتمل فى 1971، وجاء فى مجموعة مكونة من 23 جزء. ويقع الجزء الثالث والعشرين فى قسمين يكون كل قسم منهما مجلداً. إلا أن هذه الطبعة لم تحقق تحقيقاً علمياً دقيقاً. **وعلى هذا الأساس ما يزال كتاب الحاوى بكراً لم يعمل به الباحثون باهتمام وشمول ودقة. وهذا ما داعنى إلى تحقيقه ونشره ضمن مشروعى التراثى المنصب على تحقيق ونشر مؤلفات الرازى المخطوطة. ذلك الذى بدأ عام 1994، وجاءت بادرته بحصولى على الماجستير فى الرازى عام 1998 من خلال دراسة علمية ومنهجية فى الرازى وتحقيق موسوعته: "جراب المجربات وخزانة الأطباء"، ثم توالى تحقيق ونشر مؤلفات الرازى المخطوطة، فحققت ونشرت – بحول الله– بعد الجراب: كتاب التجارب، وكتاب سر صناعة الطب، وكتاب بُرء ساعة، وكتاب مقالة فى النقرس .. وهذه الكتب التى تجشمت عناء تحقيقها ونشرها إنما تمثل (حزمة) من المبادئ والآراء والأفكار والنظريات الرازية التى لم تكتشف من قبل. فتم اكتشافها باعتبارها إضافات جديدة فى بناء مذهب الرازى، وحجم الطب العربى الإسلامى ككل. وقد أفدت إفادات جمة بتلك الدراسات والتحقيقات فى منهجى لتحقيق "الحاوى فى الطب" كأعم وأوسع وأهم وأضخم موسوعة طبية فى الطب العربى الإسلامى، بل فى تاريخ الطب الإنسانى كله. ولعل هذا ما يفسر استمرار العمل فى تحقيق الحاوى من سنة 1995، وحتى سنة2012.**

لقد اعتمدت في التحقيق علي تسع (9) نسخ خطية تكاد تكون هي كل النسخ الخطية الموجودة في العالم ، تسع نسخ خطية يبلغ عدد صفحاتها 6620 صفحة مخطوطة اشتمل تحقيقها علي اكثر من نصف مليون هامش تحقيق متضمنة: المقابلات بين النسخ الخطية لضبط سياق النص ، وشرح كافة المصطلحات الطبية والصيدلانية واللغوية والأمراض والأعراض والأدوية المفردة والأدوية المركبة والأطعمة والنباتات والأعشاب والحيوانات والمعادن والأحجار والأملاح والموازين والإعلام من أطباء الهند والفرس واليونان والسريان والاسكندرانيين والعرب والمسلمين وكذا مؤلفات كل هؤلاء الأمر الذي أدى إلى اكتشاف كثير من الأفكار والآراء والنظريات الرازية وغير

الرازية التي لم تكتشف من قبل ، فتم اكتشافها بحول الله في تحقيقي للحاوي تلك الاكتشافات التي أظنها سوف تحدث تغييرا في مسار تاريخ الطب العربي الإسلامي، بل في مسار تاريخ الطب الإنساني كله .

ان تحقيق ونشر أول وأهم وأضخم موسوعة طبية في تاريخ الإنسانية لأول مرة تحقيقا علميا دقيقا، لطالما نادي به كل المشتغلين بتاريخ العلم علي مستوى العالم ،و قد جاء هذا التحقيق كاستجابة لتلك المناداة ، و مؤكدا عليها في الوقت نفسة، وليس ادل علي ذلك من ان المحقق قد وضع يده على فوائد جمة استنبطها من تحقيق نص موسوعة الحاوي فى الطب، و منها ما يلى :

- تحتوي موسوعة الحاوي في الطب للرازي علي متون كتب كاملة من الحضارات السابقة علي الحضارة الإسلامية كالحضارة الهندية وبلاد الرافدين والفارسية واليونانية والسيريانية وأيضا الحضارة العربية الإسلامية وأصول هذه الكتب مفقودة ولا توجد إلا في الحاوي .

- يشتمل تاريخ الطب العالمي حاليا علي كثير من الإنجازات والاكتشافات والأعمال الطبية والصيدلانية منسوبة إلى أطباء لاحقين علي الرازي وكتاب الحاوي يثبت أن اصحابها الاصليين كانوا قبل الرازي أو معاصرين له .

- تصب النقطتان السابقتان في مسار تغيير وتصحيح حلقات مهمة من سلسلة تاريخ الطب العالمي .

وضع قاموس للمصطلح الطبي العربي الإسلامي يخدم كل المشتغلين بتاريخ الطب ويفعّل حركة تعريب العلوم الطبية التي بدأت بوادرها في الدول العربية والإسلامية .

- إنشاء لجنة أو هيئة طبية صيدلانية عربية تقوم باستخدام الأساليب المعملية الحديثة بإجراء التجارب علي الوصفات العلاجية بالنباتات الطبيعية والأعشاب التي تحتويها موسوعة الحاوي وتقديم ما يصلح منها للعلاج حاليا في صورة صيدلانية حديثة، وذلك أسوة بالشوط الكبير الذي قطعته كثير من دول العالم في هذا الميدان ، فأصبح مألوفا أن نسمع ونرى الطب والعلاج الصيني ، الطب والعلاج الهندي ، الطب والعلاج البولندي ... الخ فضلا عن أن ألمانيا تكاد تكون قد انتهت من تقرير المعالجة بالنباتات والأعشاب الطبيعية لأغلب الأمراض السائدة حاليا .

- إن تحقيق و نشر موسوعة الحاوي في الطب للرازي في طبعة محققة تحقيقا علميا منهجيا دقيقا سوف يفيد منها كل الجامعات والمؤسسات والمعاهد ومراكز البحوث العربية والغربية المعنية بتاريخ العلم عامة وتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين خاصة بما يخدم إعادة استخراج المكنون العلمي والفكري الكبير للحضارة العربية الإسلامية والعمل علي التعريف بدوره في تأسيس الحضارات الإنسانية المختلفة .

- إن تحقيق و نشر الحاوي يندرج ضمن منظومة حماية التراث العلمي العربي والإسلامي ورد اعتباره والعمل علي صيانته ودمج مكوناته النظرية والعملية في المنظومة التعليمية الحديثة والعمل علي استعادة ما

فقد منه ، والتعاون مع الهيئات والمنظمات العلمية العالمية علي اعتبار هذا التراث قاسما انسانيا مشتركا خدم الحضارات الإنسانية ويشكل حاليا قاعدة معرفية للتواصل بين العرب والمسلمين وغيرهم من أصحاب الحضارات الأخرى .

-

إسهام المحققين العراقيين في تحقيق كتب التراث مصطفى جواد أنموذجا

أ.د. وجدان فريق عناد جامعة بغداد

يعد العلامة مصطفى جواد واحداً من ابرز الشخصيات العراقية في القرن العشرين، وجهوده العلمية كثيرة جدا، واهتماماته أكثر، ومجالاته الإبداعية عديدة . إلا إننا هنا سوف نحاول أن نركز على جانب مهم من سيرته العلمية، ألا وهو التحقيق . فمعظم الناس يعرف مصطفى جواد رجلاً من أهل اللغة، ولكنه أبدع كذلك في مجال الدراسات التاريخية، وانه خلال رحلته الطويلة في طلب العلم وصل إلى فرنسا، إذ درس في جامعة السوربون، وعمل على نشر علمه في الأماكن المختلفة التي عمل بها، حتى انه كان مدرساً للملك فيصل الثاني .

إن النتاج العلمي لمصطفى جواد غزير بين التأليف والترجمة والكتابة في الصحف والعمل في الإذاعة، والتحقيق واحد من مجالاته الإبداعية، وكان من أبرز إعماله في التحقيق: الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير لابن الساعي البغدادي، والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد لابن الدبيثي، ومختصر التاريخ لابن الكازروني، وغيرها .

ولما كان البحث مركز على محور التحقيق لذلك سوف نقسم البحث على المحاور الآتية :

أولا : لمحة تاريخية عن المحقق مصطفى جواد . وفيه تناولنا :- ولادته ، أسرته ونشأته ، رحلته في طلب العلم ، حياته العملية ، وفاته .

ثانيا : الجهود العلمية للمحقق مصطفى جواد ، وفيه تناولنا مؤلفاته ، ولكثرتها ذكرنا بعضها ولاسيما التاريخية والمحققة .

ثالثا : منهج مصطفى جواد في التحقيق ، وفيه تناولنا المحقق ومخطوطة المختصر المحتاج إليه ، ومنهجه في تحقيق المخطوطة ، وفيه سجلنا بعض الملاحظات .

وسيتناول البحث هذه المحاور بالتفصيل، علنا نتمكن من بيان جهد هذا الرجل الذي كرس حياته للعلم، فرحم الله العلامة مصطفى جواد وأسكنه فسيح جناته .

وسوف نعتمد على كتاب " المختصر المحتاج إليه من تأريخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد ابن الدبيثي" لبيان جهود المحقق مصطفى جواد ومنهجه في التحقيق وتحديدا على الجزء الثاني والثالث ، وذلك لأن العثور على الجزء الأول كان صعب جدا ، فضلا على ضيق الوقت المحدد للندوة .

ولما كان البحث محدد بعدد الصفحات لذلك سوف نختار مثلا لبعض الحالات لتكون مثلا على منهج المحقق مصطفى جواد .

أولاً : لمحة تاريخية عن المحقق مصطفى جواد

ولادته

ولد مصطفى جواد في سنة 1910 م ، في مدينة بغداد ، وسمي مصطفى على أسم جده لأبيه [1] .

أسرته ونشأته

وكان مصطفى جواد من أسرة عراقية بعيدة عن مجال العلم ، فهو الابن الأصغر لأب كان يعمل خياطا في بغداد ، إلا إن إصابة الأب بالعمى جعلت الأسرة تنتقل إلى محافظة ديالى إلى منطقة دلتاوه – الخالص – في بعقوبة ، ومن هناك بدأ رحلته لطلب العلم ، إذ دخل هناك الكتاب ثم المدرسة [2] .

رحلته في طلب العلم

على الرغم من أن المرحوم مصطفى جواد كان من عائلة بسيطة ، إلا انه كان محباً للعلم ساعيا له ، ويبدو ذلك واضحاً من خلال سيرة حياته ورحلته في طلب العلم .

كانت رحلة مصطفى جواد في طلب العلم شاقة وخلالها نتقل في أكثر من مدرسة ، أرغمته على ذلك الظروف الاقتصادية التي كان يمر بها ، فبدأ حياته العلمية في منطقة دلتاوه ، إذ التحق بالكتاب حيث حفظ القران الكريم ، ثم دخل المدرسة الرسمية هناك وهي مدرسة دلتاوه الابتدائية، وخلال تلك المرحلة تعرض العراق إلى الاحتلال البريطاني ،دخل الجيش البريطاني إلى منطقته . وبعد أن انتقل والده إلى جوار الله ، انتقل للدراسة في بغداد في المدرسة الجعفرية الأهلية ، ثم عاد إلى منطقة دلتاوه ، ويبدو أن عودته إلى محافظة ديالى مرة أخرى كانت من اجل تدبير الناحية المادية ، وذلك من خلال الإفادة من حصته في البساتين التي ورثها عن أبيه ، لتقصير أخيه الأكبر كاظم في ذلك . وهناك أكمل الدراسة الابتدائية ثم دخل دار المعلمين بعد أن اجري له امتحان أظهر فيه تفوقه العلمي ، وذلك سنة 1921م وتخرج معلما سنة 1924م. بعدها دخل في الحياة العملية في مجال التعليم والكتابة في المجلات وعمل في عدة أماكن [3].

إلا إن رغبته فطلب العلم لم تنتهي ، فقد رشح مصطفى جواد للبعثة العلمية سنة 1934 من قبل وزارة المعارف إلى الولايات المتحدة لدراسة الآثار ، إلا انه سافر إلى القاهرة لدراسة اللغة الفرنسية في كلية الآداب ، ثم سافر

---

[1] سنة ولادة مصطفى جواد مختلفة بين المراجع التاريخية . فذكرت السنوات الآتية تاريخاً لولادته : 1901 ، 1904 ، 1906، 1907، 1908 . وثبتنا سنة 1910 لكونها السنة المثبتة في السجلات الرسمية . ينظر : فاهم نعمة إدريس الياسري ، مجلة لغة العرب دراسة فكرية – سياسية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1989، ص129؛ يوسف عز الدين ، شعراء العراق في القرن العشرين ، ج1، بغداد ، 1969 ، ص 161 .

[2] ينظر: – وحيد بهاء الدين ، مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية وخططي بغداد الفرد ، النجف الاشرف ، 1971، ص34؛ محمد عبد المطلب البكاء ، مصطفى جواد وجهوده اللغوية ، بغداد ، 1982، ص27–28.؛ سالم الآلوسي ، ذكرى مصطفى جواد ، بغداد ، 1970، ص .

[3] فاهم نعمة ، مجلة لغة العرب ، 120 –13 .

إلى فرنسا ودخل جامعة السوربون وقد ساعده في باريس المستشرق الفرنسي المعروف لويس ماسينيون ، للحصول على شهادة الدكتوراه [1] .

إن تلك الرحلة الطويلة في طلب العلم حيث الانتقال بين الكتاتيب والدراسة النظامية في المدارس الحكومية والأهلية وفي أكثر من مكان ، زادت من الإمكانيات العلمية لديه ، لأنها وفرت له الإطلاع والتعرف على بيئات مختلفة . فضلا عن أن الدراسة في فرنسا منحته فرصة طيبة للتعرف على المستشرقين والباحثين ، الأمر الذي بلا شك أضاف إليه الكثير .

الحياة العملية لمصطفى جواد

بدأ مصطفى جواد حياته العملية في مجال التعليم فقد عين معلما في مناطق مختلفة من العراق منها : مدرسة الناصرية الابتدائية ، ثم البصرة ، ثم انتقل دلتاوة ، ثم إلى مدرسة الكاظمية ثم عمل بوظيفة كاتب تحريرات في وزارة المعارف ، وبعد عودته من فرنسا.

عين مدرسا في دار المعلمين العالية سنة 1939 ودعي سنة 1943 لتعليم (الملك) فيصل الثاني اللغة العربية ، كما عين عميدا لمعهد الدراسات الإسلامية ، وبقي فيه حتى 1963 ، إذ عاد للعمل أستاذا في كلية التربية بجامعة بغداد وبقي واستمر كذلك حتى قبل خمس سنوات من وفاته ، إذ أقعده المرض في داره ..انتخب عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي ثم عضوا مراسلا للمجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1947 م ، وفي المجمع العلمي العراقي سنة 1949م، و مراسلا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة[2]

وفاته

[1] ذكر البعض أن مصطفى جواد كتب أطروحته للدكتوراه وكانت في التاريخ وعنوانها : ((سياسة الدولة العباسية في أواخر عصورها)) .. وقد عاد إلى العراق أثناء الحرب العالمية الثانية دون أن يناقش الأطروحة بسبب ظروف الحرب وهجوم الألمان على باريس ..، بينما هناك من ذكر انه عاد إلى العراق بعد حصوله على شهادة الدكتوراه .ينظر: – يوسف عز الدين ، شعراء العراق ، ص167 ؛ محمد عبد المطلب البكاء ،مصطفى جواد وجهوده اللغوية ، بغداد 1982، ،ص27 –38.؛ فاهم نعمة ، مجلة لغة العرب ،ص 131.

[2] ينظر : مير بصري ، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ، بغداد ، 1971، ص185- 187؛ وحيد بهاء الدين ، مصطفى جواد ، 74- 75 ؛ فاهم نعمة ، مجلة لغة العرب ، ص131 – 132.

توفي مساء الأربعاء 17 كانون الأول سنة 1969 في مدينة بغداد وشيع رسميا وشعبيا ، على اثر إصابته بمرض القلب [1] .

ثانيا – الجهود العلمية للمحقق مصطفى جواد

كانت الجهود الأولى لمصطفى جواد بعد أن تخرج ، إذ بدأ بالكتابة والبحث في المجلات ، فكانت البداية مع مجلة المعلمين التي أصدرها هاشم السعدي ببغداد، ثم كتب المقالات في مجلة لغة العرب لصاحبها الأب انستاس الكرملي ، وفي مجلة العرفان اللبنانية ، وفي بعض صحف بغداد ومنها جريدتي العراق والعالم العربي [2] .

مؤلفات مصطفى جواد

ليس من السهولة حصر نتاج الدكتور مصطفى جواد ، ولكن لابد من الإشارة إلى ابرز نتاجاته. فهي متنوعة بين كتب محققة ، وكتب مؤلفة ، وكتب مترجمة ، ومقالات وأبحاث في مختلف الجوانب التاريخية والحضارية ، فضلا عن الندوات والبرامج الإذاعية ، وهي لوحدها تؤلف كتاباً مستقلاً .

لذلك سوف نشير إلى بعض مؤلفاته المحققة والتاريخية منها على سبيل المثال لا الحصر[3] .

1- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة لابن الفوطي .

2- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير) لابن الساعي البغدادي .

3- المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد لابن الدبيثي .

4- مختصر التاريخ لابن الكازروني .

5- الفتوة لابن المعمار البغدادي الحنبلي .

6- دليل خارطة بغداد المفصل ووضعه بالاشتراك مع الدكتور احمد سوسه.

7- عصر الإمام الغزالي.

8 – أبو جعفر النقيب .

9- سيدات البلاط العباسي.

10- دار الخلافة العباسية : تعيين موضعها وأشهر مبانيها.

---

[1] ينظر : مير بصري ، أعلام اليقظة ، ص189

[22] فاهم نعمة ، مجلة لغة العرب ، 131.

[3] ينظر عن النتاجات العلمية للمرحوم مصطفى جواد . عبد الزهرة هامل غياض ، الجهود العلمية للعلامة الدكتور مصطفى جواد : كشاف تفصيلي لآثاره المطبوعة والمخطوطة ، بغداد ، 2011.

11- بغداد مدينة السلام تأليف ريجارد كوك ، ترجمه بالاشتراك مع فؤاد جميل .
12- رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا سنة 1213هـ/1799 .
13- بغداد في رحلة تمور .
أما عن المقالات والدراسات التي تدور حول موضوعات عديدة فهي كثيرة [1] .

ثالثا : منهج مصطفى جواد في التحقيق

التحقيق في اللغة من الإحقاق والإثبات حتى قيل أحققت الأمر إحقاقا ، إذا أحكمته وصححته ، وحقق الرجل القول صدقه ، وسمي العالم المحقق محقا " [2] .

وفي الاصطلاح عرف التحقيق بأنه الجهد الذي يبذله المحقق من أجل العناية الخاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة [3] .

وأن التحقيق نتاج خلقي ، لا يقوى عليه إلا من وهب صفتين هما الصبر والأمانة [4] .

إن أجمل وصف لجهود مصطفى جواد في التحقيق هو : " إن إطلاعه على المخطوطات والكتب التراثية وسعيه إلى نسخ العشرات منها ساعده على اتساع خياله التراثي وإرجاع الفرع الذي قرأه في الكتب الأولى إلى الأصل ، وهذه المراجعة والمذاكرة مع الذات مهدت له الطريق لاكتشاف المزيد من حقائق اللغة التراثية وجعلت ذهنه ذهنا مقارنا حيوي التخريج . كما إن معايشته على ارض التاريخ والآثار أعطته خبرة جديدة في الكشف عن الغامض في تراثنا ، وهذا البحث عن الغامض هو الذي دفعه إلى الاجتهاد .. للتوصل إلى الحقيقة أولا والى اليقين التراثي ثان . وقد قضى شطرا طويلا من حياته في متابعة الأفلام البوليسية وكان يردد انه يستفيد منها ويتعلم فن المطاردة ، فالمطاردة في هذه الأفلام تشبه المطاردة في تحقيق الكتب التراثية ، من المؤلف ؟ ومتى حبر الكتاب ؟ وأي نقص يختفي بين الأسطر والصفحات ؟ " [5].

المحقق مصطفى جواد ومخطوطة المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله أبن الدبيثي (ت637هـ/ 1239م) : -

---

[1] تحتاج البحوث والمقالات إلى بحث لوحدها ، ولما كان البحث مهتم بجهوده وأسلوبه في التحقيق وليس استعراض نتاج المرحوم مصطفى جواد . ينظر : - عبد الزهرة هامل غياض ، الجهود العلمية للعلامة الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ، 2011، ص ص36- 110.

[2] الجاحظ ، من رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج1/338-339 .، ص 39.نقلا عن عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص ونشرها ، ط2، مطبعة المدني ، القاهرة، 1965.

[3] عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص ،ص39.

[4] المرجع نفسه ، ص44

[5] جريدة الزمان ،28 تشرين الثاني 2005 .

كان مصطفى جواد حريصاً على إتباع المنهج العلمي في التحقيق ، محاولاً الوصول إلى كل ما فيه خدمة المخطوطة ، ويسعى ليكون أمينا على ذلك الجهد العلمي الذي بين يديه . كما أن الإطلاع والمعرفة والمتابعة الدائمة لمصطفى جواد جعله يميز قيمة المخطوط الذي يقع بين يديه . لذلك أهتم كثيرا بتحقيق ونشر مخطوطة " المختصر المحتاج إليه من تاريخ أبي عبد الله ابن الدبيثي" ونشره على أجزاء مستقلة ، بتكليف من المجمع العلمي العراقي [1] .

ومن حرصه على إكمال العمل ، شعر بألم كبير عندما وجد الجزء الأول [2] دون الطموح فقال : " ولم أجد من إدارة المجمع أيامئذ عناية بهيأة الإخراج ولا بالورق ولا بسبر الطباعة فجاء الطبع وسطا ليس بالجيد النفيس ولا بالرديء، وكذلك الورق ، ومع بذل المجهود في التصحيح وقعت غلطات طبع استدركت أكثرها في آخر الجزء الأول "[3] .

إن الأمانة العلمية التي اتصف بها المحقق مصطفى جواد ، مع الإدراك للقيمة العلمية لكتاب ابن الدبيثي ، هي التي دفعته لكي يكرر الطلب بإلحاح من أجل أن يكمل المجمع العلمي مشروع نشر مخطوطة ابن الدبيثي فقال بلغة ممتلئة بالأسى والاستغراب والأسف : " ومما يحدو على الأسف ويبعث على الاستغراب أن المجمع العلمي قد كان رغب عن الاستمرار على نشر الكتاب ، عدة سنين جاوزت عشراً ، محتجا بأن الكتاب لا يباع بسرعة ، وتلك حجة داحضة فإن المجمع لم يؤسس ليكون دار نشر تجارية قوامها الاتجار بطبع الأسفار غير رانية إلى ما سوى الربح والاستفادة المادية ، بل أسس لنشر العلم والأدب وإحياء التراث القومي والإنفاق على ذلك وافي الإنفاق ....."[4] .

واستمر مصطفى جواد بدافع حرص العالم ، العارف لقيمة المخطوط الذي عمل على تحقيقه ، يطلب من المجمع العلمي العراقي الاستمرار في إكمال العمل حتى حقق غايته وجاءت الموافقة ، فتوكل المرحوم مصطفى جواد على الله وأكمل تحقيق القسم الثاني [5] .

ومع أن القسم الثاني قد طبع [6]، إلا إن مصطفى جواد لم يكن راضياً عن الطبع فقال : – " ثم دُعي أرباب المطابع للمناقصة على طبعه على الطريقة التي أدت إلى تأخر الطباعة في العراق ، فأحيل على مطبعة الزمان التي هي من نوع الاتنرتايب . وهذه المطابع لم تبلغ كمال الطبع المشكل ، فأن مع كل حرف مشدد من الكلمة خطا

---

[1] ابن الدبيثي ، محمد بن سعيد بن محمد (ت 637هـ) ، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ، ج2 ، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة الزمان ، بغداد ، 1963 ، ص333.

[2] طبع الجزء الاول من تاريخ ابن الدبيثي ، محمد بن سعيد بن محمد (ت637هـ) ، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ، ج1، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1951.

[3] ابن الدبيثي ، المصدر نفسه ، 2/ 333

[4] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ،ج2/ 333

[5] المصدر نفسه ، 2،/ 333

[6] طبع الجزء الثاني من قبل، مطبعة الزمان ، بغداد ، 1963 .

أفقيا قصيرا .... وليس للمطبعة همزة أخيرة راكبة لطبع مثل البارىء والذارىء والدنيء، ولذلك جاءت هذه الهمزة مثل همزة البريء ... فحدث التباس بين الهمزتين لا يخفى على الأديب ، ولا يعسر تبينه على اللبيب ... وأود .... أن أذكر أيضا أن المطبعة لا تملك في الحروف التي طبع بها متن الكتاب ما يسمى بالعضادتين لبيان الزيادة الواجبة على المتن عقلا أو نقلا من كتاب أخر ، فلذلك اختلطت العضادتين بالأقواس الكبيرة الحاصرة..." [1] .

ومع كل تلك الصعوبات المؤلمة لمصطفى جواد ، إلا أنه لم يبخل ولم يكل في أن يعالج ما أمكنه ، فقال بعبارة ناطقة عن ما كان يشعر به من أسف على أن تضيع قيمة المخطوط بأخطاء الطباعة ، ويضيع جهده في تحقيقه ، لأنه يشعر أن بين يديه أمانة علمية ، قد تكفل على إخراجها من سباتها لترى النور ، فيكون له الأجر في الدنيا والآخرة فقال : " .... وقد وقعت غلطات مطبعية في هذا الجزء الثاني وقد نبهت أكثرها وفاتني أقلها لاني نسخت الكتاب بيدي وصححت مسودات الطبع بعيني وقلمي ، ويصعب على ناسخ شيء مكتوب أن يستقصي هو نفسه الصحة في تصحيحه ، وأن بذل مجهوده ، وهذا أمر معروف مألوف "[2] .

ثم جاء الجزء الثالث من الكتاب المخطوط الذي هو تتمة للجزأين الأول والثاني ، وكان المرحوم مصطفى جواد عمل على أكمال تحقيقه بيده . إلا إن وفاته حالت دون أن يرى الجزء الثالث النور في حياته.

لذلك عمل ناجي معروف على تقديم طلب إلى المجمع العلمي ليقوم هو بمراجعة المخطوط والإشراف على طبعه ، وذلك إدراكاً منه لقيمة ذلك الجزء من الناحية التاريخية [3] . وقد سجل الأستاذ ناجي معروف بعض الملاحظات على عمل المرحوم مصطفى جواد منها :

" لقد تكلم مصطفى جواد في أول الجزء الأول من المختصر على سيرة الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة 748هـ (1347م) ..... وقد ترجم له ترجمة مختصرة وذكر له مؤلفاته ..... غير انه لم يذكرها كلها ولم يحط إلا بجزء منها "[4] .

يبدو إن المطلع على جهود مصطفى جواد سوف يدافع عنه ، وإن سبب عدم ذكره لكل مؤلفات الذهبي ، لم يكن لعدم الاحاطه بها . وهو كمحقق لم يكن ليترك أمر ممكن أن يشكل نقصاً في عمله كمحقق . ولكن كل محقق يعلم أنه يمكن الإشارة إلى أهم المؤلفات . مع العلم أن الذهبي له كتب محققة وفي بداية تلك الكتب توجد ترجمة وافية للذهبي . فضلا عن أن الغاية هو أبن الدبيثي وليس الذهبي . لذلك نجد مصطفى جواد عندما جاء الجزء الثاني ترجم لابن الدبيثي بشكل واف مع مناقشة للروايات المتعلقة بحياته [5] ، لذلك فأن مصطفى جواد كان كان لديه منهج أن يترجم في الجزء الأول للذهبي ، بينما يترجم في الجزء الثاني لأبن الدبيثي وهو الأهم ، وذلك

---

[1] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، 2/ 333-334.

[2] المصدر نفسه ، 2/ 334

[3] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، 3/ 6 .

[4] المصدر نفسه ، 3/ 6 .

[5] المصدر نفسه ، 3/ 2- 17 .

لأن " النسخة الخطية التي اعتمدها المرحوم الدكتور مصطفى جواد في تحقيق المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي كانت بخط شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي صاحب تاريخ الإسلام اختصرها لنفسه ليستفيد منها في تآليفه المشهورة "[1] . كما أن " نحو ثلث تاريخ ابن الدبيثي الأصلي المذكور ما زال مفقودا، وان الموجود منه ينتهي إلى نهاية حرف العين ، ولذلك فان هذا الجزء الذي بين أيدينا من المختصر سيبقى عظيم الأهمية جدا " [2].

لذلك يمكن للمحقق مصطفى جواد أن لا يترجم أصلا للذهبي ويكتفي بترجمة ابن الدبيثي ، لأن الأخير هو المعني كتابه بالتحقيق.

أما عن إن مصطفى جواد " لم يقدم المحقق للجزء الثالث من مختصر ابن الدبيثي وإنما بدأ فيه بالتراجم مباشرة " [3] ، فلابد من الإشارة إلى أن المحقق ، قد ترجم في الجزء الأول للذهبي والثاني لأبن الدبيثي . فما الذي سيقدم له في الجزء الثالث . وربما أن المرحوم مصطفى جواد كان سيكتب مقدمة للجزء الثالث بعد أن يدخل الكتاب إلى المطبعة ، وان جاء الجزء الثالث بدون مقدمة فلا ضير طالما انه أعطى حق التقديم في الجزأين السابقين [4] .

كما ذكر ناجي معروف : " وقد وضع المرحوم مصطفى جواد مستدركين في التراجم والأخبار والفوائد في آخر الجزء الأول في 42صفحة . كما ألحق في الجزء الثاني مستدركا في التراجم يحتوي 129 ترجمة نقلها من نسخة باريس ، وهي نسخة غير جيدة . ولم ينقلها من مخطوطة شهيد على باستانبول وهي نسخة حسنة وبذلك ارتبك الكتاب بين الأصل والتعليق والمستدرك على أن هناك في جامع الزيتونة بتونس نسخة أخرى من تاريخ ابن الدبيثي لم يعرفها الدكتور مصطفى جواد ، ولم يشر إليها " [5] .

ويبدو إن تلك الملاحظات يمكن التعليق عليها من باب أن المتوفر بين يدي مصطفى جواد في ذلك الوقت هي مخطوطة باريس، والنسخة المصورة في المجمع العلمي ، فمن غير الممكن والمعقول أن يترك نسخة اسطنبول ويعتمد نسخة باريس أن كانت موجودة بين يديه ، فضلاً عن إن ناجي معروف أشار بنفسه إلى أن مصطفى جواد لم

---

[1] المصدر نفسه ، 3/ 7 .

[2] المصدر نفسه ، 3/ 5 .

[3] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، 3/ 7 .

[4] عادة يكون التقديم في الجزء الأول للكتاب المحقق ، أما بقية الأجزاء فتأتي دون تقديم . طالما أن المحقق نفسه . ينظر الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير (310 هـ) ، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج1، ط2، دار المعارف ، مصر ، 1967، كما تنظر بقية الأجزاء دون تقديم وإنما تأتي الأجزاء الأخرى مكملة للجزء السابق ؛ ابن كثير ، أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت774هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق احمد أبو ملحم وعلي نجيب عطوي وآخرون ، المجلد الأول ، ط4، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988. ينظر بقية الأجزاء التي جاءت دون تقديم والاكتفاء بالتقديم الذي كان في المجلد الأول .

[5] ابن الدبيثي، المختصر المحتاج إليه ، ج2/ 7.

يكن يعرف أمر نسخة تونس . وبذلك يكون المرحوم المحقق مصطفى جواد قد حرص على الإفادة من المتوفر بين يديه في حينه [1] .

ومن المعروف إنه لا يمكن العثور على كل "المخطوطات التي تخص كتابا واحدا إلا على وجه تقريبي ، فمهما أجهد المحقق نفسه للحصول على أكبر مجموعة من المخطوطات فإنه سيجد وراءه معقبا يستطيع أن يظهر نسخا أخرى "[2] .

أما عن أن المحقق مصطفى جواد لم يجزم بنسب أبن الدبيثي إلى الحجاج بن يوسف الثقفي . " ولما كانت الحقائق لا تبنى على الظن " كما ذكر ناجي معروف [3] ، فيمكن للقارئ أن يطلع على تقديم المرحوم المحقق مصطفى جواد والروايات المستند عليها ومناقشتها . وبين ما ذكر في مقدمة الجزء الثالث للأستاذ ناجي معروف . وربما سيجد إن ما وصل إليه مصطفى جواد اقرب إلى الحقيقة التاريخية . والاهم أن لكل باحث في التاريخ وجهة نظر وفقا للمصادر التي يعتمدها بعد أن يأخذ بالمنهج العلمي التاريخي ، وان الاختلاف في وجهات النظر لا يفسد للود قضية .

أما عن إن مصطفى جواد لم يبحث " الموارد التي أستقى منها ابن الدبيثي كتابه "[4] ، فهذا شيء لا يمكن أن يغفله المحقق مصطفى جواد ، والقارئ لهوامش الكتاب المحقق يجد المرحوم مصطفى جواد يشير إليها في أثناء المقابلة بين النصوص ، أو أثناء التعليقات ، وربما كانت تلك الموارد هي بعض ما أراد المرحوم مصطفى جواد أن تكون في مقدمة الجزء الثالث ، ويبدو لنا أن موضوع الموارد فيه إشارات مهمة عند مصطفى جواد ، لذلك لم يذكرها في مقدمة الجزء الثاني ، حتى لا تطول مقدمة الجزء الثاني ، وربما لأنه علم أن الدكتور بدري محمد فهد كان مهتم بموضوع الموارد ، لذلك أجل المرحوم ذكرها إلى الجزء الثالث ليشير إلى الدكتور بدري محمد فهد .

كما أن هناك ما يدل على أن المرحوم مصطفى جواد لم يكمل تحقيق الجزء الثالث بشكل نهائي ، وان ما اعتمد عليه ناجي معروف يمكن أن نسميه المسودة التي لا تزال بحاجة إلى العمل لتخرج بشكل نهائي قبل أن تذهب إلى المطبعة . وهو ما ذكره ناجي معروف حيث قال " بذلت جهدا كبيرا في التوفيق بين أرقام المتن والهوامش إذ جاءت مختلفة أو مكررة أحيانا ومضطربة أحياناً أخرى ... فأغلب الهوامش لم تدون بحسب تسلسلها وبعضها أرقام بدون شروح وأحيانا تتقدم التراجم المتأخرة على المتقدمة ولذلك رتبت التراجم بحسب تسلسلها واكتملت الشروح الناقصة وضبطت بالشكل كثيراً من أسماء الأعلام والمصطلحات وغيرها "[5] .

---

[1] مع الأسف لم أتمكن من العثور على الجزء الأول لمعرفة ما إذا كان مصطفى جواد قد أشار إلى النسخ التي اعتمدها في التحقيق والمقابلة . وما هو تعليقه على النسخة التي اعتمدها .

[2] عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص ونشرها ، ص36 .

[3] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج اليه ، 3/ 8 .

[4] المصدر نفسه ، 3/ 11 .

[5] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، 3/ 12

وهذا أمر بديهي فالمسودة هي نسخة المؤلف الأولى قبل أن يرتبها بشكلها الأخير ، أما المبيضة فهي النسخة التي اكتملت وسويت وارتضاها المؤلف لتخرج إلى النور [1] .

ومن ذلك يبدو أن المرحوم المحقق مصطفى جواد قد بذل جهداً ليس بالقليل من أجل أخراج المخطوطة إلى النور على الرغم من كل الذي أشرنا إليها ، ويبقى له أجر الاجتهاد .

منهج المحقق مصطفى جواد في تحقيق مخطوطة المختصر المحتاج اليه من تاريخ أبي عبد الله ابن الدبيثي :

كان المرحوم المحقق مصطفى جواد يمتلك أدوات التحقيق التي تؤهله للقيام بهذه المهمة الشاقة ، وهو على معرفة تامة بطبيعة العمل والمسؤولية الملقاة على عاتقه ، فحاول أداء تلك الأمانة على أتم وجه بكل المتاح والمتوفر حينها .

كان المرحوم المحقق مصطفى جواد يتبع المنهج العلمي المعروف عند المحققين في عمله ، إلا إن العلمية والمعرفة بأهمية العمل الذي ينجزه المحقق مصطفى جواد تبدو واضحة لقارئ ذلك الكتاب ، كما أنها تبين المعرفة الواسعة جدا للمصادر ، والخبرة في كيفية التعامل مع المعلومة .

ويبدأ التحقيق عادة من عنوان الكتاب المخطوط ، واسم المؤلف ، ونسبة الكتاب إلى مؤلفه ، ومن ثم تحقيق متن الكتاب المخطوط، ومن ثم الاهتمام بمكملات التحقيق .

فيبدأ بالتعريف بصاحب المخطوطة من حيث نسبه وأسرته ومجمل سيرته وأسلوبه وتاريخه . ولم يكن يكتفي بجمع المعلومات عن صاحب المخطوطة بل يناقش تلك المعلومات ويرتبها من أجل الاقتراب إلى الحقيقة التاريخية قدر استطاعته ، ليسد الثغرات في المواضع التي صمتت فيها المصادر التاريخية [2] .

كما هو الحال مع نسب ابن الدبيثي ، لذلك كان دقيقا في معالجة الموضوع[3] . بعد ذلك يبدأ المحقق في تحقيق متن المخطوطة : وهذا جزء لا يقل أهمية عن الذي سبقه لأن معناه " أن يؤدي الكتاب أداءً صادقا كما وضعه مؤلفه كما وكيفا بقدر الإمكان ..... فليس تحقيق المتن تحسينا أو تصحيحا ، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ ، فإن الكتاب حكم على المؤلف ، وحكم على عصره وبيئته ، وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها ، كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوان على حق المؤلف الذي له وحده حق التبديل والتغيير "[4] .

---

[1] عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص ونشرها ، ص30.

[2] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، ج2/ 3- 17

[3] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، ج2/ ص3- وما بعدها .

[4] عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها ، ص44

وهناك مقدمات لتحقيق المتن أهمها : التمرس بقراءة النسخة ، والتمرس على أسلوب المؤلف [1]، كما على المحقق الإلمام بالموضوع الذي يتناوله الكتاب ، حتى يفهم النص ويتجنب الوقوع في الخطأ [2]، كما لابد أن يستعين بمجموعة من المصادر والمراجع منها كتب مؤلف المخطوطة نفسه ، والكتب والمخطوطات التي لها علاقة بالمخطوطة المحققة كالشروح والمختصرات والتهذيبات التي تفيد المحقق في ضبط النصوص وبيان الغامض منها ، والكتب التي اعتمدها المؤلف في تأليفه الكتاب المخطوط ، والموارد التي استقى منها معلوماته ، لأن المحقق متى ما تمكن من الوصول إلى تلك الموارد سهل عمله في تحقيق متن الكتاب المخطوط ، فضلا عن الكتب المعاصرة للمؤلف التي تعالج نفس الموضوع أو قريبا منه . أما المراجع اللغوية فهي مصدر مهم يعتمد عليه المحقق لأنها المقياس على صحة النص لغويا ، ومنه معاجم الألفاظ ، ومعاجم المعاني ، ومعاجم الأسلوب ، ومعاجم المعربات ، ومعاجم اللغات ، والمراجع النحوية ، فضلا عن المراجع العلمية الخاصة وهي مختلفة حسب موضوع الكتاب المحقق [3] .

ومعظم ذلك ينطبق على مصطفى جواد الذي له باع طويل في ذلك المجال من خلال الخبرة الطويلة في مجال الدراسات التاريخية ، والتحقيق، والمعرفة العميقة باللغة العربية ، وفي قراءة نسخ المخطوطة وخط المؤلف [4]، كما أنه استعان بمجموعة كبيرة من المصادر القريبة من الموضوع والمعاصرة للكتاب المخطوط منها ياقوت الحموي صاحب كتاب معجم البلدان [5]، والمراجع اللغوية ويبدو ذلك من الدقة في تميز الاختلاف بين الأسماء والألقاب والمعاني . وبين الكلمات المعربة [6] ، والمراجع الحديثة ، وقد أفاد منها في مواضع متعددة منها بيان الأسماء غير العربية مثل التركية [7] ، ويبدو ذلك واضحاً من خلال الهوامش وقائمة المصادر والمراجع[8] .

أما عن الهوامش فالمحقق مصطفى جواد ، لم يترك شيئاً دون توضيح وتعليق ، فالهوامش عنده ممتلئة بالمقارنة بالمعلومات من المصادر الأخرى التي ذكرت الترجمة ذاتها في المخطوطة التي يحققها [9] .

---

[1] المرجع نفسه ، ص48، 55

[2] المرجع نفسه ، ص55

[3] المرجع نفسه ، ص ص55- 58.

[4] لقد أفاد مصطفى جواد من نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ونسخة المجمع العلمي المصورة . ينظر : – ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، ص2/ 7، 9

[5] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ،ج 3/ 7

[6] المصدر نفسه ، ج2/ 13 ، 18 ،68

[7] المصدر نفسه ، ج2/ 58

[8] ويبدو ذلك من القائمة التي حملت عنوان " مراجع التصحيح والتعليق والتراجم التي في الحواشي " ومن خلالها يبدو أن المحقق مصطفى جواد قد أستوفى ذلك الجانب من التحقيق . ينظر : – ابن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه، ج2/321- 326.

[9] المصدر نفسه ، ج2./80 .

وكان أمينا في النقل من المصادر التاريخية بحيث علامات الاقتباس تدل على انه يتجنب أن يختلط على القارئ رأيه وما قالت المصادر ، لذلك يثبت علامات الاقتباس حتى يظهر بوضوح أن تلك الآراء ليست للمحقق ، وانه لم تصدر منه . كما انه كان يذكر اختلاف النسخ والمصادر في التسمية .ويقارن بينها محاولا التقرب إلى الأصح .[1]

كما يلاحظ تنوع المصادر التاريخية التي اعتمدها في عمله فهو لم يقتصر على كتب التراجم والمقارنة بينها ، وإنما أفاد من كل معلومة موجودة في المصادر الأخرى مثل الجغرافية كياقوت الحموي [2]، والبحوث العلمية الحديثة المنشورة كمقالة المستشرق اليهودي كلود كان عن الإمام عبد الله الشقاق في مجلة دراسات شرقية سنة1951[3] .

وكان المحقق حريصاً على بيان اختلاف اللفظ في الكلمة من خلال الحركات والاستعانة بالمعاجم المختلفة [4] .

وكذلك الحال في توثيق المعلومات المتعلقة بالألفاظ والاختلافات اللغوية [5] ، مثلا : لفظة البردغولي " وجاءت نسبته البردغولي بالباء والعين المهملة وبغير ياء النسب أي البردعول .... ولعله مركب من البرد والغول لقب مركب لأحد أجداده ....."[6] .

ومع أن من المسلمات التي لا يختلف عليها اثنين أن مصطفى جواد علم في اللغة العربية ، فالتوثيق لا غنى عنه حتى في تلك الحالات التي يعتمد فيها المحقق على سعة المعرفة لديه .

إن هوامش مصطفى جواد لوحدها تحتاج إلى دراسة واسعة ، لأن فيها معلومات مهمة في توضيح أماكن ، وإزالة الوهم والخطأ في اسم شيخ أو كتاب ، وتعليقاته كثيرة ، كما أن في الهوامش ذكر أسماء كتب لبعض المؤلفين وردت في بطون الكتب التي اطلع عليها واعتمده في التحقيق ، منها " وذكر له أبن النجار في تاريخه استطرادا كتاب حل الإشكال في الرقوم والاشكال ، وفي وقف راغب باشا بالاستانة كتاب الاعلام بمناقب الإسلام بخطه ، وفيها كتاب الإسرار الآلهية لأبي حامد الاسفزاري بخطه أيضا " [7] .

فهو بدون شك كان يملك الصبر والعلمية ، وان الهامش الواحد ربما أخذ من وقته الكثير ، فالهوامش وحدها سيل عارم من المعلومات المتدفقة ، وكلها تدور في فلك خدمة النص الأساس الذي يحققه .

---

[1] المصدر نفسه ، ج2/57- 58

[2] المصدر نفسه ، ج2/ 20 ، 22 .

[3] المصدر نفسه ، ج2/32هـ ، 30 .

[4] المصدر نفسه ، ج2 / 33هـ،37.

[5] ابن الديبثي ، المختصر المحتاج إليه ،ج2، 70 ،223،98،207..،78، 76 .

[6] المصدر نفسه ، 2 /110 .

[7] المصدر نفسه ، ج2 ./109،81 .

ولم يغفل مصطفى جواد التصحيف ولا التحريف الذين " هما أكبر آفة منيت بها الآثار العلمية "[1] ، واعتمد في عمله على مجموعة كبيرة المصادر ، منها كتب الرجال ، والمؤتلف والمختلف ، وعلى سبيل الذكر لا الحصر كتب ابن حجر والسيوطي والذهبي .....الخ [2] .

كما أنه عالج مسألة مهمة تتعرض لها النصوص هي الزيادة والحذف [3] ، وقد عمل مصطفى جواد على إتباع المنهج العلمي الصحيح في معالجة ذلك عن طريق أنه اعتمد أفضل النسخ بين يديه ، والمقابلة مع النسخ الأخرى ، واستعان بالمصادر الأخرى حتى تمكن من تميز الزيادة المقحمة على النص ، وكل ما كان يقصد به التوضيح على النص والإضافة بقصد الإيضاح فكان الهامش مملكته . وقد راعى مصطفى جواد الأمانة العلمية في عدم التغيير والتبديل والضبط في النص المحقق والتوضيح بالأعلام والإشارات التاريخية والأدبية والأشعار . [4]

وختم مصطفى جواد جهوده بالفهارس التي لها المقام الأول بين مكملات التحقيق ، وذلك لأهميتها إذ بدونها تكون الإفادة من الكتب صعبة ، لأن الفهارس "تفتش ما في باطنها من خفيات يصعب التهدي إليها ، كما أنها معيار توزن به صحة نصوصها، بمقابلة ما فيها من نظائر قد تكشف عن خطأ المحقق أو سهوه"[5] .

نجد مصطفى جواد يختم كتابه المحقق بمجموعة من الفهارس يقسمها إلى ما يأتي :-

فهارس الأعلام المترجمين تحت عنوان " ثبت مختصر للمترجمين في هذا الجزء " ، ويعني الجزء الثاني [6] ، ثم يلحقه "فهرست المستدرك ثبت مختصر لأسماء المترجمين فيه " [7] ، وفي الجزء الأول تحت عنوان " فهرس الأعلام المترجمين في المتن " [8] .

فهارس الأماكن التي في المتن مرتبة وفقا لترتيب حروف اللغة العربية [9]، أما الجزء الثاني فكان خالي من فهرست الأماكن .

ولم يكن يتجاهل الأخطاء اللغوية التي قد تكون إثناء الطباعة فيضيف في نهاية الكتاب المحقق تصويبات الأخطاء اللغوية بعنوان " غلطات الجزء الأول المستدركة " أو " معرض الغلط والصواب " ويعمل ذلك بشكل حقول الحقل الأول لرقم الصفحة والثاني للسطر والثالث للغلط والرابع للصواب [1] .

---

[1] عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها ، ص 60 .

[2] ابن الدبيثي، المختصر المحتاج اليه ، ج2/87.

[3] عبد السلام هارون ،تحقيق النصوص ونشرها ، ص 72 .

[4] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، ج2/ 127.

[5] عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص ونشرها ، ص86 .

[6] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، ج2/ ص327- 331.

[7] المصدر نفسه ، ج2 / 333.

[8] المصدر نفسه ، ج3/ 275- 302.

[9] المصدر نفسه ،ج3/ ، ص ص303- 308.

ومع كل الاحترام لجهود مصطفى جواد في تحقيق مخطوطة المختصر المحتاج إليه لابن الدبيثي ، إلا ان هناك عدد من الملاحظات منها :-

يلاحظ أن بعض الهوامش خالية من التوثيق وهذا يكون في حالات يعتقد فيها المحقق مصطفى جواد أن بعض المعلومات لا تحتاج إلى توثيق لأنها من المعلومات التي يرى أنها معلومة ومعروفة . ونلاحظ ذلك في المواضع المتعلقة بالتعريف بالأماكن ولاسيما في بغداد، مثلا في تعريف مقبرة الشيخ شهاب الدين السهروردي[2] ، وكذلك في المسائل المتعلقة باللغة العربية .

ومع أنه كان يشير إلى المصادر التي اخذ عنها في الهوامش ، إلا ان التوثيق لمعلومات المصادر فيها عدم اكتمال . وعلى الرغم من أن مصطفى جواد وضع قائمة للمصادر التي اعتمدها في نهاية الجزء الثاني [3]، إلا إنها قائمة فقيرة جدا لان الذي اعتمده مصطفى جواد في الهوامش من المخطوطات والمصادر والمراجع والبحوث عدد كبير يفوق الذي أشار إليه . وكان من المفروض ان تكون مقسمة إلى المخطوطات والمصادر والمراجع والبحوث ، حتى لا يضيع جهده وتبدو بشكل واضح ضخامة الجهد المبذول .

ولكن يبدو ان المرحوم مصطفى جواد قد اكتفى بتلك القائمة الفقيرة ، لأنه ملزم بشروط معينة لطبع الكتاب وربما منها عدد الصفحات وربما ذلك ما قصده بعبارة " ووكل إلى نشره في أجزاء مستقلة على حسب التعليمات الخاصة بالنشر من حيث الأسلوب والمكافأة "[4] . وربما لذات السبب لم يعمل ثبت – فهرس – بالأشعار ، والأحاديث ، والكتب.....الخ [5].

الخاتمة :

من خلال هذا البحث عن جهود مصطفى جواد في التحقيق توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها :-

ان البحث غير كافي لبيان جهوده في التحقيق ، إنما هو محاولة بسيطة لوضع لمسات عامة عن ذلك ، فالأمر يحتاج إلى ما هو اكبر من ذلك . وقد اتخذ البحث من كتاب ابن الدبيثي المختصر المحتاج إليه أنموذجا لجهود ومنهج مصطفى جواد في التحقيق ، وذلك لأن الإحاطة بجهوده في التحقيق ببحث صغير لا تفي بالغرض .

كما أن جهود المرحوم المحقق مصطفى جواد في التحقيق ، لابد أن ينظر إليه بعين الاحترام والتقدير ، لأن الجهد الكبير الذي كان يبذله من اجل تحقيق الكتاب والأمانة العلمية في العمل وأسلوب التعامل مع المخطوط ، ومن

---

[1] المصدر نفسه ، ج2/342 – 336.

[2] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، ج2/ 12، 20

[3] المصدر نفسه ، ص321– 326.

[4] المصدر نفسه ، ص333

[5] ينظر حول الفهارس التي يجب على المحقق إعدادها : طه باقر وعبد العزيز حميد ، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، 1980 ، ص 176 .

خلال الهوامش يظهر دقة عمله والمعرفة الواسعة ، فضلا عن الصبر الطويل ، فهو بذلك يمتلك كل مؤهلات المحقق الناجح فتكون سيرته دروس عملية لكل طلبة العلم ، ولاسيما المهتمين بالتحقيق .

إن مصطفى جواد احد الشخصيات المهمة التي يحق للعراق ان يفتخر بها ، فهو بحق يستحق لقب علامة ، فنتاجه الفكري يصعب حصره ، وان المتصفح لعمله لا يمكنه إلا ان ينحي له احتراما .

وان مثل المرحوم مصطفى جواد كثيرون ، ومن واجب الوفاء والعرفان بالجميل لهم ان تهتم الدراسات التاريخية في الكتابة عنهم وعن نتاجهم الفكري والمساهمة في توثيق سيرتهم في الدراسات التاريخية من خلال كتابة الرسائل والاطاريح الجامعية عنهم .

كما لابد من الاهتمام بإعادة طبع كتاب المختصر لابن الدبيثي ، وذلك لأهمية الكتاب من الناحية التاريخية ، وان الطباعة السابقة فضلا عن قدمها وعدم توفرها بالأسواق فيها الكثير من الأمور التي كانت مؤلمة لمصطفى جواد ، لذلك فإعادة الطبع فيه شيء من الوفاء والعرفان لذكرى مصطفى جواد .

كما ان في سيرته إضاءة جميلة ، فهو محب للعلم بالفطرة ، فهو من عائلة لم تكن علمية ، ولكنها تحترم العلم فالأب أرسل ابنه الأصغر مصطفى جواد إلى الكتاب ، ثم إلى المدرسة . وعلى الرغم من وفاة أبيه وسوء الفهم مع أخيه ، إلا ان مصطفى جواد اهتم بتعليم نفسه دون ان يكون هناك من يحثه .حتى غدا العلامة مصطفى جواد الذي يشار إليه بالبنان .

كما ان تنقله إثناء الدراسة والعمل في أماكن مختلفة من العراق أشار واضحة إلى وحدة النسيج الاجتماعي للمجتمع العراقي . فهو بذلك أنموذجا للإنسان العراقي . الصادق الانتماء إلى وطنه .

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر

1- ابن الدبيثي ، محمد بن سعيد بن محمد (ت 637هـ) ، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ، ج2، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة الزمان ، بغداد ، 1963 .

2- ابن كثير ، أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق احمد أبو ملحم وعلي نجيب عطوي وآخرون ، المجلد الأول ، ط4، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988.

3- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) . من رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج 1 ، 1385 هـ .

4- الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ) ، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج1، ط2، دار المعارف، مصر ، 1967.

ثانياً : المراجع

5- سالم الآلوسي ، ذكرى مصطفى جواد ، بغداد ، 1970.

6- طه باقر وعبد العزيز حميد ، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، 1980 .

7- عبد الزهرة هامل غياض ، الجهود العلمية للعلامة الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ، 2011 .

8- فاهم نعمة إدريس الياسري ، مجلة لغة العرب دراسة فكرية – سياسية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1989 .

9- محمد عبد المطلب البكاء ، مصطفى جواد وجهوده اللغوية ، بغداد ، 1982.

10- مير بصري ، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ، بغداد ، 1971.

11- وحيد بهاء الدين ، مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية وخططي بغداد الفرد ، النجف الاشرف ، 1971 .

12- يوسف عز الدين ، شعراء العراق في القرن العشرين ، ج1، بغداد ، 1969 .

النص التراثي وإشكال تعاقب التحقيقات،

(دلائل الإعجاز) لعبدا لقاهر الجرجاني نموذجا.

أ د. عبد الله الرشدي دار الحديث الحسنية، الرباط

المملكة المغربية.

– تأطير موضوع البحث:

يتناول موضوع هذا البحث قضية **تعاقب التحقيقات** على النص التراثي الواحد؛ وهي ظاهرة مشتركة بين تراث الأمم على اختلافها. و ينطلق البحث في الموضوع من تصور جديد للتحقيق؛ إنه هنا مرادف **لفعل القراءة**. و معلوم أن من خصائص القراءة في النظريات النقدية الحديثة **التعدد**، الناتج عن تعدد القراء، على اختلاف الأزمنة والأمكنة، لاختلاف الأسئلة، وتباين مناهج القراءة. إن التعاقب في التحقيق بهذا المعنى هو تعاقب للقراءات المختلفة على النص التراثي الواحد، وهو فعل مشروع. كما أن من سمات القراءة كذلك **الإنتاجية**: (إنتاج معنى جديد)؛ ولكن هذا لا يعني في باب التحقيق المس بقدسية النص، أو امتلاك حق التصرف فيه، أو العدول عن أصول التحقيق وضوابطه، بقدر ما يعني أن اختلاف أسئلة المحققين باعتبارهم قراء، قد يسهم في تقديم فهم جديد للنص المحقق. إن الإنتاجية لا تتحقق بالضرورة مع التعاقب. غير أن كل تحقيق في إطار التعاقب يطبع على المستوى التقني/ الشكلي بلون السؤال الذي يوجه فعل التحقيق. إن التحقيق بهذا المعنى قادر على أن يجعل النص التراثي حيا بين أيدينا، يستجيب لحاجاتنا الآنية، العلمية والحضارية.

الأسئلة الموجهة للبحث:

– هل التحقيق مجرد نظام من التقنيات والقواعد، والخطوات العلمية، يمارسها محقق النص أثناء عملية التحقيق، أم أنه يرقى إلى مستوى قراءة إنتاجية تراعي خصوصية النص المحقق، وتجيب عن أسئلة الذات (القارئة/ المحقق) ، ومقاصدها الذاتية والموضوعية ؟

– هل الحاجة إلى تعاقب التحقيقات على النص الواحد حاجة علمية وحضارية ملحة؟

– ألسنا في حاجة إلى مراجعة الكثير من التحقيقات التي أنجزت في الثقافة العربية الإسلامية؟

– ألسنا تبعا لذلك في حاجة إلى تأسيس نقد تاريخي للتحقيق، يستفيد من معطيات الدراسات النقدية والتاريخية الحديثة، لاسيما التأويلية منها من جهة، ومن معطيات علم المخطوطات ومكتشفاته من جهة أخرى؟

– ما الإضافات العلمية التي يمكن أن تجنى من فعل تعدد التحقيقات للنص التراثي الواحد؟

آثرت هذه المداخلة العلمية أن تجيب عن هذه الأسئلة وغيرها من الإشكالات المماثلة، انطلاقا من تعدد تحقيقات مصدر بلاغي أثير؛ التفت إليه المحققون في المشرق، والمغرب على حد سواء؛ إنه كتاب " **دلائل الإعجاز" للشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)**.

وقد وقع اختياري على تحقيقات ثلاثة للكتاب، هي على التوالي:

أ/ تحقيق **رشيد رضا، ومحمد عبده، والشنقيطي**.

ب/ تحقيق **محمد ابن تاويت التطواني**.

ج/ تحقيق **أبي فهر محمود محمد شاكر**.

وهو اختيار يخدم مقاصد هذه الدراسة وأهدافها، ويسعف في تبين إشكالات موضوع تعدد التحقيقات. وليس إقصاؤنا لبقية الجهود في تحقيق هذا النص:(تحقيق فايز ورضوان الداية/ تحقيق ياسين الأيوبي...الخ) من قبيل استصغار هذه الجهود؛ بل هو من مقتضيات المعالجة المنهجية للموضوع.

تقديم:

يعتبر مقصد تحقيق النصوص التراثية مقصدا شريفا من مقاصد البحث و الكتابة عند العرب والمسلمين. ولقد قامت الحاجة العلمية عندهم لهذا اللون من ألوان البحوث العلمية بعدما عرفوا صناعة الطباعة والنشر، على إثر حملة نابليون بونابرت(Napoléon Bonaparte)، أواخر القرن الثامن عشر الميلادي على بلاد مصر: (1798م) .

ولقد انتبه علماء الأمة منذ القرون الأولى إلى أهمية تحديد مجالات البحث والتصنيف؛ فحصروا تلك المجالات، وقيدوها بالضبط. ونذكر من المصنفات التي اعتنت بهذا الموضوع:

- (**التقريب لحد المنطق**) لابن حزم الأندلسي (ت456هـ).
- (**المقدمة**) لابن خلدون (ت808هـ).
- (**أزهار الرياض في أخبار عياض**) للمقري التلمساني (ت1041 هـ)....الخ.

ولم تكن كلمة (تحقيق) بمعناها المتداول اليوم معروفة عند العرب؛ ذلك أن هذا المعنى إنما جاء ترجمة للكلمة الإنجليزية: (authentification)؛ وتعني الفحص العلمي للنصوص من حيث مصدرها، وصحة نصها، وإنشاؤها، وصفاتها، وتاريخها (1).

ولقد عبر العرب والمسلمون عن وعي متقدم بأهمية تحقيق النصوص وضبطها منذ القرون الأولى؛ وهذا ما تفسره عمليات كثيرة من قبيل نسخ الكتب، وجمعها، وشرحها، وتلخيصها، ونظمها، والتحشية عليها؛ فهذه كلها ألوان وصور من صور الاعتناء بالنص؛ وهذا نشاط قديم؛ فليس إحياء التراث إذن أمرا حديثا، بل هو عمل طبيعي قامت به الأجيال القديمة على امتداد الدهر، وعلى صور شتى (2).

كما أن المدرسة الإسلامية في تحقيق الحديث جاءت بعلم غير مسبوق في تحقيق تراث الأمم. وقد بذل المحدثون جهودا جبارة لمراجعة ما جمعوا من حديث، للتأكد من صحة نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فتحدثوا عن المتواتر، والآحاد، والضعيف، والصحيح، والصحيح لنفسه، والصحيح لغيره، والحسن، والغريب...الخ.

واستشعر علماء الأمة في مناسبات عديدة المخاطر المحدقة بالتراث، فكرسوا جهودهم لحفظه وتوثيقه. ولقد كشف خطاب مقدمات مصادر التراث عن هذا الوعي العميق؛ ولم يكن الخطاب النقدي والبلاغي بمنأى عن

هذا الوعي؛ فقد عبر الخطاب المقدماتي لهذه المصادر عن سؤال حفظ التراث بشكل جلي (3)؛ وذلك على إثر النكبة التي عرفتها الأمصار الإسلامية في فجر القرن الهجري السابع

---

1 – المختصر الدقيق في فن التحقيق، عبدالله حسين السادة وباسم عبود الياسري/ المقدمة.

2 قطوف أدبية، عبدا لسلام هارون، ص: 40.

3- راجع هذا السؤال وأثره في توجيه البحث البلاغي في طور الشروح في أطروحتنا: " تلخيص المفتاح" وجهود شارحيه: السبكي وابن يعقوب المغربي" ، ص: 106- 109.

بسبب الزحف المغولي؛ فقد لحق الدمار والخراب كل المناطق التي دخلها التتار؛ ومنها بغداد، وبخارى، وخوارزم.... وامحت مع هذا الزحف كثير من آثار حضارة الأمة وتراثها. ولقد خرج الوطن الإسلامي الكبير من محنة التتار: "منهوك القوى، مثخنا بالجراح، مجردا من كنوز عقوله المسجلة في روائع الكتب التي ألقيت في نهر دجلة، فطمته، وسود مدادها صفاء مائه لفترة من الزمان، كانت شاهدة على أكبر جريمة ارتكبت في حق المعرفة الإنسانية على مر الدهور" (1).

أولا: التحقيق العلمي للنص في الغرب: النشأة والتطور.

اعتنى المستشرقون في القرن التاسع عشر بوضع الأصول والقواعد المتعلقة بتحقيق المخطوطات. كما عمدوا إلى تحقيق بعض نصوص التراث العربي الإسلامي؛ ككتاب (الفهرست) لابن النديم (ت 385هـ)، وكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت626 هـ) (2) وغيرهما من المصادر النفيسة.

ولقد كانت عناية الغربيين في مرحلة النشأة الأولى للتحقيق:(القرن الثامن عشر) منصبة على تفحص لغة النص، وتركيبه، و وزنه، وأسلوبه ؛ فكأنهم سعوا إلى أن يجعلوا النص يصحح نفسه بنفسه؛ وخير من يمثل هذا الاتجاه في التحقيق الباحث بانتلي/ Pantelé (3).

إن التحقيق العلمي بالمعنى العام يراد به إخراج النص المحقق للوجود مطبوعا، بصورة يرتضيها مؤلفه؛ وهو عمل ينضبط لسلسلة من الإجراءات والتقنيات.

أما الاهتمام بالنص من الخارج فلم يبدأ إلا في نهاية القرن الثامن عشر؛ حيث ظهر النقد التاريخي مع الألماني ويخلمان؛ ثم ازدهرت الأبحاث الفيلولوجية مع ألمانيين آخرين مثل: (كود وفروا هيرمان)/ و (بويخ) / و (ولف)/.

وتناسلت الأبحاث في الغرب حول التحقيق؛ وظهرت فروع معرفية أخرى تثري التحقيق العلمي للنصوص؛ منها علم المخطوطات، وتاريخ النصوص، ونقد النصوص. ويعتبر الباحث ألفونسو دان/ Alfonso Dain (4) رائد علم المخطوطات من خلال كتابه: (المخطوطات/ Les manuscrits).

إن تاريخ النصوص يهتم بالدرجة الأولى بالكيفية التي وصلتنا بها نصوص العهد القديم؛ وهذا مجال علمي جديد يرجع إلى زمن الباحث لاخمان(Lakhman)(5). أما علم المخطوطات (Codicologie) فيعنى أساسا بالزوايا المادية في المخطوط؛ وهذا معناه أنه لا ينشغل

.

1- مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص: 610.

2- حقق الكتاب الأول فوجل سنة 1871، وحقق الكتاب الثاني فستنفلد سنة 1868.

3**-** مقالات في علم المخطوطات، مصطفى الطوبي، ص:20.

4- نفسه.

5- من كبار علماء الفيلولوجيا الألمان في القرن التاسع عشر.

بما يضمه المخطوط في متنه من أفكار تاريخية، أو أدبية، أو فكرية، أو ما شابه ذلك .كما أن هذا العلم لا يهتم بالخطوط، ونوعيتها، وهندستها (1)، وإنما يشتغل أساسا على الجوانب الصامتة في المخطوط: (نوعية الورق، الكراسة، نظام التزويق، والزخرفة، وكيفيات طي الورق، إلخ (2).

ثانيا: حركة تحقيق النصوص في البلاد العربية الإسلامية:

أسلفت الحديث عن بعض مظاهر وعي علماء الأمة بأهية تحقيق النصوص؛ ولقد كانت جهود علماء الحديث جليلة حقا في هذا الباب. واستعمل العلماء قديما مصطلحات تحمل دلالة هذا المفهوم؛ من قبيل: الضبط، والمراجعة، والمقابلة، سيما في مجال علم الحديث. وكانت لهم دراية بمعظم القواعد المتعلقة بعلم تحقيق المخطوطات؛ فكانوا يتحرون صحة نسبة النص إلى صاحبه، ويهتمون بضبطه وتوثيقه، ويقابلون بين روايات النص المختلفة لانتقاء أوثقها (3).

ويعكس هذا الوعي القديم بأهمية تحقيق النصوص، وضبطها وجود مجموعة من المباحث والمطالب ذات الصلة بالموضوع في بعض التصانيف؛ ومنها:

+ (الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع) للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 455هـ)،

+ (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت 463هـ)،

+ (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) للعلموي (ت 720هـ)،

+ (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العلم والمتعلم) لابن جماعة (ت 733هـ)...الخ.

وحديثا نشطت حركة تحقيق النصوص في البلاد العربية الإسلامية، بعد انتقال المطابع إلى هذه الديار؛ وبلغت هذه الحركة ذروتها في منتصف القرن العشرين. و صاحبت نشاط تحقيق نصوص التراث جهود محمودة في التنظير؛ لعل من أوائلها كتاب: (تحقيق النصوص ونشرها) لشيخ المحققين عبدا لسلام هارون (ت 1408هـ/ 1988م)؛ وهو أول تأليف عربي في هذا الفن، استنادا إلى شهادة مؤلفه. وقد صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1954م/ 1374هـ. و أوحت هذه الدراسة لمجموعة من الباحثين بفكرة البحث في الموضوع، حتى وصلت البحوث النظرية في هذا الحقل المعرفي حد التخمة (1).

1- مجال هذا النوع من البحوث هو الباليوغرافيا والكاليغرافيا.

2- مقالات في علم المخطوطات، ص: 59- 60.

3- أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، ص:140.ذ

وبصرف النظر عن القيمة العلمية لكثير من هذه الأعمال التحقيقية، فقد مكنت هذه الحركة الفاعلة جمهور الدارسين والباحثين العرب من التعرف على مواد مكتبات العلوم على اختلافها؛ وتشكلت مع هذه الحركة معالم مواد هذه المكتبات؛ فنشطت عقب ذلك حركة التأريخ لكثير من العلوم والفنون.

ولم يكن النقد غائبا عن هذه الحركة، بل كان موازيا لها. ويمكن التمثيل لهذه الجهود النقدية بجهد عائشة عبد الرحمان (ت 1998م) في نقد طائفة كبيرة من منشورات التراث نقدا منهجيا، وموضوعيا، وتوجيهيا، اضمحل على إثره ذلك العبث الذي كان يمارسه بعض ناشري التراث (2).

ويمكن أن نضم إلى هذه الجهود جهود فئة أخرى من الدارسين، منهم: حمد الجاسر، والسيد صقر، ومحمد عبدا لغني حسن، وشوقي ضيف، وعبدا لستار فراج، وعبدا لعزيز مطر، وعبد الفتاح الحلو، ومصطفى جواد، ومحمد جبار المعيبد، وغيرهم (3).

ثالثا: التحقيق والقراءة والتأويل:

يقف الباحث على تعاريف مختلفة لمفهوم التحقيق، تحاول كلها الإحاطة بموضوعه وغايته. يقول عبدا لسلام هارون: " ... والذي اتفق عليه المحققون من ذلك أن يؤدى متن الكتاب أداء صادقا كما وضعه مؤلفه كما، وكيفا بقدر الإمكان" (4).

إن تحقيق متن الكتاب بهذا المعنى: " ليس تحسينا أو تصحيحا، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ؛ فإن متن الكتاب حكم على المؤلف وتأريخ لتفكيره. وهو كذلك حكم على عصره وبيئته. وهي اعتبارات تاريخية صادقة لها حرمتها، كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوان على المؤلف الذي له وحده حق التبديل والتغيير أو التنقيح" (5).

إن هذا المطلب إذن ليس يسيرا، وربما احتاج من الجهد إلى ما لا يحتاج إليه التأليف، كما ذهب إلى ذلك أبو عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ) حين قال: " ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفا أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام

1- نمثل لهذه الدراسات بدراسة تحت عنوان:

- أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه، لجنة مختصة في بغداد، معهد المخطوطات العربية، الكويت، 1400هـ/ تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، عبدالمجيد دياب، منشورات المركز العربي للصحافة، القاهرة، 1983.

2- هارون، ص: 63.

3- نفسه.

4- قطوف أدبية، ص: 13.

5- نفسه، ص: 13.

ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام" (1). و لقد عبر عبدا لسلام هارون عن نفس هذا الرأي بقوله: " وتحقيق متن الكتاب أمر جليل يحتاج من الجهد والعناية إلى أكثر مما يحتاج إليه التأليف "(2).

إن تحقيق النص يقع في صلب عملية القراءة؛ وليست القراءة في أبسط تعاريفها إلا ذلك الوقع الذي يحدثه فينا النص؛ فتحصل الاستجابة بأشكال مختلفة من التلقي: شرحا، اختصارا، نظما، تحشية، تعليقا، تقييدا، ترجمة، تحقيقا....الخ .

إن مفهوم القراءة يتسع ليشمل كل أشكال التفاعل مع النص. ومعلوم أن كل قراءة هي محاولة لفهم النص المقروء؛ وتتفاوت قدرات القراء في تحقيق هذا المقصد وإدراكه. ثم إن القراءة تتوسل بالتأويل سبيلا لإدراك معنى النص؛ وهي بقدر ما تحترم قداسته، تمنح لنفسها إمكانية المشاركة في بناء مكوناته، بما يفصح عن أسئلة الذات القارئة، الخاصة، وانتظاراتها الأساسية.

وبناء على ذلك يمكن اعتبار تحقيق النصوص من آليات قراءة التراث وتأويله؛ وهذا يفترض معه: " أن تقوم الذات المتلقية بتكوين تصورات وبناء ذهني لما تتلقاه، متخذة من قدرتها الخاصة وإمكاناتها المتاحة لها ما تقوم به على صياغة تصور لموضوع التلقي. وتكون هذه الذات محكومة في هذه العملية من التلقي بما اكتسبته من قبل، وما تستحضره أثناء عملية القراءة (....) فالعقائد، والقناعات، والمعايير، والأنماط، والقوالب المشكلة لدى القارئ من خلال ما أشبع به من مفاهيم، وما جهز به من أنماط معرفية، وجمالية، والتموضع الاجتماعي والثقافي والديني والأخلاقي، كل ذلك يلعب دورا أساسيا في هذه العملية" (3).

إن الناظر في التعاريف المختلفة التي يسوقها كثير من الدارسين لمفهوم التحقيق، يسجل أنها تركز بالأساس على الجانب الشكلي، التقني في إخراج النص؛ فترسخت مع هذه التعاريف سلسلة خطوات وإجراءات عملية، يقوم بها محقق النص من قبيل: المقارنة، والموازنة بين النسخ، وتخريج النقول بإرجاعها إلى مظانها، وضبط أسماء الأعلام، وتخريج غريب اللفظ، وملء الخروم ...الخ. ولا يحتل جانب فهم النص، وتأويله بالقدر الذي يرقى بالتحقيق إلى مستوى قراءة إنتاجية، توحي بدلالات جديدة للنص أهمية كبيرة هنا.

ولقد أثرت هذه النظرة القاصرة للمفهوم على المنجز في باب إحياء التراث وتحقيق نصوصه؛ ذلك أن الطابع العام الذي وسم هذه الأعمال التحقيقية – على الجملة- هو اختزال عمل المحقق في مجرد قواعد علمية إلزامية، الهدف منها توثيق النص، وإخراجه في صورة شكلية أكثر دقة؛ دون أن يكون ـــــ

1- البيان والتبيين، ج1/ ص:65.

2- قطوف أدبية، ص: 14.

3- "النص بين التلقي والتأويل"، أحمد بوحسن ضمن: " من قضايا التلقي والتأويل" ، ص: 107.

المطمح تقديم قراءة إنتاجية تراعي سياقات النص المختلفة، بالشكل الذي يمكن الذات القارئة من ضبطه وبنائه، ثم جعله يحيا بيننا قويا، محافظا على تاريخه الخاص من جهة، و مستجيبا لتطلعاتنا الراهنة من جهة أخرى (1).

رابعا: (دلائل الإعجاز) لعبدا لقاهر الجرجاني: وحدة النص وتعدد التحقيقات.

إن المتأمل للنصوص المحققة في التراث العربي الإسلامي، يسجل ظاهرة تعاقب التحقيقات العلمية على النص التراثي الواحد؛ ولا تخص هذه الظاهرة مجالا علميا أو معرفيا واحدا، بل تكاد تعم كثيرا من مجالات هذا التراث: (فكرا، ولغة، وأدبا....الخ).

يحاول هذا العرض العلمي أن يقارب إشكال تعدد تحقيقات النص التراثي ؛ وهو ينطلق من كتاب (دلائل الإعجاز) للشيخ عبد القاهر الجرجاني نموذجا في الدراسة.

أ- (دلائل الإعجاز) بتحقيق رشيد رضا ومحمد عبده والشنقيطي: سؤال التعليم مدخلا للتحقيق.

يعتبر كتاب (دلائل الاعجاز) بتحقيق محمد عبده (ت 1905م) ، ورشيد رضا (ت 1935م)، والشنقيطي (ت؟) من أوائل التحقيقات التي ظهرت لهذا الكتاب؛ وكان ذلك سنة **1321هـ/ 1903م** بعدما نشر كتاب (الأسرار) سنة **1320هـ**.

ويذكر رشيد رضا أنه هاجر إلى مصر لإنشاء مجلة (**المنار الإسلامي**) سنة **1315 هـ**، فوجد الشيخ محمد عبده – **رئيس جمعية إحياء العلوم العربية –** منكبا على تصحيح كتاب: (**دلائل الإعجاز**). وكان عند عبده وقتها نسخة أراد أن يقابلها بنسختين امتلكهماّ؛ الأولى من المدينة المنورة، والثانية من بغداد. وقد أشرك محمد عبده في تحقيق هذا الكتاب إمام اللغة وآدابها في عصره: الشيخ محمد محمود التركيزي الشنقيطي.

و بعدما أتم محمد عبده تدريس كتاب (**أسرار البلاغة**) بالأزهر، عهد إلى رشيد رضا بطبع كتاب(الدلائل) حتى يقرأه بعده؛ فشرع رشيد رضا في الطبع، وشرع عبده في التدريس؛ وبذل رشيد رضا جهدا كبيرا في تصحيح النص، وشرح بعض ألفاظه، وبيانها.

وقد بدأت عملية طبع الكتاب في **مطبعة الموسوعات**، ثم أنشأت **مجلة المنار** مطبعتها الخاصة، وهناك تم استكمال طبع ما تبقى من كتاب (الدلائل).

ولم ينه **عبده** تدريس الكتاب حتى تم طبعه. وقد لاحظ رشيد رضا وجود بعض الأخطاء، فعمد إلى تصحيحها اعتمادا على الأخطاء التي يحصيها عبده في نسخة التدريس. يقول رشيد رضا: " وبذلك

1- "التحقيق بين سلطة القاعدة وسلطة القراءة"، عبدا لقادر بقشى، ص: 31.

يصح لنا أن نحكم بأن هذا الكتاب من أصح الكتب العربية المطبوعة، إن لم نقل أصحها؛ إذ لا طريق إلى كمال التصحيح مثل قراءة الكتاب درسا؛ لاسيما إذا كان المدرس في مثل الأستاذ الإمام في سعة العلم، وصحة الحكم، وحسن التقرير، والحرص على الإفهام، والمعرفة بصناعة الطبع. ولا شك أن من يقرأ الشيء وحده، ويحاول تصحيحه يكون عرضة للسهو، والذهول عن بعض الكلم؛ ولاسيما إذا كان معنى الكلام الذي يقرؤه واضحا جليا كجلاء كلام الشيخ عبدا لقاهر رحمه الله" (1).

وبالنظر إلى هذا التحقيق يمكن أن نحدد مدخله في سؤال التعليم؛ إن الغاية التربوية هي المحرك الأساس لهذا التحقيق. وقد كشفت المقدمة عن هذا الهم ، وصورته بجلاء. وهذا المقصد لا يخفي مقصدا ثابتا في هذه المرحلة؛ إنه مقصد إحياء علوم العربية.

لقد كان هم الشيخ محمد عبده إصلاح مناهج التعليم وبرامجه بالأزهر الشريف، للرقي بأحوال العلم والمحصلين؛ هكذا أقدم على إجراء تغييرات جوهرية على طرق التدريس، والمتون المقررة في فصول الدراسة؛ وهذا ما عبر عنه بقوله: " إني ألقيت في الأزهر بذرة يستحيل أن يبقى معها على ما كان عليه من الجمود والخمود، فإما أن يصلح، وإما أن يسقط" (2).

وفي سياق تغيير برنامج مادة البلاغة ومنهجها، قرر عبده تدريس (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز)، بعدما كانت السيطرة المطلقة لبلاغة السكاكي (ت 626هـ)، وملخصه الخطيب القزويني (ت 739هـ)، منذ القرن الهجري السابع في المشرق والمغرب. يقول رشيد رضا في سياق نقده للمصنفات البلاغية التي سارت على نهج السكاكي في التصنيف البلاغي: " وقد خلف من بعدهم خلف جعلوا البلاغة صناعة لفظية محضة.....واختار أهل هذه الأزمنة الأخيرة هذه الكتب المجدبة، القاحلة، على مثل كتب عبدا لقاهر الخصبة، الحافلة، لكثرة الحدود والرسوم، والقواعد، والمشاغبات في كتب المتأخرين، فكان أثرها فيهم أن حرموا من البلاغة والفصاحة، حتى إن أعلمهم بهذه الكتب، وأكثرهم اشتغالا بها، هو أعياهم وأعجزهم من الإتيان بالكلام البليغ، قولا وكتابة " (3).

إن تحقيق كتاب (دلائل الإعجاز) عند هذا الثالوث مسكون بسؤال التعليم؛ بما يمكن أن يعيد لمحصل البلاغة ذوقا رفيعا، يؤهله لتذوق الكلام، والتمييز الدقيق بين أنواع الأساليب، وإدراك الفروق الخفية بينها، بعدما خفت أثر الذوق، وانمحى سلطانه، أو كاد.

لقد كان هم عبده هو تدريس الكتاب داخل فصول الأزهر بدافع إحياء علوم هذه اللغة الشريفة؛ فاتخذ التدريس مدخلا للتحقيق؛ وهو – ولاشك- من أوكد المداخل لقراءة النص وتصحيحه؛ سيما وأنه كان يقوم بالمقابلة بين نسخه التي امتلكها؛ فكم من معضلة في النص لا تنكشف إلا بالدرس، وكم من مسألة

1- المقدمة، ص: 39.

2- نفسه.

3- نفسه، ص: 37.

مستغلقة لا تسلم نفسها للناظر إلا بعد طول تأمل ونظر، وكم من كلمة، أو عبارة، أو فقرة يتيه القارئ في قراءتها، ولا يهتدي إلى الصواب إلا بعد الضرب بجهد.... إن عملية تدريس النص تجعل المدرس أكثر التصاقا به، وقربا منه، كما تجعله أكثر قدرة على استنطاقه، ومساءلته؛ بل إن المدرس يفترض أسئلة المحصلين، ويحمل نفسه على إيجاد الأجوبة المناسبة لها. وإذا تقرر لديك هذا، علمت أن مدخل التعليم مدخل مهم لتحقيق النص وتصحيحيه. ووازت عملية شروع رشيد رضا في نسخ الكتاب عملية تدريس عبده للفصول المنسوخة، مع تصحيحها، وتهذيبها بإشراك عالم لغوي نبيه في ذلك الزمن هو محمد محمود الشنقيطي. ولعل هذه المزايا مجتمعة هي التي بوأت هذا العمل العلمي منزلة رفيعة، لا يمكن أن تنكر.

وما يلفت الانتباه حقا في المقدمة هو غياب مصطلح التحقيق؛ وسجل هذا الغياب أيضا على مستوى العتبة الفرعية لعنوان الكتاب؛ والمثبت هو: التصحيح والتعليق. وتصادفنا في المقدمة كلمات من قبيل: الطبع، والنشر، والتصحيح، والعناية. ولم يتغير الأمر في مقدمة الطبعة الثانية: (1321هـ)؛ وسجلت كلمة التحقيق نفس الغياب. و جاءت الطبعة الثانية بشهادة رشيد رضا بكثير من الضبط للكلم بالشكل، استنادا لضبط الشيخ عبده، وكثير من التفسير للكلم الغريب، وللشواهد من الشعر والنثر (1)؛ وهذا كله انسجاما مع مقتضيات سؤال التعليم.

ب- (دلائل الإعجاز) بتحقيق محمد ابن تاويت التطواني: سؤال التأريخ مدخلا للتحقيق:

يعكس تحقيق محمد بن تاويت التطواني (1917- 1993) (2) لكتاب (دلائل الإعجاز) للشيخ عبدا لقاهر الجرجاني التفات المغاربة إلى مصدر من أهم مصادر البلاغة العربية؛ وظهر أواسط الخمسينات من القرن العشرين. إن كتاب(دلائل الإعجاز) لم يكتب له الرواج في بيئة المغرب الأقصى إلا في القرون الأخيرة. ولقد أشارت أبحاث كثيرة إلى أن مصنفات الجرجاني ظلت غائبة في الأوساط العلمية المغربية. وحظ المغاربة من هذا الكتاب حظ أهل اليمن منه (3).

1- مقدمة رشيد رضا، ص: 40.

2- نقف على علمين اثنين مغربيين يحملان نفس الإسم: (ابن تاويت). والمقصود هنا ابن تاويت التطواني ، وليس ابن تاويت الطنجي. وللتطواني تحقيق آخر، وهو لكتاب: (البيان المعرب في أخبار الأندلس و المغرب) لابن عذاري المراكشي، مع باحثين آخرين، هما: إبراهيم الكتاني ومحمد زنيبر. وله أيضا: كتاب الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى.

3- راجع: مقدمة تحقيق محمد الحبيب بلخوجة لكتاب (منهاج البلغاء) لحازم القرطاجني، ص: 115/ مقدمة تحقيق محمد بن شريفة لكتاب (التنبيهات) لابن عميرة، ص: 25/ وراجع أيضا: " تلخيص المفتاح وجهود شارحيه: السبكي وابن يعقوب المغربي، عبدالله الرشدي، ص: 124.

3- المقدمة، ص: 4.

ويبدو من خلال المقدمة أن السؤال المهيمن في هذا التحقيق هو **سؤال التأريخ**؛ بما يقتضيه هذا السؤال من ضرورة التعرف على مواد المكتبة البلاغية؛ وفي طليعتها كتاب (الدلائل). يقول ابن تاويت: " وها نحن نريد أن يعرف الكتاب بالمغرب، وأن يبعث فيه كما بعث بالمشرق" (1). وهذا الوعي امتداد للإحساس الذي عبر عنه جيل الدارسين والباحثين المتشبعين بأفكار الشيخ عبده، ومن جاء بعده من المجددين؛ ومنهم أمين الخولي (ت 1973م). وقد لقيت هذه الدعوة صدى طيبا عند محمد ابن تاويت؛ لأنه كان من جملة الطلبة المغاربة الذين نهلوا من المؤسسات العلمية بمصر: (جامعة فؤاد الأول ما بين 1938م و 1949م).

إن مقصد ابن تاويت في هذا التحقيق إذن هو إعادة بعض الاعتبار لهذا الكتاب، وتحقيق نوع من المصالحة بين المتلقي المغربي وكتاب (الدلائل) بعد قرون من الهجران غير المبرر؛ واستطاع من خلال تحقيقه أن يضيف اسمه لبعض أسماء المحققين في المشرق والغرب، ممن عانقوا متن هذا الكتاب موضوعا ومنهجا.

وتكشف مقدمة التحقيق عن سؤال التاريخ بجلاء ؛ ويشهد على هذا تصديره لتحقيقه بتاريخ مختصر للبلاغة العربية، مع ما يكتنف مشروع التأريخ لهذا العلم من مزالق وأخطار: " فإننا رأينا أن نقدم له – يقصد تحقيق الدلائل – بمقدمة في تاريخ البلاغة؛ نعرض فيها تلك المراحل عرضا رفيقا موجزا؛ لأن قصة البلاغة العربية بالخصوص قصة ذات عقد شتى؛ بل هي قصة اللغة العربية بنفسها، حين نمت وترعرعت، وأصبح لها كيان خاص في الوجود. وما أحسب أن إنسانا بقادر على هذا التاريخ بمعنى الكلمة. وما أحسب أن إنسانا بقادر على تسجيل مرحلة من مراحل هذه الحياة بكل دقة واطمئنان" (2)، إلى أن يقول: " وعلى هذا فتاريخ البلاغة أعوص من تاريخ الأمم والشعوب؛ وهو تاريخ لا يقوى على بعض ما فيه إلا جماعة، بل جماعات يهيئها الله لهذا العمل" (3).

ويعكس كلام ابن تاويت وعيا نظريا متقدما بالمخاطر التي تحيط بمشروع كتابة تاريخ البلاغة العربية. إن كتابة هذا التاريخ محفوفة بالمزالق المعرفية والمنهجية؛ وفي طليعة تلك المزالق غياب رؤية واضحة لمضامين المكتبة البلاغية؛ وهو غياب يوازيه أيضا غياب المعرفة بالمضامين العلمية لهذه المواد؛ وهذا شيء طبيعي ينسجم مع خصوصية المرحلة التاريخية: (أواسط الخمسينات من القرن الماضي)؛ ذلك أن القارئ المتخصص يجد عنتا كبيرا في معرفة مضامين المصنفات البلاغية؛ لأن كثيرا من هذه المصادر لا يزال مخطوطا في المكتبات الخاصة والعامة.

1- مقدمة تحقيق ابن تاويت، ص:4.

2- نفسه، ص:3.

3- نفسه.

إن مشروع كتابة تاريخ للبلاغة العربية في أواسط الخمسينات من القرن العشرين ثورة علمية في مجال الدراسات النقدية والبلاغية، تسد فراغا كبيرا في بابها.

لقد جاء تحقيق ابن تاويت إذن ملونا بلون سؤال التأريخ؛ ولا أجد عمل مؤرخ العلم بعيدا عن عمل محقق نصوص العلم؛ إن نهاية هذا الأخير هي بداية الأول؛ إن الأمر يتعلق في نهاية المطاف بتكامل الأدوار بين المحقق والمؤرخ. إن تحقيق النص وإخراجه للوجود ينتهي معه عمل المحقق، ليبدأ عمل المؤرخ.

ولقد أحوجت مجموعة من العوامل إلى كتابة مثل هذا التاريخ؛ و منها:

– حاجة المثقف العربي إلى معرفة تراث هذا العلم، أسوة ببقية العلوم. ونمت هذه الحاجة بشكل كبير في الجامعات العربية.

– تحقيق جزء كبير من نصوص التراث البلاغي والنقدي؛ وهذا يشجع مؤرخ العلم للإقبال على عملية التأريخ. وإذا علمنا بأن شوقي ضيف كتب في تاريخ البلاغة العربية مؤلفه النفيس: (البلاغة تطور وتاريخ) سنة 1965 أمكن أن نتصور القيمة العلمية لهذا المختصر حول تاريخ البلاغة العربية، الذي قدم به ابن تاويت لتحقيق (الدلائل) أواسط الخمسينات. إن هذا المختصر إذن حلقة مؤسسة في تاريخ البلاغة العربية، لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاوزها.

وسيلهم ابن تاويت وضيف غيرهما من البلاغيين كتابة تاريخ البلاغة العربية على اختلاف المناهج، ووفق ما يستجد من أسئلة في قراءة التراث من جهة، وأيضا وفق ما يستجد من نظريات نقدية ولسانية تعنى بقراءة النصوص؛ وهذا صنيع جماعة من مؤرخي البلاغة العربية، منهم:أحمد مطلوب، وعبد العزيز عتيق، وبدوي طبانة، وأحمد نائل أحمد، وحمادي صمود، ومحمد العمري، وغيرهم.

زاوج ابن تاويت بين مصطلحين في إخراج كتاب (دلائل الإعجاز)، هما: التحقيق والتعليق؛ يقول: " وبعد فهذا كتاب دلائل الإعجاز نقدمه للطبقة المستنيرة من القراء بعد ما قدمنا **بتحقيقه** بقدر المستطاع، و**التعليق** عليه بما رأيناه لازما في درسه؛ متوخين في ذلك الاقتصار وعدم الإطالة؛ لأننا لسنا ممن يعجب بالتعليق الممل والشروح والحواشي المحيرة؛ ولولا أننا رأينا أن تلك الإيماءات الخفيفة لازمة، لازبة لما أقدمنا عليها" (1). وأما التعليق فالمقصود به في عرف المصنفين، جملة الملاحظات، والتعقيبات، والإضاءات التي يوشح بها القارئ النص المقروء؛ وهذا تقليد قديم في الكتابة والتأليف عند العرب والمسلمين. وأما التحقيق، فسأعرج على تقويم منجز ابن تاويت فيه.

1– مقدمة ابن تاويت، ص:3.

لقد حدد ابن تاويت طبيعة المتلقي الذي يتوجه إليه بهذا العمل: " وبعد، فهذا كتاب" دلائل الإعجاز"نقدمه **للطبقة المستنيرة** من القراء" (1)؛ وهو لا يقصد هنا إلا جمهور المهتمين من شيوخ العلم، وطلبته، وعموم المنشغلين بعلوم العربية.

ولا بد من الإشارة إلى أن هيمنة سؤال التاريخ هنا لا يخفي أثر سؤال التعليم؛ فقد صورت المقدمة هذا الهم واستحضرته؛ يقول ابن تاويت: " كان من حسن حظ التعليم أن قرر كتاب " دلائل الإعجاز" ضمن منهج الدراسة بالمعهد الديني العالي. وعلى ما نعلم فإن هذا الكتاب كان – بذلك- لأول مرة يدرس بالمغرب عموما... لهذا ، وقد غمر الكتاب بالمشرق، لم يكتب له أن يعرف بالمغرب" (2).

لقد تقرر كتاب(دلائل الإعجاز) بالمعهد الديني العالي بتطوان في زمن ابن تاويت؛ علما أن المغاربة لم يعتمدوا هذا الكتاب من قبل في برامجهم التعليمية. وتدل كثير من البحوث والدراسات على هيمنة مصنفات السكاكي وملخصيه وشراحه على البرامج التعليمية بالمغرب انسجاما مع التوجه العام للمناهج التعليمية ببلاد الغرب الإسلامي، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته (3). ثم إن المصنف البلاغي في المغرب عامة لا يخلو من مقصديتين: إيديولوجية وتعليمية (4).

ولاشك أن ابن تاويت كان وراء اختيار(دلائل الإعجاز) متنا بلاغيا بالمعهد العالي بتطوان؛ وهو مدرس مادة البلاغة بهذه المؤسسة الدينية العتيدة، بعدما رجع من بلاد مصر؛ فأراد خدمة هذا الكتاب خدمة مزدوجة: تدريسه وتحقيقه.

ويربط ابن تاويت بين اختيار (الدلائل) بالمغرب واختياره بالمشرق، على يد المجدد المصلح الشيخ محمد عبده : " قيض الله للأمة الإسلامية أن تنهض، أو تحاول أن تنهض من كبوتها،وأن تنبعث من موتها، فنظرت – لا غرو- إلى الماضي؛ لأن الماضي كان فيه مجدها وعظمتها. نظرت إلى الماضي في كل شيء....فكان نتيجة ذلك أن يبعث من جديد كتاب " دلائل الإعجاز" في الشرق على يد مصلحه الشيخ محمد عبده، الذي كان يقوم بتدريسه لطلابه، بعدما مضى على ذلك الكتاب وهو في سباته العميق زهاء تسع مائة سنة" (5).

ولا نعثر في المقدمة على ما يمكن أن يفيد في تبين منهج ابن تاويت في تحقيق كتاب " دلائل الإعجاز"؛ والذي أقصده هنا خطواته وإجراءاته في تحقيق النص. وكل ما نملكه في هذا الموضوع هو كلام له سابق: " قدمنا بتحقيقه بقدر المستطاع، والتعليق عليه بما رأيناه لازما في درسه؛ متوخين

1- مقدمة تحقيق ابن تاويت، ص:3.

2- نفسه، ص:4.

3- ص: 331.

4- " من أجل تلق نسقي" ، محمد مفتاح ، ص:51.

5- مقدمة ابن تاويت، ص: 4.

في ذلك الاقتصار وعدم الإطالة؛ لأننا لسنا ممن يعجب بالتعليق الممل والشروح والحواشي المحيرة؛ ولولا أننا رأينا أن تلك الإيماءات الخفيفة لازمة، لازبة لما أقدمنا عليها" (1). وهذا كلام عام تخفى معه خطوات المحقق، وإجراءاته في التحقيق. والغريب في مقدمة ابن تاويت أنه لم يشر إلى النسخ التي اعتمدها في تحقيقه؛ وهذا أمر مثير للدهشة حقا؛ إذ كيف السبيل للحديث عن تحقيق علمي دون علم بالنسخ المعتمدة:

هل يمكن أن نتحدث عن تحقيق علمي في غياب المعرفة بالنسخ التي اعتمدها المحقق؟ ما السر في إحجام ابن تاويت عن ذكر هذه النسخ؟ هل خفي عليه أن التحقيق يقوم بالأساس على عملية جمع النسخ والمقابلة بينها في سبيل تحقيق النص وإخراجه للوجود؟ لا نملك أجوبة شافية عن هذه الأسئلة وغيرها من الإشكالات.

وإذا ما سمحنا لأنفسنا بتجاوز مقدمة التحقيق إلى متن النص المحقق، يمكن أن نسجل أن عمل ابن تاويت شمل مجموعة من المستويات في تناول النص من الداخل؛ ومنها:

+ المستوى المعجمي: من خلال إيضاح معاني بعض ألفاظ النص (2).

+ المستوى التركيبي: من خلال تفسير بعض القضايا النحوية في النص (3).

+ تقويم بعض الآثار الأدبية، اعتمادا على ما يذكره البلاغيون والنقاد المتقدمون (4).

+ تقويم بعض الآثار اعتماد على فهمه الخاص (5).

+ توثيق بعض نقول الجرجاني بالإحالة عليها في مظانها (6).

1- مقدمة المحقق، ص: 3.

2- راجع هذه الصفحات من الكتاب:

ج1/ ص: 16. ج1/ ص: 44./ هامش: 2 : ج1/ ص: 50./ هامش: 1: ج1: ص: 52/ هامش: 2، ج1/ ص: 87/ هامش 1: ج1/ ص: 99./ هامش 1، ج1: ص: 122.....الخ.

3- عود الضمير في بيت من الأبيات: ج1/ ص: 32.- مسالة حرفية أو إسمية **إذا** عند النحاة : هامش 1، ج1، ص: 47.- دلالة قد على التوكيد وعلى التحقيق عند النحاة: هامش 6: ج1، ص: 79.- إسمية الجملة الحالية: هامش 2: ج1/ ص: 80- تقدير البنية الأصلية في بعض الشواهد التي جاء فيها عدول عن الأصل: - هامش 3/ ج1، ص: 48.تقدير بعض المحذوفات في الكلام:هامش 1: ج1/ ص: 72.هامش 1-2/ ج1/ ص: 97 - هامش 1، ج1 ص: 104.هامش: 1-2، ج1/ص : 125...الخ.

4- ج1، ص: 26- 27/ هامش 1، ج1: ص: 45.

5- راجع مثلا: هامش 5، ج1، ص: 44.

6- راجع مثلا: ج1، ص: 31، ص: 44./ هامش 2، ص: 44./ هامش 1، ج1، ص: 77./ هامش 1، ج1، ص: 122./ هامش 1، ج2، ص:3...الخ.

+ توثيق بعض نصوص الشواهد، بذكر القصائد التي أخذت منها، أو بذكرها بروايات وردت بها في مصادر أخرى (1).

+ تدقيق القول وتحقيقه في بعض القضايا البيانية اعتمادا على ما ذكره المتقدمون من البلاغيين (2).

+ توضيح بعض معاني كلام الجرجاني، مع أنه أحيانا لا يحتاج إلى توضيح أحيانا (3).

+ مقارنة فهم الجرجاني لبعض الآثار بفهم غيره من البلاغيين (4).

+ الترجمة لبعض الأعلام الذين وردت أسماؤهم في نسيج النص (5).

هذه بعض مستويات عمل ابن تاويت في التحقيق، مؤطرا بسؤال التأريخ. لقد غابت هنا الموازنة والمقابلة بين نصوص النسخ المنتخبة أصولا للتحقيق. و هذه المستويات – على الجملة- بسيطة لا ترقى إلى مستوى الإسهام في بناء معنى جديد للنص المحقق.

ج- تحقيق (دلائل الإعجاز) لأبي فهر محمود محمد شاكر/ سؤال فهم النص مدخلا للتحقيق.

ظهر كتاب (دلائل الإعجاز) بتحقيق أبي فهر محمود محمد شاكر سنة 1404هـ/ 1984م؛ وهو عمل يندرج ضمن مشروع عام أسس له، ويروم من خلاله قراءة نصوص التراث قراءة مستوعبة وواعية، بعد أن اعتكف لسنوات طويلة، يراجع هذه النصوص، و يسائلها مساءلة رجل خبير بتاريخ قضاياها، وأسرار لغتها. وتشهد إسهاماته في التحقيق على توجه متميز في القراءة؛ ومنها: (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي: (ت 231هـ)، و(جامع البيان) للطبري (ت 310هـ)...الخ.

و لعل هذا التوجه الخاص في التحقيق هو ما حمل عباس محمود العقاد على نعت أبي فهر بالفنان المحقق.

ويحرص شاكر على إثبات عبارة: (قرأه وعلق عليه) على ظهر الكتب التي يحققها. يقول محمد الربيعي: " وهذه العبارة هي الحد الفاصل بين طبيعة عمله وطبيعة عمل غيره من شيوخ المحققين؛ إنه يوجه النص، ويبين معناه بنوع من التوجيه أو القراءة التي تجعله محررا؛ لأنها قراءة ترفدها خبرة عميقة بطريقة الكتابة العربية. وهو إذا مال بالقراءة ناحية معينة أتى شرحه مقاربا، وضبطه مقنعا، وأفق فهمه واسعا، فخلع على النص بعض نفسه، وأصبح كأنه صاحبه ومبدعه " (6).

1- انظر مثلا: هامش 4: ج1، ص: 44./ هامش 5، ج1:ص: 48./ هامش4، ج1، ص: 79/هامش 3، ج1، ص: 80/ هامش 3، ج1، ص: 88/ هامش: 3، ج1/ ص: 60 اعتمادا على توجيه خاص.

2- انظر مثلا: ج1، ص: 37./ هامش 1: ج1: ص: 49.

3- انظر مثلا :ج1: ص: 43، ج1، ص: 46./ هامش 1، ج1، ص: 93.

4- انظر مثلا: هامش رقم: 1 ج1، ص: 45.

5- انظر مثلا : هامش 1: ج1/ ص: 50./ هامش : 1، ج1، ص: 69/ هامش رقم 1: ج1، ص: 87/ هامش 1، ج1، ص : 89/ هامش 2، ج1، ص: 89.

6- "الشيخ الذي لم يكن تقليديا"، ص: 469.

و يرتبط هذا الاختيار في اعتقادنا بتصور محكم عند شاكر يقوم على اعتبار التحقيق صنو عملية القراءة الإنتاجية التي تشارك في بناء المعنى. واختياره لكلمتي التعليق والقراءة يدل على وعيه بالإمكانات التأويلية التي تتيحها هاتان الآليتان في ضبط النص المقروء، ومراعاة الانسجام بين مختلف سياقاته؛ وإدراكا منه أيضا لصعوبة إصابة مطلب التحقيق، الذي هو طلب الحق في النص (1).

ويرتبط منهج شاكر في تحقيق النص التراثي بمنهجه عامة في القراءة؛ وهو منهج ابتكره بنفسه- بعد فترة خلوة خاصة للقراءة والتأمل، نتيجة اصطدامه بموقف طه حسين (ت 1973م) من الشعر الجاهلي سنة 1926م ؛ أسماه منهج تذوق الكلام. يقول شاكرا في وصف منهجه: " منهجي في تذوق الكلام معني كل العناية باستنباط هذه الدفائن، وباستدراجها من مكامنها، ومعالجة نظم الكلام، ولفظه، معالجة تتيح لي أن أنفض الظلام عن مصونها، أو أميط اللثام عن أخفى أسرارها، وأغمض سرائرها. وهذا أمر لا يستطاع ولا تكون له ثمرة إلا بالأناة والصبر، وإلا باستقصاء الجهد في التثبت من معاني ألفاظ اللغة، ومن مجازي دلالتها الظاهرة والخفية بلا استكراه ولا عجلة، ولا بذهاب مع الخاطر الأول، ولا بتوهم مستبد، تخضع له نظم الكلام ولفظه" (2).

وليس منهج تذوق الكلام قصرا على الدراسات الأدبية، بل أراد له صاحبه أن يمتد إلى كل علم وصناعة؛ يقول شاكر: " ليس قواما للآداب والفنون وحدها، بل هو أيضا قوام كل علم وصناعة على اختلاف ذلك كله وتباين أنواعه وضروبه....فحسن التذوق يعني سلامة العقل، والنفس، والقلب من الآفات؛ فهو لب الحضارة وقوامها؛ لأنه أيضا قوام الإنسان العاقل المدرك، الذي تقوم به الحضارة" (3). إن منهج تذوق الكلام بهذا المعنى منهج ذو أبعاد إنسانية وحضارية.

إن قراءة أبي فهر محمود محمد شاكر لكتاب (دلائل الإعجاز) قراءة موجهة بسؤال فهم هذا الكتاب فهما جيدا، يؤمن للقارئ حسن تلقيه. يقول: " وجعلت همي أن يكون قارئ الكتاب ماضيا في قراءته دون أن يتعثر أو يتلفت تلفتا يعوقه عن المضي في قراءته" (4). و أنجز أبو فهر هذه القراءة في ظل منهجه الموسوم بمنهج تذوق الكلام.

لقد أراد شاكر لعمله أن لايبقى مجرد عمل تقني، الغاية منه تصحيح النص وإخراجه؛ وإنما مقصده الأسمى الفهم الصحيح للنص؛ فحينما قرأ في مرحلة من مراحل حياته كتاب (دلائل الإعجاز) استعصى عليه فهم بعض الأقوال هناك؛ من ذلك تكرار بعض الألفاظ والعبارات: " وفتشت ونقبت، فلم

1- التحقيق بين سلطة القاعدة وسلطة القراءة ، عبدا لقادر بقشى ، ص : 31.

2- المتنبي، ص:16.

3- أباطيل وأسمار، ص:134.

4- مقدمة شاكر لتحقيق دلائل الإعجاز، ص: ز.

أظفر بجواب أطمئن إليه، وتناسيت الأمر كله إلا قليلا، نحوا من ثلاثين سنة" (1). إن قراءة شاكر لنصوص التراث وفق هذا الكلام عمل قراءة مستمرة ، ومحاولة فهم دائمة.

إن كثيرا من هذه الإشكالات التي اصطدم بها شاكر أثناء قراءته لكتاب (دلائل الإعجاز) سيجد لها أجوبة شافية حينما سيظهر كتاب "المغني" للقاضي أبي الحسن عبدا لجبار بن أحمد بن عبدا لجبار الهمداني الأسداباذي(ت 415هـ)الفقيه، الشافعي، المتكلم، المعتزلي؛ ففي سنة 1381 هـ /1961 م، ظهر الجزء السادس عشر من هذا الكتاب. يقول شاكر: " فلما قرأته، ارتفع كل شك، وزال، وسقط النقاب عن كل مستتر" (2). ونقل شاكر بعض النصوص من كتاب (المغني) ليدل على أن الجرجاني إنما كان يعني بأصحاب هذه الأقوال القاضي عبدا لجبار؛ إن أبا فهر يجعل مفتاح فهم كتاب " دلائل الإعجاز" هو ربطه بكتاب (المغني)؛ لأن الجرجاني وعلى امتداد كتابه كان همه إبطال آراء عبدا لجبار في الفصاحة، وبيان فساد أقواله في اللفظ. و هذا في نظرنا بحث في الأنساق الخفية في درس البلاغة العربية، يتجاوز عمل المحقق في صورته التقليدية.

إن خلاصة ما قدمه الجرجاني في (دلائل الإعجاز) هو رؤية عالم أشعري لإعجاز القرآن الكريم، مؤداها أن إعجاز القرآن الكريم في حسن نظمه، الذي لا يقدر على مثله العباد. وهي رؤية تقف على طرفي نقيض من رؤية أهل الاعتزال في الموضوع. ويؤسس الجرجاني بهذا التصور – حسب شاكر- لعلم جديد اهتدى إليه، واستدركه على من سبقه، وشق له الطريق، ومهده.

ولم يحجب سؤال الفهم هذا سؤال التعليم في قراءة أبي فهر، وهو الذي ساءه وضع التدريس في المؤسسات العلمية في زمانه؛ فسعى جاهدا إلى تقريب متن الكتاب من محصلي علم البلاغة: " فإن كلامه ربما شق على كثير من أهل زماننا ، حين كتب عليهم أن يهجروا كتب أسلافهم من الفحول الأفذاذ" (3).

وضمن شاكر مقدمة التحقيق حديثا مفصلا عن النسخ المعتمدة في القراءة؛ اثنتان نفيستان؛ تعود الأولى إلى سنة 568هـ، و رجح أن تعود الثانية للقرن الهجري السادس أو السابع. وجعل شاكر النسختين أصلا لقراءته وتعليقه. كما اعتمد أبو فهر مطبوعة الشيخ رشيد رضا ل (دلائل الإعجاز) : (1321هـ)، والتي حدثناك عنها فيما مضى من فصول هذا العرض.

1- مقدمة شاكر، ص:ج.

2- نفسه، ص:د.

3- نفسه، ص: ز.

وألقى سؤال الفهم بظلاله على منهج شاكر في تحقيق النص: " وجعلت همي أن يكون قارئ هذا الكتاب ماضيا في قراءته دون أن يتعثر، أو يلتفت تلفتا يعوقه عن المضي في قراءته، فأعنته بتقسيمه إلى فقر مرقمة، ودللته على سياق كلام عبدا لقاهر" (1).

إن هم شاكر في كل إجراء أو خطوة يعمد إليها أثناء قراءة النص، إنما هو حسن الإفهام والإبانة، حتى لايتيه القارئ، ويضيع منه معنى النص؛ وهذا الجهد منه تجده في مستويات متعددة من عمله في القراءة، ونذكر من صوره:

– اجتهاده لوضع عناوين صغيرة لفقرات الكتاب ومقاطعه؛ ذلك أن فصول (الدلائل) تعرف حالا من التداخل، يصل إلى حد التناقض الظاهري في بعض الأحيان. ولا شك أن هذه العناوين تؤمن الفهم الجيد للقارئ، وتقربه منه.

– صرف العناية إلى ترقيم فقرات الكتاب؛ وهذا إجراء تقني يروم من وراءه أبو فهر التحديد الدقيق لموضوعات الكتاب، من أجل تلافي التشويش على القارئ.

– التنبيه على مواطن الاتصال والترابط بين فقرات الكتاب ومقاطعه، حتى تظهر للقارئ في غاية من السبك والرصف، فتسلم معناها بنفسها، دونما حاجة إلى إجهاد النفس لإدراك سياقات الكلام، وأوجه التكامل والترابط بين أجزاء الكتاب.

– تذليل عويصات النص، ومبهماته تحقيقا لمطلب الإيضاح والإبانة...الخ.

وهذه المستويات كاملة إنما هي من مقتضيات سؤال الفهم ؛ وهو السؤال المؤطر لقراءة أبي فهر محمود شاكر لكتاب: (دلائل الإعجاز)؛ فأنت إذا تتبعت هذه الجهود تجدها تصب في اتجاه واحد، وتنزع نحو منزع فريد، يروم تمكين القارئ من الأدوات القمينة بتأمين الفهم السليم للنص المقروء. والحق أن هذه الجهود مكنت هذه القراءة من اعتلاء منزلة متميزة ضمن سلسلة القراءات المنجزة حول نص (دلائل الإعجاز) تحقيقا، فصارت قبلة الباحثين المتخصصين في موضوعها.

1– مقدمة شاكر، ص: ز.

خاتمة:

اقتصرنا لغاية منهجية على نماذج من تحقيقات كتاب (دلائل الإعجاز) لعبدا لقاهر الجرجاني. ولا شك أن المنجز في كل تحقيق له ميزته وخصوصيته؛ فالثالوث عبده ورضا والشنقيطي كان همه بالدرجة الأولى تيسير الكتاب للمحصلين، انسجاما مع مشروع إحياء علوم العربية، الذي رفعه الشيخ عبده في زمانه؛ فجاءت جهود المحققين وفاء لما يحقق هذا المطلب الرئيس.

وكان مقصد ابن تاويت تاريخيا بامتياز؛ ولعل حرصه على تعريف القارئ بالمغرب الأقصى على هذا الأثر البلاغي هو ما حذا به إلى وضع هذا الهدف الكبير نصب عينيه، حتى وإن كان ذلك على حساب ضابط مهم من ضوابط التحقيق؛ أقصد ضابط المقابلة بين النصوص، والموازنة بينها. وظلت جهود ابن تاويت على الجملة محدودة جدا لا تتجاوز مستوى إخراج النص، وفق الإمكانيات المتاحة.

أما أبو فهر محمود محمد شاكر فكانت قراءته مسكونة بسؤال الفهم الجيد لنص (دلائل الإعجاز)، انسجاما مع مشروعه الأصيل في قراءة التراث وفق منهج تذوق الكلام.

وهذا التعدد مشروع من زاوية اعتبار التحقيق ضربا من القراءة الإنتاجية. وسعي القارئ إلى استنطاق النص هو ما يبرر تعاقب القراءات؛ وهذا التعاقب فعل مشروع: " لأن التراث موجود لغوي قائم الذات باعتباره كثلة من الدوال المتراصفة، وإعادة قراءته هي تجديد لتفكيك رسالته عبر الزمن" (1).

وإذا كان التحقيق يحمل خصوصية ما، تكسبه تفرده، وتحفظ له كيانه، فإن قيمته إنما تكمن في مدى قدرته على إنتاج قراءة موازية للنص المحقق، تحفظ قدسيته، وتؤمن فهمه فهما جيدا، يراعي سياقه الجديد.

و يبقى تعدد التحقيقات فعلا مشروعا مادام هذا الفعل قادرا على الإسهام في بناء معرفة جديدة حول النص. و قد تتقوى شرعيته أكثر كلما توفر للمحقق: (القارئ) نسخ أخرى لنفس النص، يمكن أن تغني معناه، وأن تخصبه. و من مسوغاته أيضا أن يتوسم المحقق في نفسه القدرة على تحقيق النص تحقيقا جيدا يتجاوز به منجز سابقيه.

ولا بد من الإشارة أخيرا إلى ضرورة انفتاح التحقيق باعتباره قراءة على المعارف الجديدة المحيطة به، من علم المخطوطات، ونقد النصوص، وغيرهما.

انتهى.

1- التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبدا لسلام المسدي، ص: 12- 13.

لائحة المصادر والمراجع:

أ/ المصادر:

- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (1990م).
- دلائل الإعجاز، عبدا لقاهر الجرجاني، تحقيق محمد بن تاويت، ط؟ (د. ت).
- دلائل الإعجاز ، عبدا لقاهر الجرجاني، تحقيق محمد عبده ورشيد رضا والشنقيطي، تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي، ط1، مكتبة القاهرة، (1969م).
- دلائل الإعجاز، عبدا لقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، (2004م).
- المقدمة، عبدا لرحمان بن خلدون، تحقيق حجر عاصي، ط؟ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (1986م).
- مقدمة محمد بن شريفة لكتاب: التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات ، ابن عميرة المخزومي، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (1412هـ/ 1991م).
- مقدمة محمد الحبيب بن الخوجة لكتاب: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1986م).

ب/ المراجع:

- أباطيل أسمار، محمود محمد شاكر، ط1، مطبعة المدني، القاهرة، (1972م).
- أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، مهدي فضل الله، الطبعة الرابعة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (2006م).
- التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبدا لسلام المسدي، ط؟، الدار العربية للكتاب، تونس، (1981م).
- تلخيص المفتاح وجهود شارحيه : السبكي وابن يعقوب المغربي، عبدالله الرشدي، أطروحة دكتوراه، تحت إشراف الدكتور مبارك حنون، مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، الموسم: (2001-2002م).
- قطوف أدبية. دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، عبدا لسلام هارون، مكتبة السنة، القاهرة، (1409هـ).
- المتنبي. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. أبو فهر محمود محمد شاكر، ط1، دار المدني بجدة ومكتبة الخانجي بمصر،(1407هـ/ 1987م).
- المختصر الدقيق في فن التحقيق، عبدالله حسين السادة وباسم عبود الياسري، ط1، دار الوراق، لندن، (2005م).
- مقالات في علم المخطوطات، مصطفى الطوبي، ط1، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، (2000م).

- مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ط2، دار العلم للملايين، بيروت،(1974م).

ج/ مقالات:

- " التحقيق بين سلطة القاعدة وسلطة القراءة"، عبدالقادر بقشى، مجلة المنارة، تصدرها جمعية تنمية التعاون المدرسي، فرع مراكش المنارة، العدد الخامس،(2004م).

- "الشيخ الذي لم يكن تقليديا"، محمد الربيعي، مجلة العربي، العدد: 469.

- " من أجل تلق نسقي" ، محمد مفتاح، ضمن كتاب: من قضايا التلقي والتأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالربط، (1994م).

- " النص بين التلقي والتأويل"، أحمد بولحسن، ضمن كتاب/ من قضايا التلقي والتأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، (1994م).

التجديد في مناهج تحقيق النصوص

. دراسة تطبيقية من خلال مخطوطات علم القراءات

د. يوسف بن مصلح بن مهل الردادي

عضو هيئة التدريس في قسم القراءات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ملخص البحث.

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على أفكار علمية يمكن لها أن تُسهم في تجديد مناهج تحقيق النصوص، لا سيما وأن الخطط العلمية الخاصة بتحقيق النصوص تكاد تتفق على ترتيب معين لا تخالفه إلا نادراً، ويشمل هذا الترتيب في شقِّه الأول ترجمة المؤلِّفِ، ودراسة الكتاب، وما يتصل بهما من فصول ومباحث، ويتضمن في شِقِّه الثاني تحقيق النص المحقق، مع التقديم له بمقدمة، وختمه بخاتمة وفهارس.

والحقُّ أن هذه المنهجية بما تتضمنه من جودة وإحكام لا يشترط أن تُعمَّم ويُكتفى بها، بل إن التجديد لا بد أن يكون له حضوره الذي يُعنى بتقديم مادة علمية مبتكرة، بحسب العلم الي أُلِّف فيه الكتاب، وبحسب ما تقتضيه طبيعة موضوع النص المحقق، بالإضافة إلى أثره في الحركة العلمية، وأثر مؤلِّفه كذلك.

ومن أبرز معالم التجديد التي يناقشها البحث:

أولاً: دراسة المخطوطات المنسوبة لمجاهيل.

ثانياً: دراسة المخطوطات التي في نسبتها لمؤلِّفيها نظر،.

ثالثاً: دراسة النواحي الفنية للمخطوطات، وتشمل تملكات المخطوطات وإجازاتها وأسانيدها وسماعاتها، والاستفادة منها في إثراء المعلومات المتعلقة بالأعلام محدودي التراجم،.

كما تشمل أيضاً دراسة نوعية الخط، وتعدد الخطوط في المخطوط الواحد، وكيفية تقسيم الورقة، وتوصيف إطاراتها، وما تضمنته من علامات الترقيم والمقابلة والتصحيح، وألوان المداد، وغيرها من الأمور الفنية المتعلقة بالمخطوط.

ويسعى البحث إلى لفت انتباه الباحثين للعناية بمئات المخطوطات المنسوبة لمجاهيل في المكتبات حول العالم دراسة وتحقيقاً وفهرسة، وأن تكون النسبة لمجهول سبباً في إقبال الباحثين على دراسة المخطوط وتحقيقه بدلاً من أن تكون سبباً لعزوفهم عنه.

كما يتضمن البحث في خاتمته نتائج وتوصيات ومقترحات تتعلق بقضية التجديد في مناهج تحقيق النصوص، دون أن يتعارض ذلك مع المناهج الأصيلة والخطوط العريضة المعتبرة لما وضعه العلماء المتقدمون في علم التحقيق من أسس متينة وضوابط محكمة.

المقدمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن المخطوطات هي أوعية العلم التي تركها لنا العلماء المتقدمون منذ بداية التأليف في القرون الأولى، ولم يزل الباحثون عن المعرفة والراغبون في تحصيل العلوم يبذلون الغالي والنفيس في سبيل تحصيل هذه المخطوطات، والسعي الحثيث إلى توثيقها ودراستها وتحقيقها حتى يتم نشرها بعد ذلك وإتاحتها ليُستفاد منها على الحال التي تركها المؤلف أو قريبا منها.

وبالرغم من أن مناهج تحقيق النصوص تكاد تتفق على قالب علمي متعارف عليه لا يُخرج عنه إلى نادراً، ويشمل هذا الترتيب في شقِّه الأول ترجمة المؤلِّفِ، ودراسة الكتاب، وما يتصل بهما من فصول ومباحث، ويتضمن في شِقِّه الثاني تحقيق النص المحقق، مع التقديم له بمقدمة، وختمه بخاتمة وفهارس، إلا أن هذه المنهجية – بما تتضمنه من جودة وإحكام – لا يشترط أن تُعمَّم ويُكتفى بها.

ولهذا فإن للتجديد أثره وقيمته، وتبعاً لذلك فلا بد أن يكون له حضوره الذي يُعنى بتقديم مادة علمية مبتكرة، بحسب العلم الي أُلِّف فيه الكتاب، وبحسب ما تقتضيه طبيعة موضوع النص المحقق من نظم أو نثر، أو شرح أو استدراك، ونحو ذلك، بالإضافة إلى أثره في الحركة العلمية، وأثر مؤلِّفه كذلك.

وبعد أن يسَّر الله لي الاطلاع على الإعلان الكريم الخاص بالملتقى الدولي الثاني حول مناهج تحقيق النصوص عند العرب والغرب، والذي تنظمه جامعة زيان عاشور بالجلفة في الجزائر، ممثلة بمخبر جمع ودراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها؛ حرصتُ على طرق أبواب التشرف بالمشاركة فيه من خلال فكرة التجديد التي أناقشها في هذا البحث.

حيث اخترتُ في هذا البحث أن أشير إشارات يسيرة إلى بعض أبرز معالم التجديد التي يمكن أن تُضاف إلى مناهج تحقيق النصوص، والتي هي وثيقة الصلة بالمخطوطات ومناهج تحقيقها.

ومن أبرز هذه المعالم:

أولاً: دراسة المخطوطات المنسوبة لمجاهيل، حيث إن مكتبات المخطوطات حول العالم تزخر بمئات المخطوطات المنسوبة لمجاهيل، ولربما تكون النسبة لمجهول ناتجة عن فقدان الورقة الأولى من المخطوط، مع اكتمال بقية أوراقه.

ثانياً: دراسة المخطوطات التي في نسبتها لمؤلِّفيها نظر، وتزداد أهمية الدراسة عندما تكون النسبة لأحد الأعلام المشتهرين بالتصنيف، كالإمام أبي عمرو الداني ت444هـ، أو الإمام ابن الجزري ت833هـ، أو الإمام السيوطي ت911هـ، وغيرهم.

ثالثاً: دراسة النواحي الفنية للمخطوطات، وتشمل تملكات المخطوطات وإجازاتها وأسانيدها وسماعاتها، والاستفادة منها في إثراء المعلومات المتعلقة بالأعلام محدودي التراجم، ومعرفة الإطار الزماني والمكاني للمخطوط، وانعكاسه على الحركة الثقافية مكاناً وزماناً.

كما تشمل أيضاً دراسة نوعية الخط، وتعدد الخطوط في المخطوط الواحد، وكيفية تقسيم أوراق المخطوط، وتوصيف إطاراتها، وما تضمنته من علامات الترقيم والمقابلة والتصحيح، وألوان المداد، وغيرها من الأمور الفنية المتعلقة بالمخطوط.

إن التجديد الذي نسعى لتحقيقه والوصول إليه يضمن لنا بعون الله الإسهام في التفات الباحثين إلى عشرات ومئات المخطوطات المنسوبة لمجاهيل في مكتبات المخطوطات حول العالم، وعنايتهم بها دراسة وتحقيقاً وفهرسة، بل الطموح بأن تكون النسبة لمجهول سبباً في إقبال الباحثين على دراسة المخطوط وتحقيقه بدلاً من أن تكون سبباً لعزوفهم عنه.

كما يتضمن البحث في خاتمته جملة من النتائج والتوصيات والمقترحات التي يُمكن أن تُسهم في وضع النقاط على الحروف فيما يتصل بقضية التجديد في مناهج تحقيق النصوص، دون أن يتعارض ذلك مع المناهج الأصيلة والخطوط العريضة المعتبرة لما وضعه العلماء المتقدمون في علم التحقيق من أسس متينة وضوابط محكمة.

ويندرج البحث تحت المحور الثالث من محاور الملتقى، وهو عن آفاق التحقيق في الوطن العربي، واقع تحقيق النصوص ومناهجه في العالم العربي: آفاق، وسائل، اقتراحات، توحيد الرؤى، الخ.

- **أهمية الموضوع:**

تبرز أهميَّةُ الموضوعِ من خلالِ النقاطِ التاليةِ:

أولاً: عنايته بالتجديد والابتكار في مناهج تحقيق النصوص.

ثانياً: إبرازه لبعض الأفكار العلمية التي يمكن أن يُستعان بها لتنويع مناهج تحقيق النصوص وعدم الاقتصار على المناهج القديمة دون تجديد.

ثالثاً: ذكره لبعض الأمثلة والنماذج لما يطرحه من أفكار علمية، لتكون هذه النماذج مثالاً يتخذه الباحثون أنموذجاً في دراساتهم.

- **حدود البحث:**

يدور محور البحث حول نقاط محددة تمت الإشارة إليها في عنوان البحث، رغبة في التركيز على جزئية محددة، وذلك وفق الرؤية التالية:

أولاً: الحد الموضوعي:

يُعنى البحث بمخطوطات علم القراءات، فتخرج مخطوطات العلوم الأخرى، وإنما اقتصرتُ على علم القراءات دون غيره رغبة في التخصص الدقيق وعدم الإطالة.

ثانياً: الحد المنهجي:

يعرض البحث مادته العلمية من خلال منهج تجديدي، لتخرج بقية المناهج الأخرى كالنقدية وغيرها.

ثالثاً: الحد الزماني:

يقتصر البحث على مخطوطات علم القراءات المتقدمة، ويمكن تقديرها من بداية التدوين في القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري.

رابعاً: الحد المكاني:

لم يُحدَّد البحث بمكان معين، وإنما يهدف إلى تقديم فكرة هذا البحث لتكون محل الدراسة والنظر من قِبل المتخصصين أيَّاً كان موضعهم.

- **مشكلة البحث:**

تكمن مشكلة البحث في طرح أفكار علمية تُعنى بتجديد مناهج تحقيق النصوص، دون الإخلال بالضوابط والقواعد الأصيلة التي قررها الأساتذة المتخصصون، ودون المساس بالمناهج التي سار عليها العمل في دراسة النصوص وتحقيقها.

- **أهداف البحث:**

من أبرز أهداف البحث ما يلي:

أولاً: عرضُ واقعِ مناهج تحقيق النصوص، وبيان مدى أهمية العناية بالتجديد والابتكار دون الإخلال بأسس التحقيق وضوابطه .

ثانياً: اقتراحُ جملةٍ من الأفكار العلمية التي تُسهم في توسيع دائرة الاستفادة من مناهج دراسة وتحقيق مخطوطات علم القراءات.

ثالثاً: تسليط الضوء على بعض النماذج والأمثلة التي اعتنى أصحابها بالتجديد في مناهج تحقيق النصوص ليُنسج على منوالها.

رابعاً: لفت انتباه الباحثين وطلاب الدراسات العليا إلى القيمة العلمية العالية التي تكتنزها المخطوطات المنسوبة لمجاهيل.

- **خطة البحث:**

اقتضت طبيعة البحث أن أقسِّمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ثم فهارس، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة:

- أهمية الموضوع.
- حدود البحث.
- مشكلة البحث.
- أهداف البحث.
- خطة البحث.

المبحث الأول: التجديد في الدراسات المتعلقة بتوثيق المخطوط.

المطلب الأول: دراسة المخطوطات المنسوبة لمجاهيل.

المطلب الثاني: دراسة المخطوطات التي في نسبتها لمؤلفيها نظر.

المبحث الثاني: العناية بالقيمة الفنية للمخطوط.

الخاتمة.

فهرس المصادر.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول: التجديد في الدراسات المتعلقة بتوثيق المخطوط.

يجتهد القائمون على الأعمال العلمية الأكاديمية في توجيه الطلبة إلى مشاريع علمية وعناوين بحثية، لا تخلو في غالب الأمر من إحدى طريقتين:

الطريقة الأولى: طريقة الكتابة والتأليف.

الطريقة الثانية: طريقة تحقيق المخطوطات.

وعند إمعان النظر في الطريقة الثانية المتعلقة بالمخطوطات نجد أن جُلَّ الخطط العلمية الخاصة بها تكاد تتفق على ترتيب معين، يشمل ترجمة المؤلِّفِ ودراسة الكتاب في الجزء الأول، ويتضمن في جزئه الثاني تحقيق النص المحقق، مع التقديم له بمقدمة، وختمه بخاتمة وفهارس.

والحقُّ أن هذه المنهجية مع أصالتها وجودتها ليست لازمة في كل مشروع تحقيق علمي، خصوصاً إذا كان المخطوط الذي بين أيدي الباحثين لا يمكن استيفاء تحقيقه من خلال هذه المناهج، كأن يكون لمؤلف مجهول مثلاً، وهنا تكمن الحاجة إلى طرق أبواب التجديد والابتكار في تحقيق النصوص.

ثم إن الاقتصار على منهجية محددة تتكرر بتكرر الخط العلمية قد يؤدي في بعض الرسائل إلى اعتقاد الباحث بأن العبرة بزيادة عدد الصفحات وإثقالها بالحواشي، دون مراعاة التجديد في الطرح، أو انتهاج منهجٍ يخالف ما أَلِفه في التحقيقات الأخرى.

يقول الدكتور المحقق بشار عواد معروف: «ومما يُؤسف عليه أن تظهرَ في العقود الأخيرة من المئة الماضية عشرات النصوص، وقد بالغ محققوها بتعليقات لا مسوغ لها، كأن المحقق يريد تفخيم النص الذي يحققه، أو توبلة الكتاب بها، تاركاً خلفه الصعب المبهم الذي هو بالتعليق خليق، فظهر من الكتاب ما هو محرَّف النص أو ناقصه، لكنه في الوقت نفسه مليء بتلك التعليقات التي لم تخدم النص، فظنَّ بعضهم أن هذا هو التحقيق الدقيق»[1].

إن التجديد الذي ننشده لا يُخالف مطلقاً القواعد الأساسية لتحقيق المخطوطات، ولا يتعارض مع ضوابط وأسس إقامة النصوص العلمية المحققة، وإنما يهدف إلى توسيع دائرة العناية بالمخطوطات وعدم تقييدها في إطار محدد، وتمكين طلاب الدراسات العليا وعموم الباحثين إلى البحث عن الخطط المبتكرة، التي تمكنهم من الوصول إلى أقصى غاية ممكن في الاستفادة من المخطوط.

يقول الدكتور الشريف حاتم العوني: «إلا أننا وفي عصر الطباعة، وما يستلزمه هذا العصر من التعامل مع آليات المطابع، مع ملاحظة النسخ المخطوطة المتبقية من تراثنا، ثم حاجة القارئ المعاصر إلى تقريب تلك المصنفات إلى

([1]) في تحقيق النص: [ص:341].

فهمه المتأثر ببيئته وأسلوب الحياة الحديثة البعيدة عن حضارتنا وعلومنا، مع مجاراة الذوق الحديث في إخراج الكتب وتنظيمها، مع الرغبة في اختار الوقت بمثل الفهارس والكشافات = كل ذلك استحدث أصولاً جديدة، وأوجد ضوابط لم يُنصَّ عليها فيما سبق، تكفل القيام بجميع تلك الاحتياجات الملحَّة، والتحسينات المرغوبة لدى القارئ المعاصر»[1].

وعطفاً على ما سبق، فقد اخترتُ في هذا المبحث أن اقتصر على جانبين من جوانب التجديد في مناهج توثيق النصوص، وهما:

أولاً: دراسة المخطوطات المنسوبة لمجاهيل.

ثانياً: دراسة المخطوطات التي في نسبتها لمؤلفيها نظر.

([1]) العنوان الصحيح للكتاب: [ص:9].

المطلب الأول: دراسة المخطوطات المنسوبة لمجاهيل.

تزخر مكتبات المخطوطات حول العالم بآلاف العناوين لمخطوطات مجهولة المؤلفين، ومما يُؤسف له أن كثيراً من هذه المخطوطات المجهولة لا تجد العناية الكافية من طلاب الدراسات العليا وغيرهم من الباحثين لمحاولة دراستها واستخراج ما يمكن أن يوصل إلى مؤلفها، بل يُزهد فيها لعدم معرفة مؤلِّفها، ولو اجتهد الباحث في قراءة المخطوط ووقف على بعض المعلومات بداخله لربما توصَّل إلى مؤلفه.

يقول الدكتور عمار أمين الددو عند حديثه عن كيفية البحث عن مخطوط مناسب للدراسة والتحقيق: «ثالثاً: البحث في المخطوطات المجهولة المؤلف والعنوان، لأن الكثير من المخطوطات النادرة في هذا الحقل ما زالت تنتظر الاكتشاف، ذلك لأنها لو كانت من الكتب المعروفة لاكتشفها المفهرسون.

وإن أول إجراء ينبغي فعله في هذه المرحلة ما يأتي:

1] قراءة المخطوط قراءة متأنية، للبحث عن طرف خيط يقود إلى معرفة مؤلفه، أو تحديد عصره.

2] البحث عن تاريخ نسخ المخطوط، أو تقدير عمره.

3] اقتباس بعض عبارات المخطوط المميزة، والبحث عنها في الكتب الأخرى.

4] مقارنة أسلوب الكتاب بما يتوفر من كتب القراءات المطبوعة»[1].

ولذا فيجدر بالباحثين والمحققين أن يُولوا هذه المخطوطات المجهولة عناية فائقة، نظراً لما قد تتضمنه من كنوز ولآلئ لا يُقدِّرها الثمن، ولاحتمالية أن يكون ما بين أيديهم كتاباً ذا قيمة علمية عالية الأهمية، وإنما فُقِدت الورقة الأولى من نسخته الخطيَّة، فقيَّده المفهرسُ مجهول المؤلِّف تبعاً لذلك.

ويمكن للباحث أن يجتهد في وضع الخطوط العريضة لكل مخطوط مجهول المؤلِّف، يُراعي من خلالها ما يلي:

أ / موضوع المخطوط، العام والخاص:

فيعرف موضوعه في أي العلوم، وإذا ثبت له أنه في القراءات مثلاً فيجتهد في معرفة موضوعه الخاص:

هل هو في القراءات السبع؟ أم في العشر؟ أم في الشواذ؟

وهل هو منثور أو منظوم؟

وهل هو في التوجيه؟ أو الرواية؟ أو مسائل الدراية؟

وهل هو شرح؟ أم استدراك؟ أم غير ذلك؟

ويُسهم هذا العمل في تيسير المهمة التالية، سواء باشرها الباحث بنفسه أم جاء مِن بعده من يُكمل هذه المهمة.

([1]) المنهج الأمثل لتحقيق كتب القراءات في ضوء التقنيات الحديثة: [ص:304]، باختصار وتصرف يسير.

ب / مصادر المؤلِّف، من الشيوخ والكتب:

فيقف الباحث على شيوخ المؤلِّف الذين ينقل عنهم في المخطوط، وعلى مصادره الرئيسية التي يعتمد عليها، ولربما يسَّر ذلك للباحث الوقوف على عصر المؤلِّف، ومذهبه، وبلده، وغيرها من القرائن التي يصل من خلالها الباحث إلى تحديد المؤلِّف.

وما ذكرتُه مجرد أدوات يسيرة يستخدمها الباحث في الوقوف على سر المخطوط الذي بين يديه ومحاولة الوصول إلى مؤلفه[1].

ولا ريب أن الأمر لا يقتصر على ما ذكرتُه فقط، بل يتعداه إلى جوانب أخرى أكثر دقة وأعمق دلالة، ومنها:

معرفة نوع الخط المستخدم في الكتابة؟

وهل تغيَّر الخط في المخطوط أم لا؟

وتقدير تاريخ الكتابة باعتبار لون المداد وحجمه.

والنظر في تسطير الأوراق وإطاراتها.

وغير ذلك الكثير من الأساليب التي لا يعجز عنها الباحثون، والتي تُقدم لهم خدمة جليلة بالكشف عن هوية المؤلِّف فيما يقع بين أيديهم من مخطوطات مجهولة النسبة.

ولعل من النماذج التي يُشار إليها في هذا المقام – وهي مما صدر مؤخراً – ما ذكره الدكتور غانم قدوري الحمد في مقدمة تحقيقه لكتاب مجهول المؤلِّف في علم رسم المصحف، حيث قال: «ولم يبق من كتب رسم المصحف التي ألَّفها المشارقة إلا الشيء القليل، وكان من بين المؤلفات المشرقية في الرسم كتاب (الهجاء)، الذي بقيت منه نسختان خطيتان؛ إحداهما تحتفظ بها مكتبة وهبي أفندي باستانبول، والثانية تحتفظ بها مكتبة جامعة هارفرد.

ولم يُكتب على المخطوطتين اسم مؤلف الكتاب، لكن المؤلف حرص على ذكر المصادر التي نقل منها مادة كتابه، وأشار إلى خمسة عشر كتاباً منها، نصفها تقريباً غير معروف للدارسين، وهي مؤلفات مشرقية، يدل على ذلك أسماء مؤلفيها من المعروفين ومن غيرهم، فألقابهم: النيسابوري، والزمخشري، والأندرابي، والنوباغي، والفارسي، والأهوازي، والأنباري، والهمذاني، والعُماني، وكل هذه المدن والبلدان التي نُسِبي إليها هؤلاء العلماء مشرقية.

وكنتُ قد اطلعتُ على مخطوطة الكتاب المحفوظة في مكتبة وهبي أفندي في استانبول قبل خمس وثلاثين سنة، حيث كتبتُ رسالتي للماجستير عن رسم المصحف، ولم يحظَ هذا الكتاب بعناية الدارسين والمحققين لكون مؤلفه مجهولاً، وكان ذلك مما صرفني عن دراسته وتحقيقه حيناً من الدهر، وكنتُ أرجع إليه بين فترة وأخرى، وكلما رجعتُ إليه زادت قيمة هذا الكتاب في نظري، لسببين:

الأول: أسماء الكتب التي ينقل منها، وكثير منها غير معروف.

([1]) انظر: مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث: [ص:203].

والثاني: ما ذكره من الهجاءات الغريبة والروايات النادرة حول الرسم» [1].

إن هذا المثال الذي ذكرته ليعطي دلالة واضحة على مدى إمكانية استخراج الدرر واللآلئ المنثورة خلف المخطوطات المنسوبة لمجاهيل، ولا ريب أن ما ذكره الدكتور غانم عن الكتاب وأهميته وموضوعاته يمكن أن يرشد من يأتي بعده ليكمل طريق تحقيق الكتاب، ولربما يكتشف اسم مؤلفه، ويقدم مزيداً من الدراسات المتممة للجهد الذي بُذِل لإخراجه في صورته الأولى، فالعلم رحم بين أهله.

([1]) مقدمة تحقيق كتاب: الهجاء في رسم المصحف: [ص:7].

المطلب الثاني: دراسة المخطوطات التي في نسبتها لمؤلفيها نظر.

يقف الباحث في بعض فهارس المخطوطات وبعض الرسائل العلمية على إشارة تُفيد بعدم القطع بصحة نسبة مخطوط ما لصاحبه، مما يجعل الفرصة مواتية للباحثين لدراسة المخطوط والوقوف على صحة نسبته من عدمها[1].

وتبرز هذه الظاهرة جليَّة واضحةً عند عرض قائمة مؤلفاتِ أحد العلماء الذين عُرِفوا بكثرة التصنيف، كالإمام ابن الجزري (ت833هـ)، إمام علم القراءات، والإمام السيوطي (ت911هـ)، وغيرهما، فتُنسب إليهم كتب ومؤلفات لم يُتحقق من صحة نسبتها، ويمكن توجيه الباحثين لمثل هذه الكتب لدراساتها وتمحيصها وتحقيق صحة نسبتها من عدمها.

ولعل من أبرز الأمثلة التي اعتنى بها كثير من المتخصصين في علم القراءات الكتب التي نُسِبت للإمام ابن الجزري[2]، وبعضها لم يُطبع بعد رغم وجود بعض نسخه الخطية، وسأقتصر في هذا المقام على كتاب واحد من هذه الكتب، وهو كتاب: الأصول في علم القراءات، المنسوب للحافظ ابن الجزري (ت833هـ).

حيث نُسِب إليه في بعض فهارس المخطوطات، وبعض الدراسات الحديثة التي كتبت عن ابن الجزري[3].

وعند الرجوع للمخطوط والتأمل فيه يجد الباحث أن نسبته للحافظ ابن الجزري لا تخلو من تكلف، وأن الصواب هو عدم نسبته إليه ما لم تظهر قرينة واضحة ترجح صحة النسبة بل تقطع بها، لا سيما وأن في الكتاب بعض المسائل العلمية التي تختلف عمَّا قرره ابن الجزري في كتبه الأخرى، ككتابه النشر في القراءات العشر، والتمهيد في علم التجويد، والمقدمة فيما على قارئه أن يعلمه، وغيرها.

ولعل السبب في حصول هذا اللبس – والله أعلم بالصواب – وقوع الخلط بين عنوان هذا المخطوط وبين كتاب آخر لابن الجزري أشار إليه في كتابه التمهيد في علم التجويد، حيث قال: «وهذا آخر ما قصدتُه من ترجمة هذا الكتاب[1].

([1]) انظر: دور الجهات القرآنية المتخصصة في تطوير خدمة كتب علوم القرآن: [ص:320]، حيث تضمن فكرة إنشاء مركز علمي لحصر فهارس المخطوطات وتهيئتها للباحثين.

([2]) انظر: منهج ابن الجزري في كتابه النشر: [ص:76]، مقدمة تحقيق منجد المقرئين: [ص:15].

([3]) انظر: كشف الظنون: [114/1]، هدية العارفين: [187/2]، الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي المخطوط، مخطوطات القراءات: [ص:20]، معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم: [3202/5]، شيخ القراء الإمام ابن الجزري: [ص:24]، مقدمة تحقيق تحبير التيسير: [ص:47]، مقدمة تحقيق تحفة الإخوان: [ص:47]، تنبيه ابن الجزري على أوهام القراء: [ص:94]، وغيرها.

وكنتُ قبل أن أكتب هذا التأليف بدأتُ في تأليف كتابٍ سميته: التوجيهات على أصول القراءات، ثم رأيتُ الحاجة داعية إلى تأليف هذا المختصر، فانثنيتُ عن ذلك حتى كمل تأليفي لهذا الكتاب، وأنا إن شاء الله عازمٌ على ذلك بإرشاده وتيسيره، إن تأخر الأجل، ونلتُ بلوغ الأمل حتى أكمله»[2].

وعند إمعان النظر فيما ذكره مؤلف كتاب الأصول في علم القراءات ومقارنتها بما قرره الإمام ابن الجزري في بعض المسائل في كتبه الأخرى يتبين أن القطع بصحة نسبة كتاب الأصول لابن الجزري لا يخلو من تكلف ومجازفة، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك مسألة تحديد عدد مخارج الحروف.

حيث ذكر مؤلف كتاب الأصول في علم القراءات أنها ستة عشر[3]، والذي ذكره ابن الجزري في عدة كتب له منثورة ومنظومة أن عدد مخارج الحروف سبعة عشر[4]، وهذه مجرد مسألة واحدة يمكن أن يُقاس عليها.

ولا شك أن دراسة الباحثين المحققين لمثل هذه الإشكالات تقطع بصحة نسبة الكتاب من عدمها.

وتبقى الحاجة ملحة لتفعيل مثل هذه المناهج وتهيئتها للباحثين، والعمل على حصر المخطوطات أو الكتب التي في نسبتها نظرٌ لمن نسبت إليهم، إثراء للحركة العلمية، واستخراجاً لمكنوز ذخائر التراث المخطوطة.

يقول الدكتور هلال ناجي: «فقد كنتُ قبل أعوام طوال قد نشرتُ مقالة في مجلة المكتبة العراقية، دعوتُ فيها صُنَّاع فهارس المخطوطات إلى فحص المخطوط من الداخل قبل فهرسته، كي لا تضيع جهود طائلة وأوقات ثمينة في ملاحقة مخطوط وتصويره وإحضاره، حتى إذا ما فحصه المحقق من الداخل اتضح أنه شيء آخر غير ما ذكر في الفهرست.

فتضيع جهود، ويُهدَر مال، ويُقتَل وقت، ويَموت أمل»[5].

ويضيف أيضاً: «فليس من الفهرسة في شيء نقل ما كُتِب على صفحة العنوان وتعداد أوراق المخطوط وقياساته ونوع خطه!

الفهرسة العلمية لا تقوم بغير دراسة النص من الداخل، واستبطانه للوصول إلى اسمه واسم مصنفه على وجه القطع واليقين، لا وجه التقدير والتخمين، بذلك تقضي الأمانة العلمية»[6].

وما ذكرته في حقِّ كتاب الأصول في علم القراءات المنسوب لابن الجزري يمكن إنزاله كذلك على كتاب الاهتدا في الوقف والابتدا المنسوب أيضاً لابن الجزري، والذي اكتشف مؤلفَه الصحيح أحدُ الباحثين مؤخراً، وأعلن الشروع في تحقيقه من خلال المواقع القرآنية المتخصصة على الشبكة العنكبوتية.

([1]) يريد: كتابه التمهيد في علم التجويد.

([2]) التمهيد لابن الجزري: [ص:234].

([3]) انظر: الأصول في علم القراءات: [ورقة: 3/أ].

([4]) انظر: النشر: [198/1]، المقدمة الجزرية، البيت رقم: [9]، وغيرها.

([5]) بحث: توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه: [ص:49]

([6]) المرجع السابق.

المبحث الثاني: العناية بالقيمة الفنية للمخطوط.

تتعدد جوانب أهمية النسخة الخطية للكتاب المراد تحقيقه بالنظر إلى ما تضمنته من دلالات وإشارات تفيد بعلو قيمتها، كأن تكون نسخة المؤلف أو نسخة أحد تلاميذه، ونحو ذلك.

يقول العلامة عبد السلام هارون: «أعلى النصوص هي المخطوطات التي وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب واسم مؤلفه، وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف وكتبها بنفسه، أو يكون قد أشار بكتابتها، أو أملاها، أو أجازها، ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها أو إقراره لها.

وأمثال هذه النسخ تُسمى نسخة الأم.

وتلي نسخة الأم النسخة المأخذوة منها، ثم فرعها ثم فرع فرعها وهكذا»[1].

وقد اخترتُ القيمة العلمية والفنية لإبراز مدى إمكانية الاستفادة منهما في تجديد مناهج تحقيق النصوص، من خلال دراسة تملكات المخطوط وأسانيده وإجازاته، والاستفادة منها بحسب ما تتضمنه.

فلربما وجد الباحثون عند قيامهم بالبحث عند ترجمة علمٍ ما أن ترجمته شحيحة في مصادر التاريخ وكتب التراجم، مما يجعل الجهد يتضاعف عليهم في زيادة البحث عسى أن يظفروا ببعض أخبار العلَم المترجَم له.

ولا شك أن المخطوطات لها جانب لا يمكن إغفاله في هذا المجال، حيث تقدم خدمة جليلة فيما يتصل بهذا الشأن، إذ يتضمن بعضُها تملكات وإجازات وسماعات وأسانيد يمكن أن تُثري ترجمة الأعلام محدودي الترجمة، من خلال إجازاتهم على بعض المخطوطات، أو أسانيدهم المدوَّنة عليها.

ومن الأمثلة الظاهرة التي وقفتُ عليها مؤخراً، ترجمة الإمامِ العَلَمِ المقرئ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن جماعة التَّنوخي المهدوي، وهو من المقرئين، ومن أعلام القرن السابع الهجري، مؤلِّف كتاب: تحصيل الكفاية, من الاختلاف الواقع بين التيسير والتبصرة والكافي والهداية.

فترجمة هذا العَلم شحيحة بحسب ما وقفتُ عليه، ومما زاد يقيني بصعوبة الوقوف على شيءٍ منها أن كتابَه تحصيل الكفاية نُسِب في بعض الدراسات الحديثة إلى مؤلف مجهول[2].

ثم يسَّر الله لي الوقوف على نقل الأستاذ الدكتور عبد الهادي حميتو[3] خبر ابن جماعة التنوخي عن صاحب درة الحجال[4]، فظهرت نسبة الكتاب إلى صاحبه بيِّنة جليَّة.

([1]) تحقيق النصوص ونشرها: [ص:29]، باختصار.

([2]) انظر: مقدمة تحقيق د/ حازم حيدر لكتاب شرح الهداية للمهدوي: [ص:84]، مقدمة تحقيق د/ حاتم الضامن لكتاب التيسير لأبي عمرو الداني: [ص:10].

([3]) في كتابه الموسوعة قراءة الإمام نافع عند المغاربة: [285/2].

([4]) انظر: درة الحجال: [ص174].

كما منَّ الله عليَّ بأن أقف على كتاب مفردة يعقوب لابن شريح الرعيني[1]، وعند قراءة ما كتبه المحقق وفقه الله عن النسخ الخطيَّة، إذا بي أجد النص الآتي عن ابن جماعة التنوخي:

«قرأتُ هذه الرواية من أولها إلى آخرها قراءة تصحيحٍ وروايةٍ ومقابلةٍ، وقرأتُ القرآن العظيم بمضمنها ختمةً كاملةً تحريراً بالروايةِ على شيخي وأستاذي الفقيه المقرئ الأستاذ المحصِّل الصدر العلامة، نسيج وحده وفريد دهره، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن جماعة التنوخي، شُهِر بالمهدوي – رحمه الله وبرَّد ضريحه – .

وحدثني بها قراءةً لها وبمضمَّنها على الشيخ الأستاذِ المقرئِ أبي بكر محمد بن عمر بن عبد المجيد الإشبيلي القيسي عن الدباج، عن ابن صاف، عن الخطيب أبي الحسن شريح، عن أبيه مؤلفها الإمام أبي عبد الله محمد بن شريح رحمه الله تعالى...»[2].

فأسهم هذا النصُّ في إثراء ترجمة هذا العَلَم الجليل، من حيث إسناده، وأسماء الآخذين عنه، ومعرفة بعض أخبار رحلاته، وغير ذلك.

وما أشرتُ إليه مجرد مثال يسير يمكن أن يُبنى عليه للوقوف على مزيد من المعلومات التي تثري تراجم القراء محدودي الترجمة.

يقول الأستاذ أبو المنذر الأزهري: «ومن بين العلماء الذين حفظت لنا دار الكتب[3] الكثير من مؤلفاتهم الإمام العلامة الحافظ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي، المتوفى سنة 909هـ.

فقد لفت انتباهي وجود الكثير من مؤلفاته المحفوظة بدار الكتب، ومعظمها بخط يده، والعجيب أن لا تكاد تجد للكثير منها ذكراً في فهارس الدار المنشورة ولا حتى في قاعدة بيانات الدار الالكترونية.

بل إن بعضها لم يذكره ابن عبد الهادي نفسه في فهرست كتبه الموقوفة، وكذا كل من ترجم له أو تناول حياته بالبحث والدراسة.

وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك أن جُلَّ هذه النسخ يوجد ضمن فن المجاميع، التي لم يُفهرس معظمها حتى الآن»[4].

إلى أن قال: «وأثبتُ ما على النسخ من قيود السماع والقراءة والإجازة والتملك والوقف وغير ذلك من الفوائد، سواء التي كتبها ابن عبد الهادي نفسه أو كتبها غيره.

وهي تفيد أيما إفادة في الوقوف على الكثير من جوانب حياة ابن عبد الهادي العلمية أو العامة التي لم تذكرها المصادر التي تناولته بالترجمة أو البحث والدراسة»[1].

([1]) بتحقيق زميلنا الدكتور مهدي لوناس دهيم الجزائري.

([2]) مقدمة تحقيق مفردة يعقوب لابن شريح: [ص:47].

([3]) يريد: دار الكتب المصرية بالقاهرة.

([4]) الفهرس الوصفي للنسخ الخطيَّة لمؤلفات يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي: [ص:6].

فالعناية بما هو مدوَّن على النسخ الخطيَّة من تملكات وسماعات وغيرها أمر بالغ الأهمية، يجدر أن يوجه إليه الباحثين بصورة رئيسية لا ثانوية، إذ تسهم مثل هذه الدراسات في معرفة عدد تملكات المخطوط، وأسماء العلماء الذين تملكوه وربما علَّقوا عليه، ولذلك قيمة علمية عظيمة لا يُقدِّرها الثمن.

ولعل من الأمثلة التي يمكن أن يستشهد بها على القيمة العلمية العالية لإحدى النسخ الخطية مقارنة بغيرها من نسخ الكتاب ذاته؛ ما يتعلق بكتاب المفيد في شرح القصيد، لأبي محمد القاسم بن أحمد اللورْقي (ت661هـ)، وهو من الشروح المتقدمة لمنظومة حرز الأماني ووجه التهاني (الشاطبية).

حيث حُقِّقَ الكتاب كرسالة علمية[2]، اعتماداً على نسختين خطيَّتين ذُكرتا في بعض فهارس المخطوطات[3]، وحُقِّقَ الكتاب مبتور المقدمة، نظراً لعدم وجودها في النسختين الخطيَّتين المعتمد عليهما.

ثم يسَّر الله لي الوقوف على نسخة خطية ثالثة للكتاب ذُكِرت في بعض فهارس المخطوطات[4]، وهي مكتملة تامة، تتميز بمميزات عدة، تجعلها أولى بالاعتماد في تحقيقها عن غيرها، ومن أبرز ما يميزها:

1] أنها تتضمن مقدمة المؤلِّف، التي سقطت من النسختين الأخريين.

2] أنها كُتِبت في مجلس المؤلف، وبحضوره.

3] أنها قوبلت بنسخة المؤلف، وعليها مقابلته وسماعه.

4] أنها زُيِّنت بإجازته بخطِّ يده في مقدمتها وخاتمتها.

فليُتأمل في مثل هذه المزايا المتعددة كم تضيف للنسخة الخطية من قيمة عالية، وإذا كان يمكن في عُرف المحققين أن يُكتفى بإحدى هذه المزايا للحكم على النسخة الخطية بالجودة والإتقان، فكيف بها مجتمعة؟

ويمكن القول بأن هذا المثال وغيره من النماذج المشابهة ليؤكد مدى ضرورة العناية بتفعيل مناهج التجديد في دراسة المخطوطات وتحقيقها، لتكون عوناً للباحثين في تيسير وصولهم إلى أكبر قدر ممكن من النسخ الخطيَّة للكتب المراد تحقيقها.

ولا يقتصر الأمر على التملكات والسماعات التي تُزيَّن بها المخطوطات، بل يتعدى ذلك ليصل إلى دراسة نوعية الخط، مشرقي أو مغربي، والوقوف على منهج الناسخ في كتابة بعض الحروف، ومنهجه في تسطير الكتاب، وعنايته بتنويع ألوان المداد، وكيفية كتابته للعناوين، وهل تعاقب على المخطوط ناسخ أم أكثر؟ إلى غير ذلك مما لا يتسع المجال للاستطراد فيه.

([1]) المصدر السابق.

([2]) حُقِّقَ كتاب: المفيد في شرح القصيد لأبي محمد القاسم اللورْقي في قسم القراءات بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، وحققه فضيلة الدكتور: عبد الحميد بن سالم الصاعدي، في مرحلة الدكتوراه، عام 1426هـ.

([3]) انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي المخطوط، القراءات: [ص:189]، فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الأسد الوطنية، الجزء الثالث، القراءات القرآنية: [ص:148].

([4]) انظر: معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم: [2370/1].

الخاتمة.

في خاتمة هذا البحث..

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره، وأثني عليه جلَّ شأنه بما هو أهله من الحمد والثناء على ما وفق وأعان من إتمام هذا البحث، وأسأله بمنه وفضله أن يتقبله بقبول حسن، وأن يبارك فيه، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وقبل أن أذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلتُ إليها في خاتمة البحث؛ أجدني مضطراً لتقديم الاعتذار عن التقصير والإيجاز في بعض مباحثه، وما ذاك إلا لطبيعة مثل هذه البحوث المختصرة، وحتى لا يطول البحث عن المقدار الملائم لمثله، وحسبي أن الفكرة العامة له قد اتضحت معالمها.

وقد يسَّر المنعم المتفضل بمنه وفضله أن أقف على بعض **النتائج** المتعلقة بالبحث، ومنها ما تمت الإشارة إليه في طيَّات البحث، وأوجز ذكرها فيما يلي:

أولاً: التجديد في مناهج تحقيق النصوص أمرٌ مُلِحٌّ يواكب التقدم العلمي الذي يشهده العالم اليوم.

ثانياً: لا تعارض بين الدعوة للتجديد في مناهج تحقيق النصوص وبين المناهج الأصيلة والأسس الثابتة، بل التجديد مبني عليها مستند إليها ولا غنى له عنها.

ثالثاً: العناية بالمخطوطات المنسوبة لمجاهيل أو التي في نسبتها لمؤلفيها نظر لا تقل أهمية وقيمة علمية عن المخطوطات صحيحة النسبة، فالقيمة العلمية والفائدة موجودة في الحالين، ولربما وُجد في المخطوطات المنسوبة لمجاهيل ما لم يوجد في المخطوط صحيحة النسبة.

رابعاً: المخطوطات المنسوبة لمجاهيل لا تزال تزخر بها المكتبات المختلفة حول العالم، ولا تزال الفرصة سانحة أمام الباحثين والمحققين للبحث عنها ثم جمعها، والعمل على دراستها وتحقيقها ثم نشرها.

كما أود الإشارة إلى بعض **التوصيات** التي ظهرت لي بعد الانتهاء من البحث، وأُجملُها فيما يلي:

أولاً: أهمية توجيه الباحثين من طلاب الدراسات العليا وغيرهم إلى الالتفات إلى التجديد في مناهج تحقيق النصوص، وبيان مدى إسهام ذلك في تحقيق الفائدة المرجوة للمنتسبين لتحقيق التراث.

ثانياً: ضرورة العمل على إقامة الندوات وورش العمل التي تهدف إلى توسيع دائرة التجديد في مناهج تحقيق النصوص، واستكتاب المحققين الأكفاء لإثراء المادة العلمية لمثل هذه المحافل من خلال خبراتهم.

ثالثاً: أهمية قيام المراكز العلمية بجرد المخطوطات المنسوبة لمجاهيل؛ كُلٌّ في منطقته ومدينته، والعمل على تيسير استفادة الباحثين منها، عسى أن يكون في ذلك إخراج لسِفرٍ من الأسفار المفقودة.

أكتفي بهذا القدر.

وأسأل المولى الكريم بمنه وفضله أن يبارك في هذه الجهود العلمية المباركة المتمثلة في إقامة هذا الملتقى المبارك، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا البحث مباركاً نافعاً، خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع بصير، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

فهرس المصادر.

- **بحث: توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه**، لهلال ناجي،
مجلة المورد العراقية، العدد: (1)، المجلد: (21)، 1413هـ.
- **بحث: دور الجهات القرآنية المتخصصة في تطوير خدمة كتب علوم القرآن**، علم القراءات نموذجاً، لـ د/ يوسف بن مصلح الردادي،
المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود بالرياض، المجلد: (3)، 1434هـ.
- **بحث: المنهج الأمثل المنهج الأمثل لتحقيق كتب القراءات في ضوء التقنيات الحديثة**، لـ د/ عمار أمين الددو،
المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود بالرياض، المجلد: (2)، 1434هـ.
- **مخطوط: الأصول في علم القراءات**، المنسوب لابن الجزري ،
نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، برقم: (67).
- **تحبير التيسير في القراءات العشر**، لأبي الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري (ت833هـ)،
تحقيق: د/ أحمد القضاة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، (ط:1)، 1421هـ.
- **تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان**، لأبي الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري (ت833هـ)،
تحقيق: د/ أحمد الرويثي، دار كنوز إشبيليا، (ط:1)، 1430هـ.
- **تحقيق النصوص ونشرها**، للعلامة عبد السلام هارون،
مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط:7)، 1418هـ.
- **التمهيد في علم التجويد**، لأبي الخير محمد ابن الجزري (ت833هـ)،
تحقيق: أ.د/ غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، (ط:1)، 1421هـ.
- **تنبيهات الإمام ابن الجزري على أوهام القراء**، لـ د/ أحمد الرويثي،
دار البشائر الإسلامية، بيروت، (ط:1)، 1433هـ.
- **التيسير في القراءات السبع**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ)،

تحقيق: أ.د/ حاتم الضامن، مكتبة الصحابة، الشارقة، (ط:1)، 1429هـ.

- **درة الحجال في غرة أسماء الرجال**, لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي (ت1025هـ)،
تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية, بيروت, الطبعة الأولى، عام 1423هـ.
- **شرح الهداية**، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت440هـ)،
تحقيق: د/ حازم حيدر، دار عمار، الأردن، (ط:1)، 1427هـ.
- **شيخ القراء الإمام ابن الجزري (ت833هـ)**، لـ د/ محمد مطيع الحافظ،
دار الفكر، بيروت، (ط:1)، 1416هـ.
- العنوان الصحيح للكتاب، لـ د/ الشريف حاتم العوني،
دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، (ط:1)، 1419هـ.
- **الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي المخطوط، (مخطوطات القراءات)**،
بإشراف: د/ ناصر الدين الأسد،
المجمع الملكي للبحوث الإسلامية، الأردن، (ط:2)، 1415هـ.
- **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الأسد الوطنية، الجزء الثالث، القراءات القرآنية**،
منشورات مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، 1995م.
- **الفهرس الوصفي للنسخ الخطيَّة لمؤلفات يوسف بن حسن بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي الحنبلي المعروف بابن المبرد (ت909هـ)**، لأبي المنذر الأزهري صالح بن محمد بن عبد الفتاح بن عبد الخالق،
دار غراس للنشر والتوزيع، الكويت، (ط:1)، 1433هـ.
- **في تحقيق النص**، لـ أ.د/ بشار عواد معروف،
دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط:1)، 2004م.
- **قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية ورش**, لـ د/ عبد الهادي حميتو،
منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, المملكة المغربية.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لمصطفى حاجي خليفة (ت1067هـ)،
دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم**، لعلي الرضا قره بلوط، وأحمد طوران قره بلوط،
دار العقبة، قيصري، تركيا.

- **مفردة يعقوب**، لمحمد بن شريح الرعيني (ت476هـ)،
تحقيق: د/ مهدي لوناس دهيم، وزارة الأوقاف الكويتية، (ط:1)، 1431هـ.
- **مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث**، لـ أ.د/ السيد رزق الطويل،
المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ط: 1424هـ.
- **المقدمة فيما يجب على قارئه أن يعلمه (المقدمة الجزرية)**، لأبي الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري (ت833هـ)،
تحقيق: د/ أيمن رشدي سويد، دار المنهاج، بيروت، (ط:2)، 1426هـ.
- **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، لأبي الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري (ت833هـ)،
اعتنى به: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، (ط:1)، 1419هـ.
- **منهج ابن الجزري في كتابه النشر، مع تحقيق قسم الأصول**،
لـ د/ السالم الجكني، رسالة دكتواره، من كلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود، عام 1421هـ.
- **النشر في القراءات العشر**، لأبي الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري (ت833هـ)،
أشرف على تصحيحه: العلامة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **الهجاء في رسم المصحف**، لمؤلف مجهول،
تحقيق: أ.د./ غانم قدوري الحمد، دار الغوثاني، دمشق، (ط:1)، 1433هـ.
- **هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل باشا (1339هـ)،
دار إحياء التراث العربي، بيروت.

جهود محمد بن شنب ومنهجه في التحقيق

د/محمد زيوش– جامعة الشلف–

لقد شهد العصر الحديث حركة عربية دؤوبة لإحياء التراث، والكشف عن دفائنه، وبخاصة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وإن كان المستشرقون هم السبّاقون إلى هذا العلم الجديد القديم على العرب، جديد من حيث إنّ فضل السبق كان لهم في نشر تراثنا العربي، وتنبيهنا إلى كتبنا ونوادر مخطوطاتنا، والتي لو لم يكن فيها: " **نفع وغناء لحضارة الغرب ما صرفوا [إليها] كلّ العناية**"[1] والقديم من حيث إنّ الباعث على هذا العلم عند العرب المسلمين هو الحاجة الشرعية التي دفعت بعلماء أصول الحديث والجرح والتعديل إلى وضع قواعد دقيقة وصارمة بغرض توصيل الحديث النبوي الشريف إلى الأمة الإسلامية خاليا من الشوائب، فكان أن أثمر هذا الجهد الضارب في القدم قواعد يتبعها المحقق في التثبت من صحة النّص وتحقيق رواياته وجمع النسخ والمقابلة بينها وتعيين طرق التصحيح، فكانت قواعد قيّمة في تحقيق المخطوطات، استفاد منها الغرب في تحقيق النصوص اليونانية واللاتنية[2]، وبما أنّ المخطوط هو السبيل الوحيد للحفاظ على ما أنتجته عصارة أفكار العقل العربي الإسلامي، كان للمحقق – الذي تتمحور مهمته على وجه العموم في "**إخراج النصِّ المحقَّقِ على وفق ما حرّره صاحبه، أو إثبات النصِّ على صورة أقرب ما تكون إلى حقيقته وأصله**"[3]– مسؤولية أكبر من مسؤولية الباحث الذي يجد النصّ جاهزا فينطلق منه لتقرير الكثير من الحقائق، وكان تراث الأمة العربية الإسلامية جزءا أصيلا من كيان وجودها، وخزانتها العلمية وسرّ حضارتها، حتى قال الجاحظ في هذا المقام: "**يذهب الحكيم وتبقى كتبه، ويذهب العقل ويبقى أثره، ولولا ما أودعت لنا الأوائل من كتبها، وخلّدت من عجيب حكمتها ودوّنت من أنواع سيرها، حتى شاهدنا بها ما غاب، وفتحنا بها كل مستغلق، فجمعنا قليلنا إلى كثيرهم، وأدركنا ما لم ندركه إلا بهم لما حسن حظنا من الحكمة**"[4]، **وهذه الحاجة تفرض** على المحقق التزام منهاج علميّ دقيق ، فكثر مما خرج إلينا في عصرنا الحاضر على أنّه محقّق يحتاج إلى وقفة تقويم وتصحيح، فالقوس لما تعطى لغير باريها يظهر القصور والخروج عن المنهج العلمي القويم، مرّة استخفافا – عن جهل وعصبية ضده –

---

[1] محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1(1984م)، ص:273.

[2] عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1(1994م).ص:17-18.

عباس هاني الجراخ، مناهج تحقيق المخطوطات (دراسة وتوثيق)، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة) ط1(2010).

[3] المقدمة.

[4] الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الحيوان، د ط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة) ط2، 1965م، ج 1، ص:85.

بالمنهج الذي اتبعه المستشرقون في تحقيق التراث العربي، ومرّة أخرى تجرُّأً جاهل بما يتطلبه المقام من قدرة، واستعداد، وتمرس، ودراية[1]، فكان اختلاف الطرق سمة بارزة في التحقيق العربي.

وإذا كان التحقيق في الوطن العربي صاحب الوعي القومي العربي بعد اطلاع العرب على منجزات الغرب بعد حملة نابليون، وظهور الطباعة والمطابع حيث كان أوّل ظهور للمطبعة بلبنان ثم بمصر سنة 1821(مطبعة بولاق) ثم بدمشق سنة 1864م، وما رافقها من نشر للمخطوطات التراثية الذي امتاز باعتماد النسخة الواحدة وابتعاد صورته عن المنهجية العلمية سببا في ظهور التصحيح الذي كان يثبت على أغلفة هذه الكتب وهو عمل قريب من التحقيق تكفّل به كوكبة من المحققين الرّواد الذين هم في الأصل من النساخ الثقات القائمين على نشر الكتب التراثية من مثل الشيخ نصر الدين الهوريني (ت 1291هـ) والشيخ محمد قطة العدوي (ت1281هـ) و رفاعة الطهطاوي (ت1290هـ)[2]، والجزائر التي تمّ السكوت عن ريادة جهود علمائها في مجال تصحيح وتحقيق التراث تعدّ واحدة من أوائل البلدان العربية التي انصبّ اهتمام علمائها بتحقيق ونشر التراث العربي الإسلامي، كنوع من المقاومة الثقافية سعيا من علمائها إلى الحفاظ عن هوية هذا الشعب الذي حاول الاستعمار طمسها عن طريق التجهيل، ومحمد بن شنب واحد من أشهر هذه الكوكبة الرائدة في مجال التحقيق في الوطن العربي التي شملت عددا غير قليل من محققين في تلك الفترة المبكرة ، فزيادة على أنّه كان شاعرا أديبا، كانت أبحاثه في مجال التحقيق التي استنفذت كلّ جهده عديدة ومتنوعة، فهو الرجل الذي جمع إلى جانب ثقافته العربية الإسلامية الثقافة الغربية، وكان يحسن عدّة لغات كاللاتنية والإنجليزية والإسبانية والألمانية والفارسية والتركية والفرنسية التي كان يتكلّم بها بطلاقة[3]، وعلى الرغم من ذلك فإنّ الثقافة الفرنسية لم تفعل فعلها فيه بشهادة محمد كرد الذي يقول فيه لما شاهده في مؤتمر المستشرقين في أكسفورد:" **شاهدته يخطب بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين وهو بلباسه الوطني: عمامة صفراء ضخمة، وزنار عريض، وسراويل مسترسلة، ومعطف من صنع بلاده، فأخذت بسحر بيانه واتساعه في بحثه، وظننتني أستمع عالما من أكبر علماء فرنسا وأدبائها في روح عربي وثقافة إسلامية، أو عالما من علماء السلف جمع الله له بلاغة القلم وبلاغة اللسان ووفر له قسطا من العلم والبصيرة، وقد فطر على ذكاء وفضل غرام بالتحصيل، وقيّض له أن يجمع بين ثقافتين ينبغ ويفصح في كلّ لغة بمعانيها**"[4] وهو الذي قال فيه تلميذه محمد سعيد الزاهري بأنّه وجده عالما جزائريّا غير متجنّس بالفرنسية،

---

[1] ينظر: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، ص: 47-55.

[2] ينظر: عباس هاني الجراخ، مناهج تحقيق المخطوطات (دراسة وتوثيق).ص: 17-18.

[3] عادل نويهض, معجم أعلام الجزائر, بيروت, مؤسسة نويهض الثّقافيّة, ط2, 1400/ 1980, ص: 189.

[4] . محمّد كرد علي, المعاصرون, بيروت, دار صادر, ط2, 1993م, ص: 338.

وغير مقصّر في الفرائض[1]، بخلاف ما ذهب إليه تلميحا الأستاذ أبو القاسم سعد الله حين الحديث عن علاقة بن شنب بالمستشرقين والتي يراها قد أثرت " **على أسلوبه في الكتابة وحتى على انتمائه السياسي**"[2].

ولعلّ الذي ساعده على امتلاك المنهاج العلمي في التحقيق هو **وجوده في جامعة الجزائر كأستاذ، ومخالطته للدّوائر الاستشراقية الفرنسية المهتمة بتحقيق التراث الجزائري المخطوط، وترجمته، ونشره، وبخاصة الجمعية التاريخية الجزائرية** التي كان لسان حالها "**المجلة الإفريقية**"[3] الساعية إلى خدمة المشروع الاستعماري الفرنسي، وعلى الرغم من ذلك فقد ساهمت هذه الجمعية في تحقيق نتائج علمية ساهمت بشكل إيجابي في إرساء قواعد المنهج العلمي في التحقيق بالجزائر، ويعد كلّ من رينيه باسيه، وهنريه ماسيه، والفريد بيل، وليفي بروفنسال من أشهر روادها.

وترك لنا عميد المحققين الجزائريين(1869م – 1929م) ما يربو عن خمسين مؤلفا كما أحصاها تلميذه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي[4]، ويكون بذلك شيخ المحققين العرب قد أسهم بتقريب

---

[1] ينظر: . محمّد السعيد الزاهري, محمّد بن أبي شنب, مقالة نشرت في المقتطف سنة 1929, مأخوذ عن كتاب صالح الخرفي, سلسلة في الأدب الجزائري الحديث ,محمّد السّعيد الزّاهري, ص: 138.

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1(1983م)، ص: 75.

[3] تعدّ المجلة الافريقية " Revue africaine " من أهم المصادر التاريخية التي اعتنى بها الفرنسيون (على الخصوص) بالتاريخ والتراث العربي عامة ، المغاربي خاصة والجزائري على وجه التخصيص.

صدرت هذه المجلة عن "الجمعية التاريخية الجزائرية " التي تأسست في 07 أفريل 1856 على يد بيربروجر(Berbrugger) الذي سيكون لنا معه وقفة خلال استعراض بعضا من عيون هذه المجلة.

ظهر العدد الأول من المجلة سنة تأسيس الجمعية (1856) واستمرت بالصدور سنويا ، حتى سنة 1962 (تاريخ استقلال الجزائر) ... ولم تنقطع سوى في فترتي الحربين العالمبتين ، ليبلغ مجموع أعدادها الستة بعد المائة (106. (

اهتمت المجلة بجميع مناحي التراث و الثقافة والتاريخ والاجتماع في المجتمع الجزائري (على الخصوص) ، وقد كتب فيها كبار المستشرقين الفرنسيين كباصيه Basset وشربونو Cherbonneau ومرسييه Mercier و دو سلان De Slane وبيربروجر وفانيان Fagnan و موتيلانسكي... Motylanski وغيرهم

كما ساهم فيها نخبة من أعلام الفكر والثقافة في الجزائر أبرزهم محمد بن أبي شنب ذائع الصيت...

أحاول خلال هذا الملف عرض بعض من فوائد المجلة ، سيما تلك المتعلّقة بالتراث العربي الإسلامي..

كما أشير إلى أنه يمكن تحميل الأعداد السبعين الأولى من الموقع التالي :

http://www.algerie-ancienne.com/livres/Revue/revue.htm

[4] نكتفي هما بذكر بعض الأعمال التي حققها فقط:

عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة في بجاية للغبريني 1910

التراث الجزائري والعربي الإسلامي إلى القارئ في وقت مبكر جدا من حركة التحقيق العربية في العصر الحديث. وستسعى هذه المداخلة إلى إبراز جهود محمد بن شنب ومنهجه في التحقيق.

منهجه في التحقيق:

1. منهج التصحيح في للرحلة الورثيلانية:

تقع الرحلة الوارثلانية الموسومة "**نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار**"[1] لصاحبها العلامة الحسين بن محمد السعيد المعروف بالورثلاني (ت1194هـ) في سبعمائة وثلاث عشرة صفحة، زيادة على خمسة وستين صفحة خصصت للفهارس، وطبعت في جزء واحد امتاز بالضخامة سنة 1908م بمطبعة بيير فونتانا بالجزائر العاصمة، علما أنّها طبعت من قبل ، وبالضبط في سنة 1903م بتونس طبعة حجرية مصححة على يد الشيخين علي الشنوفي والأمين الجريدي، تفتتح بمقدمة من تأليف محمد بن أبي شنب، امتازت بأسلوب غلب عليه السجع على الرغم من خلو أسلوبه في عمومه من التأنق والزخرف اللفظي، وهذا تأكيد منه على اقتداره في خوض ضروب السّحر والبيان ودون الإخلال بالمعنى المراد توصيله ، على الرغم من ضيق وقته، وتأثره بالكتابات الاستشراقية التي تنزع إلى العلمية أكثر، حتى قيل فيه إنّه معجم متحرك، وهذه شهادة تدحض فكرة القول بعجزه البياني[2] ولعل هذا الاهتمام المبكر بتصحيح وطبع هذه الرحلة على الرغم من ضخامتها يبيّن أهميتها بالنسبة الجزائريين بصفة خاصة والعرب بصفة عامة، إذ تعدّ أحد أهم مصادر تاريخ الجزائر وتاريخ الوطن العربي، حوت تراجم العديد من الشخصيات، إلى جانب الوقائع التاريخية، والأوصاف الجغرافية، وهو ما وضّحه

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية 1920

الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية .

وصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان بن هود النبي r مع تعليقات عليه.

شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت 1926

طبقات علماء أفريقية لأبي ذر الخشني مع ترجمة فرنسية 1915

[1] طبعت الرحلة بمطبعة بيير فونتانة الشرقية بالجزائر سنة 1321هـ (1908)، وجاءت في جزء واحد ضخم، ووصل متن الرحلة إلى سبعمائة وثلاثة عشر صفحة (713ص)، وأعيد نشر الرحلة مرة أخرى بدار الكتاب العربي، بلبنان، سنة 1394هـ (1974م) اعتمادا على نسخة ابن أبي شنب.

[2] يلاحظ المتتبع لأعمال ابن أبي شنب، بساطة أسلوبه، واعتماد الزخرفة اللفظية في مواضع قليلة أهمها مقدمات رسائله الإخوانية، ينظر:

ينظر :- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص، ص. 77، 78.

- صالح خرفي: محمد السعيد الزاهري، .ص: 136 .

محمد بن شنب في مقدمته حين تحدث عن أهمية الرحلة بالنسبة للإنسان، وعن شرعيتها في الدين الإسلامي، فقال موضّحا المقاصد الكبرى من اختيار هذا الكتاب دون غيره ورعايته بالتصحيح والطبع بأنّه:" **أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر. وأعلق تأليف اشتهر بين البوادي والحواضر، لاشتماله على عوارف المعارف، وظرائف الطرائف، وأوابد العوائد، وفرائد الفوائد، ونسق كالأوصاف الكاملة، وحلّ المسائل الشاكلة تارة راتعا في رياض الفقه والحديث والتوحيد، وتارة واردا حياض التفسير والتاريخ والتجويد....**"[1] ولما كان هذا المصنف بهذا الوصف غدا " **مطمح الأنفس، وغاية التأنس، أمر سمو الوالي العام (جونار) بطبعه، لتعميم نفعه**" [2]

وفي سعيه هذا اعتمد بن شنب –كما ذكر في مقدمة الرحلة – على المقابلة بين ثلاث نسخ مخطوطة ذات خط مغربي، منها نسختان مقابلتان مع نسخة منقولة من مسودة المؤلف، ويعود تاريخهما إلى القرن الثاني عشر الهجري (18م) وتحديدا عام 1182هـ (1768م)،أمّا الأولى فمجموع صفحاتها 642 صفحة في كلّ صفحة من 21 إلى32 سطرا تقع في 33 كراسة غير مخيطة ، تتخللها أوراق مرفقة، والثانية مخطوطة بخطوط مغربية غالبها جميل، مجموع الأوراق فيها هو 253 صفحة، وفي كل صفحة 21 سطرا، و31 كراسة غير مخيّطة تتخللها أوراق مرفقة، أما النسخة الثالثة، فهي مؤرخة بيوم الجمعة الفاتح من شهر شعبان عام ألف ثلاثمائة وثلاثة عشر هـ (1895م)، مجموع صفحاتها 640 في 73 كراسة غير مخيّطة، تتخللها أوراق مرفقة، في كلّ صفحة 30 سطرا، جاءت بخط مغربي غير جيّدة، كما اعتمد على نسخة رابعة حجرية، اعتبرها ابن أبي شنب مخطوطة، وهي مكتوبة بخط مغربي حروفه مطموسة في بعض المواضع، وقد طبعت بتونس في ثلاثة أجزاء سنة 1321هـ(1903م) بعد تصحيحها من قبل الشيخين: علي الشنوفي، والأمين الجريدي، وتضمنت النسخة حاشية صالح بن مهنا القسنطيني، جاءت غير واضحة، وأكثر حروفها منطمسة[3].

وأتبع مصححنا المقدمة بمقدمة ثانية عنونها بـ"**ترجمة المصنف**"، وهي بقلم عبد القادر بن محمد الصغير ناسخ الرحلة، وفي هذه الترجمة يتعرّف القارئ على الرحالة الحسين الورثيلاني، وعلى أهم كتبه، والمجالات التي نبغ فيها، ويرد بعد المقدمتين متن الرحلة الورثيلانية، متبوعا بفهارس مختلفة وهي :

1: الفهرست الأوّل لأبواب الكتاب.

2: الفهرست الثاني لأسماء الرجال والنساء والقبائل.

---

[1] الورثيلاني، سيدي الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، مطبعة بيير فونتانا ، الجزائر، ط1(1908).ص: مقدمة المؤلف.

[2] المصدر نفسه، المقدمة.

[3] المصدر نفسه، المقدمة.

3: الفهرست الثالث لأسماء الأماكن والبلدان والجبال والأنهار.

4: الفهرست الرابع لأسماء الكتب.

5: الفهرست الخامس القوافي.

وما يمكن قوله هو أنّ الجهد الذي قام به ابن أبي شنب من أجل تصحيح هذا العمل الضخم لا يقلّ أهميّة عن مهمة المحقق، فلقد صرف المصحح فيها وقتا وجهدا كبيرين، إذ حاول تحري الصواب بمقابلته للنسخ التي توفرت لديه، من خلال قراءتها حاول تحري الصواب فيما يأتي به المؤلف من معارف وأخبار، فنبّه إلى مواضع الأخطاء والتصحيفات والزيادة والنقصان في النسخ، ووضع الفهارس اللازمة في نهاية المطاف، وهذا ما قام به هذا العالم الجليل، وإن كان هذا العمل الجبّار فيه بعض النقص، كما يرى الأستاذ **مختار فيلالي الذي قال في هذا العمل:" رغم جهود محمد بن أبي شنب في تصحيحها، فإنّنا نجد فيها كثيراً من الفراغات لم يستطع سدّها وعبارات كثيرة محرفة وفقرات لا وجود لها في بعض النسخ، بينما توجد في بعضها ولكنها مختلفة في الترتيب من حيث المكان ممّا يبعث على الشكّ فيها بأنّها ليست للمؤلّف، إذ ربّما زادها بعض الناسخين لغرض معيّن .أو حذفت لهدف كذلك. وقد شوّهت هذه التحريفات والفراغات جملاً كثيرة ممّا سبّب في ضياع أو غموض المعلومة التاريخية (وقد ظهرت طبعة جديدة في بيروت لدار الكتاب العربي، في 1974م، وهي إعادة لطبعة ابن شنب)، دون زيادة أو نقصان ما عدا ذكر كلمة الناشر..."**[1].

والواجب علينا أن نراعي الظرف التاريخي الذي أنجز فيه هذا العمل، زيادة على اعتراف المحقق نفسه الذي يقول موضحا ذلك: "وقد بذلنا في التصحيح غاية الجهد مع أننا معترفون بأننا لم نبلغ منزلة تسمو عن النقد. ولا سيما كون الأصول التي راجعناها عند الطبع مختلفة الروايات مضطربة العبارات. وقد تعذر علينا كثيرا إصلاح التصحيف والتحريف بعد مراجعة عدة من التآليف. وما العصمة والكمال إلا لذي القدر والجلال"[2] وهذا لا ينفي أبدا الجهد الحثيث الذي بذله المصحح من أجل تقديم عمل متقن، بدأ بالمصادر التي حرص على مقارنتها بما هو موجود في الرحلة، مقدّما التصويبات للأخطاء المكتشفة في النقل، كما نبّه على مواضع الحذف، والتحريف، ومواضع التقديم والتأخير، كما قام المصحح بتقديم المعلومات الإضافية ، فأغلب صفحات الرّحلة الورثيلانية لا تعدم من مثل هذه التصويبات والتنبيهات، والإحالات إلى مصادر النصوص،

---

[1] مختار بن طاهر فيلالي، رحلة الورتلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب، الجزائر، د.ت، ص، ص. 51، 52.

[2] الورثيلاني، سيدي الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، المقدمة.

والمدعمة بالمعارف الإضافية هي أصلا من مخزون ابن أبي شنب العلمي والثقافي، زيادة على نقل كم هائل من الأخبار عن كتب جغرافية وتاريخية، ودينية، وهو الرجل العالم الذي راجع منقولات الورثيلاني من رحلتي العياشي (أبو سالم) والدرعي(الناصر)، وكتب أخرى كمروج الذهب في معادن الجوهر للمسعودي، وجذوة الاقتباس لابن القاضي، وكشف الظنون لحاجي خليفة، ومعالم الإيمان لابن ناجي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وتنبيه المغتربين للشعراني، وكذلك قام بتخريج بعض الأحاديث اعتمادا على صحيحي مسلم والبخاري، وعنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد الغبريني، ومعالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان لأبي زيد الدباغ القيرواني، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، زيادة على الدواوين الشعرية، وهو عمل يحقق من خلاله قارئ الهوامش والفهارس فوائد جمة.

وما يميز عمل التصحيح هذا هو تدعيم المصحح للمتن بكثير من التوضيحات الخاصة بما جاء ضمن النسخ المعتمدة في التصحيح، وبعض التصويبات، والشروح المتصلة ببحوث المصحح، وزاده العلمي والثقافي، فنتعرّف حقا على مدى سعة معارف ابن أبي شنب الأدبية، والدينية، والتاريخية، ولعلّ العمل الأكثر أهمية، الذي أنجزه ابن أبي شنب هو تصنيف تلك الفهارس الفنية الضخمة، التي استغرقت أزيد من مائة صفحة، قدمت قوائم لأسماء الرجال والنساء والقبائل(قاربت1800 اسما)، وأسماء الأماكن والبلدان والجبال والأنهار(تجاوزت700 اسما)، وأسماء الكتب (تجاوزت 330عنوانا)، وختم هذه الفهارس بفهرس خامس للقوافي، وضّح معها بحر القصيدة وصفحة ورودها (تجاوزت140قافية).

ومع كل ما ذكر من محاسن التصحيح للرحلة الورثيلانية، نسجّل هنا بعض الهنات فيه، وهو ما لا يخلو منه أي عمل على الإطلاق، وقد نبّه دارس الرحلة الورثيلانية مختار بن طاهر فيلالي على بعضها حيث قال: "**رغم جهود ابن أبي شنب في تصحيحها، فإننا نجد فيها كثيرا من الفراغات لم يستطع سدّها، وعبارات كثيرة محرفة، وفقرات لا وجود لها في بعض النسخ، بينما توجد في بعضها، ولكنها مختلفة في الترتيب من حيث المكان مما يبعث على الشك فيها بأنها ليست للمؤلف إذ ربّما زادها بعض الناسخين لغرض معيّن، أو حذفت لهدف كذلك، وقد شوهت هذه التحريفات والفراغات جملا كثيرة مما تسببت في ضياع أو غموض المعلومة التاريخية أو تحريفها.**"[1] مثلما نبّه الكاتب إلى الخطأ الذي وقع فيه ابن أبي شنب في عنونة فصول الرحلة وموضوعاتها؛ حيث لم ينتبه لما نقله الورثيلاني من عناوين عن المصادر، وجعلها ابن أبي شنب عناوين الرحلة الورثيلانية.

[1] مختار بن طاهر فيلالي، رحلة الورثلاني– عرض ودراسة، ص. 53.

كما نلاحظ نقصا لدى تعيين ابن أبي شنب لمواضع الاختلاف بين النسخ؛ إذ لا يوضح النسخ بدقة، لأنه لم يرقمها، أو يضع لها رموزا في بداية عمله مثلما هو معهود، فنجده يعلّق قائلا: في نسخة كذا وفي نسخة كذا، ولا نعلم أيضا سبب عدم وضعه لقائمة أخرى تخص فهرس الآيات والأحاديث، رغم حرصه على تصنيف فهارس مختلفة أخرى ضخمة.

2. منهج التصحيح في كتاب البستان:

أمّا كتاب البستان في ذكر أولياء تلمسان لصاحبه الشيخ أبي عبد الله محمد بم محمد بن أحمد الشهير بابن مريم الشريف المليتي، الذي يقع في ثلاثمائة وثمانين صفحة، مشمول فيها مقدمة المؤلف والفهارس، زيادة على بيان للأخطاء والصواب، وطبع في جزء واحد سنة 1908م بالمطبعة الثعالبية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه سنة 1326 هجرية الموافق لسنة 1908 ميلادية، افتتحه صاحبه بمقدمة قصيرة لا تتجاوز الصفحتين، امتازت بالإيجاز، والنزوع العلمي، فيها تحدث الكاتب – بعد البسملة والتسليم على الرسول صلى الله عليه وسلم – عن دوافع تصحيح وطبع هذا الكتاب حيث يقول:"**بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، إلى يوم الدين /أما بعد/ فلما كان الكتاب المسمى 'البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان' للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشهير بابن مريم الشريف المليتي أصلا التلمساني منشأ ووفاة رحمة الله تعالى من أعظم المؤلفات في تراجم العلماء والسادات، بادرنا إلى طبعه لتعميم نفعه**"[1] ولأنّه كتاب " **ترجم الأولياء والعلماء بتلمسان واحدا بعد واحد، ونشر على الأفكار من أخبارهم مايزري بالقلائد، ولم يدع من أنبائهم شيئا إلا أحصاه...، ولادقيقة إلا جمعها برباطه، مع سلامة العبارة ولطافة الأسلوب وحسن الإشارة، فجاء كما يرام على أبدع منوال**"[2].

ومن أجل هذا التحقيق بذل بن شنب جهدا كبيرا في جمع النسخ "**منها نسخة لمكتبة المدارس العليا الجزائرية محفوظة تحت عدد 2001، ونسختين للمكتبة الدولية الجزائرية محفوظتيم تحت عدد 1736، و1737 ونسخة للسيد وليام مرصي مدير مدرسة الجزائر الدولية ونسخة للفقيه الشيخ لبن ددوش أحمد بن حامد قاضي معسكر الحالي ونسخة للفقيه الشيخ الحاج المختار بن الحاج محمد بن أبي القاسم الشريف من زاوية الهامل بقرب أبي سعادة ونسخة للعلامة سيدي علي بن الحاج موسى الإمام بمسجد**

---

[1] ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني، مراجعة الشيخ محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية (الجزائر)، سنة 1908.ص:

[2] المصدر مفسه، ص:

ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر ونسخة للفقيه السيد الونوغي المفتي ببلد الأصنام"[1] زيادة على نسخة أمده بها الشيخ **بروفنسالي** المدرس بكلية وهران .

وحرصا منه على تحري التصحيح قام بمراجعة بعض الأصول كما فعل في الرحلة الوارثلانية ونقل عنها المؤلف من مثل نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس أحمد بابا التنبكتي السوداني، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكرياء يحيى ابن خلدون، وروضة النسرين في ذكر دولة بني مرين لأبي محمد عبد الله بن عمر الشهير بابن الأحمر وكتاب وفيات الخطيب القسنطيني وغيرها من الكتب...

ولم يتبع مصححنا المقدمة بمقدمة ثانية لترجمة المصَنِفِ كما فعل في الرحلة الورثلانية، بل أورد متن الكتاب مباشرة بعد المقدمة القصيرة التي تقع في صفحتين ليشغل الكتابَ من الصفحة الثامنة إلى الصفحة الخامسة عشرة بعد المائة الثالثة ، متبوعا بفهارس مختلفة شغلت خمسا وستين صفحة وهي :

1: الفهرست الأوّل خاص بالأعلام والتراجم.

2: الفهرست الثاني لأسماء الرجال والنساء والقبائل.

3: الفهرست الثالث لأسماء الأماكن والبلدان والجبال والأنهار.

4: الفهرست الرابع لأسماء الكتب.

5 بيان الخطأ والصواب.

وتميّز هذا التصحيح كسابقه بتدعيم المصحح للمتن بالكثير من التوضيحات الخاصة بما جاء في النسخ المعتمدة في التصحيح على الرغم من أنّ المصحح لم يبيّن حالة النسخ كما فعل في تصحيح الرحلة الورثلانية، ولعل العمل المهم الذي قدّمه زيادة على التصحيح هو تلك الفهارس التي استغرقت خمسا وستين صفحة، قدم فيها المصحح أربعة فهارس، أوّلها فهرس الأعلام والتراجم الذي أورد فيه 254 ترجمة، زيادة على فهرس به قوائم لأسماء الرجاء والنساء، ورد فيه 1082، وفهرسا آخر خاص بالأماكن به 194 اسما خاص بأسماء البلدان والجبال و الأنهار...و آخرا خاص بالكتب ورد فيه 672 عنوانا، وختم ابن شنب تصحيحه ببيان لإصلاح الأغلاط الطبعية التي رفعت في هذا الكتاب في صفحتين.

3. منهج التصحيح في كتاب الجمل :

أمّا كتاب الجمل للزجاجي الذي اعتنى عالمنا بتصحيحه وشرح أبياته، فإنّه يقع في أربع مائة وصفحتين بما في ذلك المقدمة التي وقعت في إثني عشرة صفحة والفهارس التي وقعت في سبع عشرة صفحة، والذي طبع في مطبعة **جون كربونال** بالجزائر سنة 1926م، فقد اعتمد فيه على مقابلة ثلاث نسخ :

[1] المصدر نفسه، ص:

النسخة الأولى موجودة في المكتبة الدولية بالجزائر تحت رقم 38، كتبت بخطّ مغربي ،حسن ومشكول، بتاريخ 745 هجرية، مقاسها 29 على 59، تقع في مائة وثمانية وعشرين ورقة، طولها مائتين مليمتر، وعرضها مائة وثلاث وثلاثين ميلمتر، في كلّ صفحة خمسة عشر سطرا.

أمّا النسخة الثانية فموجودة في نفس المكتبة تحت رقم 39، كتبت كذلك بخطّ مغربيّ، يرى المحقق أنّه يمكن أن يكون من القرن العاشر الهجري، بها نقص في عدّة مواضع، مع بعض الحرق الذي أصاب مداد بعض الأوراق، تقع في واحد وتسعين ورقة طولها 313 ميلمتر في 148، وفي كلّ صفحة 21 سطرا.

ونسخة ثالثة مستنسخة من عشرين سنة من تاريخ التحقيق (غير محدد) عن أصل صحيح في مقابلته مع غيره.

وصونا للأمانة العلمية يذيّل محمد بن شنب خاتمته بإلحاق يقول فيه:" **قد فاتنا سبحان من لا يسهو ولا ينام أنّ أذكر في ديباجة هذه الطبعة أن المستشرق الألماني يوحنس بولف طبع في ليبسك سنة 1904" مقالة افتتاحية" مشتملة على 47 صمن القطع الثمني لخّص فيها كتاب الجمل وترجم باللغة الألمانية الأربعة والستين شاهدا الأولى فقط أي إلى ص 168 من طبعتنا هذه ولم ينبّه عن تركه باقي الشواهد."**[1].

وكعادته بيّن محمد بن شنب الغرض من هذا التصحيح بقوله:" **ونرجو من الله تعالى أن يكون هذا الكتاب جامعا في هذا الباب، مغنيا الطلاب عن التطلاب، كافيا في جميع الشواهد العربية، وافيا لما يحتاج إليه في الكتب الأدبية.**" [2] ، ويبيّن أثناء ترجمته للمؤلف ظروف تأليف الكتاب ومنافعه عبر الزمان بقوله:" **قيل إنّه صنّفه بمكة وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعا ودعا الله تعالى أن يغفر له وأن ينتفع به قارئه وهو من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلاّ وانتفع به ولقد حصلت به منافع كثيرة لخلق لا يحصون"**[3]

وحرصا منه على توخي الحيطة في عزو الشواهد إلى أصحابها، وتصحيحها بعد التأكد منها عسى أن تكون يد الناس بدّلتها، أو خشية فعل الزمن فعله بها، عمد إلى الأصول في النحو والدواوين الشعرية، والمعاجم العربية من أجل تثبيت الشواهد النحوية وشرحها والترجمة لأصحابها، وفي هذا الصدد يقول "...**وقد تطفلنا في شرح الشواهد وتسمية القائل مع ذكر ترجمته مختصرة مستمدين بكتب الأئمة الأعلام مثل لسان العرب لابن منظور وخزانة الأدب للبغدادي والمقاصد النحوية للعيني وشرح شواهد المغني للسيوطي وشرح أبيات كتاب سيبويه للأعلام الشنتمري."**[4]

---

[1] الزجاجي، الجمل، اعتنى بتصحيحه وشرح أبياته الشيخ ابن أبي شنب، مطبعة جول كربونل(الجزائر) سنة 1926م. ص:383.

[2] ص: 16. المصدر نفسه،

[3] المصدر نفسه، ص:11 .

[4] المصدر نفسه ، ص: 16.

وبخلاف كتاب البستان الذي لم يورد فيه المصحح ترجمة لمؤلف الكتاب فإنّ المصحح هنا بدأ كتابه بتقديم ترجمة وافية للزجاج تلتها مقدمته المنهجية، وما يميّز هذا التصحيح عن سابقيه هو غياب بعض الفهارس فزيادة على فهرسة الأبواب، أورد فهرسة للشعراء، وأخرى للقوافي، زيادة على الترجمات المختصرة التي ذيّلت بها حواشي المتن.

وما يمكن استنتاجه بصفة عامة حول منهج التحقيق عند محمد بن شنب ، سواء من خلال ما عرضنا له من كتب حققها محمد بن شنب، أو ما عرضه غيرنا من أساتذتنا الأفاضل، نجمله في النقاط التالية:

- إعتماد النسخ الكثيرة ، في العادة ثلاث نسخ فما فوق.
- وصف النسخ المخطوطة.
- تذييل المتن بالحواشي والشروح.
- الرجوع إلى المصادر للتخريج والتوثيق.
- تصويب أخطاء النقل والنسخ.
- تصنيف الفهارس المتنوعة.
- النزاهة والتواضع في التحقيق.

وهذه الميزات الخاصة بمنهج التحقيق عنده تجعل أي مطلع على تحقيقاته أو تصحيحاته يدرك أنّ محمد بن شنب **"سار على درب أسلافه من العلماء المحققين الممحصين"**[1] غير أنّ الملفت للانتباه أنّ شيخنا لم يفرد فهرسا للآيات والأحاديث .

وخلاصة القول إنّ محمد بن شنب قدّم خدمة جليلة، ومساهمة عظيمة في تحقيق التراث الجزائري بصفة خاصة والعربي الإسلامي بصفة عامة، فهو الرجل الذي أحسن استعمال علمه **"وقدرته في البحث لتسليط الضوء على آثار الماضين من الجزائريين والعرب والمسلمين"**[2] **حتى قال عنه معاصروه " كان عارفاً بلوازم النقد العلمي، ونشر كتب التراث مع تواضع ووقار"**[3]

---

[1] **يطو عائشة، محمد بن أبي شنب رائد المحققين الجزائريين، مجلة التراث العربي– دمشق– العدد 106 السنة السابعة والعشرون – نيسان 2007 – ربيع الآخر 1428.**

[2] **أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي من 1830–1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. ط1 (1998م) ، ج8/ ص: 168**

[3] المرجع نفسه، ص:172.

مناهج تحقيق كتب تراجم النحاة: عرض ونقد

د. حسن خميس الملخ
جامعة آل البيت– الأردن

صحيح أنَّه لا يُعرَفُ على وجه اليقين متى بدأ الاهتمام بجمع أخبار النحاة، والترجمة لهم، وذكر مُصنّفاتهم ومجالسهم، وأخذ بعضهم عن بعض، وتصنيفهم على الطبقات أو المراتب أو المذاهب؛ لكنَّ المؤكَّد أنَّ هذا الاهتمام ظهر في القرن الثالث الهجريّ، ذلك أنَّ المسلمين وقد مضى على بسطِ الإسلام سلطته شرقا وغربا أكثر من قرنين أدركوا حاجتهم التاريخيّة الضروريّة لتدوين الذاكرة التاريخيّة لعلوم العربيّة خوفاً من الخلط والنسيان والنَّحْل، فعقد ابنُ قُتَيبة المتوفَّى سنة 272هـ باباً في كتابه (المعارف) ترجم فيه لأبرز النحويّين قبله في القرنين الهجريّين الثاني والثالث، وسَلَكهم تغليباً ضمن باب رواة الشعر[1]، واتخذَ أبو الطيّب الحلبيّ المتوفَّى سنة 351هـ من فشُوّ الخلط في سِيَر علماء العربيّة بين ضَعَفة مُتعاطي العربيّة، وأهل العصبيّة، والنُّسّاخ سبباً أساساً لعمل كتابه (مراتب النحويّين)[2] توثيقاً لأسماء النحاة وشيوخهم وتلامذتهم وأخبارهم وأعمالهم العلميّة.

وقد ساعدَ العلماءَ على العناية بأخبار علماء العربيّة ولا سيّما علماء النحو واللغة أمرانِ مهمّان:

الأوّل: وجود مؤلّفات علميّة في اللغة والنحو لبعضِ علماء القرن الثاني الهجريّ وأوّل القرن الثالث، ككتاب سيبويه، وكتاب العين، وكتب الكسائيّ، والفرّاء، وأبي عُبيدة، وأبي زيد الأنصاريّ، والأصمعيّ، والأخفش الأوسط، وغيرهم، وهذه المؤلّفات تُشكِّل بتتابُعِها تاريخاً من الممارسة العلميّة في النحو والصرف واللغة، فتستأهلُ الدراسة والتقييم لمعرفة مثلث التأثّر والتأثير والإضافة، وهذا المثلث له ظِلال خارجَ الكتب المدروسة تتمثّل بمعرفة أخبار مؤلِّفي تلك الكتب.

الثاني: ظهور الخلاف النحويّ بين البصريّين والكوفيّين، واشتداده في القرن الثالث الهجريّ أيام المبرِّد البصري، وثعلبٍ الكوفيّ؛ ذلك أنَّ هذا الخلاف استدعى الذاكرة التاريخيّة للنحو وعلمائه قَصْدَ إبراز مكانة العلماء المحتجّ بآرائهم، والإفادة من تجربتِهم العلميّة في تقنين العربيّة منهجاً وتحليلاً، وتبويباً، ومصطلحاً، واختيارا، وترجيحا، وتعليلا، وتفسيرا، وقَبولاً، ورفضاً، وتعميماً، وتقييداً؛ لأنَّ اسم النحويّ يستدعي أخباره التي تؤهّله ليكونَ فَيْصلاً في مسألة الخلاف، كاستدعاء اسم الخليل بن أحمد، أو سيبويه، أو الكسائيّ، أو الفرّاء، أو الأخفش للأخبار العلميّة عن كلِّ واحدٍ منهم.

---

[1] يُنْظَر: ابن قُتيبة، المعارف، ص 300-304.

[2] يُنْظَر: أبو الطيّب الحلبيّ، مراتب النحويّين، ص 17-19.

لهذا قد يكون المبرِّد المتوفَّى سنة 285هـ في كتابه (طبقات النحويّين البصريّين وأخبارهم) [1] أوّل من ألَّف كتاباً مستقِلاً في تراجم النحويّين بتأثير خلافه العلميّ مع أبي العباس ثعلب الكوفيّ؛ إذ جعل كتابه خاصّاً بتراجم نحاة البصرة وحدَهم على منهج الطبقات. فردَّ عليه ثعلب بكتابٍ على المنوال نفسِه[2].

ثمّ تتابعت كتب تراجم النحاة ككتاب (تاريخ النحويّين) لأبي بكر التاريخيّ المتوفَّى أوّل القرن الرابع ترجيحاً[3]، وكتاب (أخبار النحويّين أو النحاة) لابن دُرُسْتويه المتوفَّى سنة 347هـ[4]، وكتاب (مراتب النحويّين) لأبي الطيّب الحلبيّ المتوفَّى سنة 351هـ، وكتاب (أخبار النحويّين البصريّين) لأبي سعيد السِّيْرافيّ المتوفَّى سنة 368هـ، وكتاب (طبقات النحويّين واللغويّين) لأبي بكر الزُّبَيديّ الأندلسيّ المتوفَّى سنة 379هـ، وكتاب (المقتَبَس في أخبار النحاة) للمرزبانيّ المتوفَّى سنة 384هـ، وكتاب (أخبار النحاة) لأبي عبدالله اليمنيّ المتوفَّى سنة 400هـ[5]، وغيره من الكتب حتى ظهرت الموسوعات الكبرى في تراجم النحاة، ككتاب (إنباه الرواة على أنباه النحاة) للقفطيّ المتوفَّى سنة624هـ، وكتاب (طبقات النحاة واللغويّين) لابن قاضي شُهبة المتوفَّى سنة 851هـ[6]، وكتب الطبقات الثلاث: الكبرى، والوسطى، والصُّغرى في تراجم النحاة واللغويّين للسيوطيّ المتوفَّى سنة 911هـ.

على أنَّ تراجم النحاة ليست محصورة في كتب تراجم النحاة، فثمة تراجم ضافية لهم في كتب الأدباء ككتاب (معجم الأدباء) لياقوت الحمويّ، وفي كتب التراجم العامة ككتاب (الوافي بالوَفيات) للصفديّ، وفي كتب البلدان ككتاب (تاريخ بغداد) للخطيب البغداديّ، وكتاب (تاريخ دمشق) لابن عساكر، وكتاب (النجوم

---

[1] يُنْظَر: النديم، الفهرست، ص 94.

[2] لا نعرف اسم كتاب ثعلب في الترجمة لنحاة الكوفة، فليس له كتابٌ قطعيّ الدلالة في عنوانه على تراجم النحويّين واللغويّين الكوفيّين، غيرَ أنَّ أبا بكر التاريخيّ قال في مقدّمة كتابه (تاريخ النحويّين): "وقد اجتهد أبو العباس محمد بن يزيد الأزديّ، وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانيّ في مثل ما أودعناه كتابنا من أخبار النحويّين، فما وقعا إلينا ولا طارا". يُنظر: السيوطيّ، تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب، ج 1، ص 129 (بتحقيقنا).

[3] لا نعرف سنة وفاته، لكنَّه من تلامذة المبرِّد وثعلب، ومات قبل ابن درستويه المتوفى سنة 347هـ، وترجمته سقطت من كتاب معجم الأدباء لياقوت الحمويّ، مع أنَّه أشار إليه في مقدمة كتابه، لكنَّ السيوطيّ احتفظَ بها في تحفة الأديب. يُنْظَر: ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء، ج 1، ص 5-6. والسيوطيّ، تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب، ج 1، ص 128-129 (بتحقيقنا).

[4] يُنْظَر: النديم، الفهرست، ص 100. والسيوطيّ، تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب، ج 1، ص 328.

[5] يُنْظَر: ابن قاضي شُهبة، طبقات النحاة واللغويّين، ص 104.

[6] حقَّق الدكتور محسن غياض قطعة منه تحتوي تراجم المحمدين من النحاة واللغويّين ليسَ غير سنة 1974م؛ لهذا لا تكفي هذه القطعة منه للدراسة ولا سيّما أنّنا قُمنا بجمع ما عرفنا عنه من مخطوطات الكتاب لنشره كاملاً بعد تحقيقه بإذن الله، فلعلّه أكبر كتاب في عدد تراجم النحاة واللغويّين في تاريخ العربيّة؛ إذ يزيد عن عدد تراجم بغية الوعاة المختصرة من الطبقات الكبرى للسيوطيّ بعدة مئات من التراجم.

الزاهرة) لابن تغري بردي، وغيره، عدا كتب الأدب، والأخبار، ورجال الحديث النبويّ، وكتب الشواهد النحويّة، والموسوعات العامة.

ويتجاوز البحث دراسة أهميّة كتب تراجم النحاة، ومناهج تأليفها، والموازنة بينها؛ ذلك أنَّه يتغيّا بالعرضِ والنقد دراسةَ مناهج تحقيق عشرةٍ من كتب تراجم النحاة المطبوعة المتداولة من الأركانِ الأربعة الآتية للتحقيق العلميّ لهذا النوع من الكتب، وهي:

أ- كفاية المخطوطات للتحقيق.

ب- أهليّة المحقِّق لدراسة المخطوط وتحقيقه.

ت- حواشي المحقِّق بين التخفيف والإثقال.

ث- كفاية الفهارس الفنيّة.

وهذه الأركان تصلح من وجهة نظرنا لتقييم منهجيّة تحقيق النصّ المخطوط شرط أن يكونَ النصُّ المحقّق بشهادة أهل الاختصاص ممّا يستأهلُ أن يُحقّق، فمن بين ملايين المخطوطات العربيّة لا نحتاج إلى تحقيق أكثر من خمسةٍ بالمئة أو عشرة بالمئة في أحسن الأحوال[1] إذا خضعت النصوصُ المخطوطة إلى قراءة فاحصةٍ معمّقةٍ تمحصّ الجيد الذي يضيف من المكرور أو الضعيف، يقومُ بها أهل الاختصاص في الحقل المعرفيّ مع الحاجة الضروريّة إلى تنسيق الجهود عند الشروع بتحقيق أيّ مخطوط؛ لكي لا يضيعَ جهد باحث أو أكثر عندما يتفاجأ برؤية المخطوط الذي يعمل على تحقيقه محقّقاً على يد باحثٍ آخر.

وكتب تراجم النحاة التي يدرسها البحث حسب الأقدم في التأليف هي:

1. مراتب النحويّين لأبي الطيب الحلبيّ المتوفَّى سنة 351هـ بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
2. أخبار النحويّين البصريّين لأبي سعيد السيرافيّ المتوفَّى سنة 368هـ بتحقيق: محمد إبراهيم البنّا.
3. طبقات النحويّين واللغويّين للزُّبيديّ المتوفَّى سنة 379هـ بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
4. نور القبس المختصر من المقتبس، تأليف المرزبانيّ المتوفَّى سنة 384هـ، واختصار اليغموريّ المتوفَّى سنة 673هـ بتحقيق: رُودُلف زلهايم.
5. تاريخ العلماء النحويّين للقاضي المفضّل المتوفَّى سنة 442هـ بتحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو.
6. نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباريّ المتوفَّى سنة 577هـ بتحقيق: إبراهيم السامرائيّ.

---

[1] لا توجد إحصائيّات دقيقة بشأن عدد المخطوطات العربيّة، لكنَّها لا تقلّ عن ثلاثة ملايين مخطوط مع تكرار العناوين، وقد تزيد إذا عرفنا أنَّ كثيراً من الأسر العريقة لا تفصح عن المخطوطات التي في مكتبات أجدادها لأسبابٍ مختلفة.

7. إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطيّ المتوفّى سنة 624هـ بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
8. إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويّين لعبد الباقي اليماني المتوفَّى سنة 743هـ بتحقيق: عبد المجيد دياب.
9. بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة للسيوطيّ المتوفَّى سنة 911هـ بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
10. تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب للسيوطيّ المتوفَّى سنة 911هـ بتحقيق: حسن الملخ وسهى نعجة.

ومعروف أنَّ بعضَ الكتب قد حُقِّقَ غيرَ مرّةٍ، ككتاب (نزهة الألباء في طبقات الأدباء)[1]، لكنّنا لأغراضِ الدراسة نلتزم بتحقيق واحد، وقد نشير إلى غيره قَصْد الموازنة والمفاضلة وإظهار المباينة في الدراسة والتحقيق، كما أنّنا لأغراض الدراسة سندرس منهج تحقيق الكتب حسب المحقِّق مع مراعاة أقدميّة مؤلِّف الكتاب المحقَّق على النحو الآتي:

1- منهج محمد أبو الفضل إبراهيم، ويتمثّل في أربعةٍ من كُتب هذا البحث، هي: مراتب النحويّين، وطبقات النحويّين واللغويّين، وإنباه الرواة، وبغية الوعاة مع الإفادة من نشرته غير المعتمدة في البحث لكتاب نزهة الألبّاء.

2- منهج محمد إبراهيم البنّا، ويتمثّل في تحقيقه كتاب أخبار النحويّين البصريّين.

3- منهج رُوْدُلف زلهايم، ويتمثّل في تحقيقه كتاب نور القبس.

4- منهج عبد الفتّاح محمد الحلو، ويتمثّل في تحقيقه كتاب تاريخ العلماء النحويّين.

5- منهج إبراهيم السامرائيّ، ويتمثّل في تحقيقه كتاب نزهة الألبّاء.

6- منهج عبد المجيد دياب، ويتمثّل في تحقيقه كتاب إشارة التعيين.

7- منهج حسن الملخ وسهى نعجة، ويتمثّل في تحقيقهما كتاب تحفة الأديب.

1- منهج محمد أبو الفضل إبراهيم:

[1] يُنْظَر: السيرافيّ، أخبار النحويّين البصريّين، مقدمة المحقّق، ص 21.

محمد أبو الفضل إبراهيم (1905-1981م) قارئ مخطوطات محترف، اكتسبَ شهرة واسعة في عالم المخطوطات نتيجة خبرته المتراكمة النامية في عمله سنواتٍ طوالاً في أحد أهمّ مراكز المخطوطات في العالم، وهو دار الكتب المصريّة، وقد تدرَّج في المهامّ حتى صار مُديراً للقسم الأدبيّ فيها، ثم رئيساً للجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة[1].

وقد عمل بين عامي 1954م و1973م على تحقيق خمسة من أهمّ كُتب تراجم النحاة واللغويّين، هي: طبقات النحويّين واللغويّين، ومراتب النحويّين، وبُغية الوعاة، وإنباه الرواة، ونزهة الألبّاء، اتّضَح فيها منهجه في تحقيق كُتب تراجم النحاة، ولا سيّما في كتاب إنباه الرواة، فقد قال في مقدمة تحقيقه كتاب نزهة الألبّاء: "وقمتُ بالعمَل فيه على الطريقة التي سِرتُ عليها في كتاب إنباه الرواة؛ من الرجوع إلى الأصول، وتحرير النصّ، وردّ المحرَّف إلى أصله، وإيضاح المبهَم، وتفسير ما احتاجَ إلى تفسير، والتعليق حيث المقامُ يحتاج إلى التعليق، وذِكر مراجع كلّ ترجمة في الحواشي"[2].

والحقُّ أنَّ الرجل قد التزمَ المنحى العام للخطوات الإجرائيّة التي ذكرَها مع مقدمة موجزة لكلّ كتاب، فيها حديث عام عن الكتاب ومضمونه ومؤلِّفه ومخطوطات تحقيقه، وخاتمة فيها فهارسُ فنيّة علميّة متنوّعة نافعة دقيقة مع إهماله عمل فهرس للآيات القرآنيّة أحياناً، كما في مراتب النحويّين، وطبقات النحويّين واللغويّين، وإنباه الرواة، وبغية الوعاة.

ولعلَّ أوّل أعماله في تراجم النحويّين تحقيقه كتاب طبقات النحويّين واللغويّين للزُّبيديّ سنة 1954م عن مخطوطة واحدة محفوظة بدار الكتب المصريّة، وأعاد تحقيقه سنة 1973م مستعيناً بنسخة مخطوطة ثانية تحصَّل على صورة منها معهدُ المخطوطات بجامعة الدول العربيّة من الأصل المحفوظ في المكتبة الملكيّة بالرباط[3]، وكان سبب إعادة التحقيق إقرار المحقّق بنقص بعض النصوص في المخطوطة الأولى، وبما اعترى التحقيق من هِنات في القراءة واللغة والضبط وبعض أخطاء الفهرسة[4]؛ لأنَّ حرص المحقّق على إخراج الكتاب كان أكثر من حرصه على استنفاذ الوقت في البحث والتنقيب والتدقيق.

وقد وقع له هذا الأمر في تحقيقه كتاب مراتب النحويّين لأبي الطيب الحلبيّ سنة 1955م؛ إذ أعادَ إخراجه سنة 1974م مصحَّحاً مما اعتراه من نقص عامّ[5].

---

[1] يُنْظَر في سيرته العلميّة: جريدة الأسبوع الأدبيّ، العدد 705 الصادر في تاريخ 2000/4/22م.

[2] يُنْظَر: أبو البركات الأنباريّ، نزهة الألباء، مقدمة المحقّق، ص 10 (نشرة محمد أبو الفضل إبراهيم).

[3] يُنْظَر: الزُّبيدي، طبقات النحويّين واللغويّين، مقدمة المحقّق، ص 4-5.

[4] يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، مقدمة المحقّق، ص 5.

[5] يُنْظَر: أبو الطيّب الحلبيّ، مراتب النحويّين، مقدمة المحقّق للطبعة الثانية، ص 3-4.

ويؤخذُ على المحقّق الفاضل قلّة اهتمامه بجمع مخطوطات ما يحقّقه إذا كانت خارجَ مصر إلا إن استحضرته مؤسّسة ما في مصر، وقد وقع له هذا الأمر في كتب التراجم كلّها التي أخرجها؛ لهذا يحتاج بعضُ كتبه إعادة تحقيق بالاغتناء بالعودة إلى مخطوطات جديدة، خاصة كتاب بُغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة للسيوطيّ؛ فقد حقّقه باعتماد مخطوطتين في مصر أضاف إليهما طبعة قديمة كانت قد نُشِرت سنة 1336هـ يشيع فيها الخطأ والتحريف[1]، وهذا لا يكفي في تحقيق هذه الموسوعة المهمة جدا في تراجم النحويّين واللغويّين بسبب وجود عدة نسخ مخطوطة من الكتاب في مكتبات المخطوطات في تونس، وبرلين، بريطانيا، واليمن، والمغرب، والقدس، وتركيا، وسورية، والعراق، وهولندا عدا وجود نسحة مقابلة عن أصل بخط السيوطيّ نفسه يحتفظ بها معهد الدراسات الشرقيّة بلنينجراد[2]. وثمة نسخة خطيّة مُبيّضة قد تكون بخط السيوطيّ تحتفظ بها المكتبة الوطنيّة بباريس باسم (طبقات النحاة الوسطى) تحت الرقم (2119) عنها صورة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنيّة، وبغية الوعاة هو الاسم الذي استقرَّ عليه السيوطيّ لكتابه طبقات النحاة الوسطى[3]، لكنَّ المحقّق لم يحقّق اسم الكتاب جيداً، لأنَّ مقدِّمات كتبه في تراجم النحويّين لا تعدُّ دراسةً علميّة كافية للكتاب المحقّق، من هنا يكون الفضل الأكبر لمحمد أبو الفضل إبراهيم متمثلاً في إخراج نصّ المخطوط مطبوعا بالطباعة الحديثة.

وتعجّل عندما نشر كتاب نزهة الألباء لأبي البركات الأنباريّ، فقد سوّغ إعادة النشر بوجود طبعة حجر قديمة صدرت سنة 1294هـ، ووجود مخطوطتين من الكتاب واحدة كاملة والأخرى مختصرة، فحقّق الكتاب ونشره لأوّل طبعة من تحقيقه سنة 1967م[4] مع أنَّ الكتاب صدر محقّقاً قبل ذلك مرتين: الأولى في باريس بتحقيق: عامر عطيّة سنة 1957م، ولم نقف عليها، والثانية في بغداد بتحقيق: إبراهيم السامرائيّ سنة 1959م، وقد رجع في تحقيقها إلى مخطوطتي محمد أبو الفضل مع الإفادة من مخطوطة ثالثة غير كاملة كانت تحتفظ بها مكتبة الأوقاف العامة في بغداد[5].

وعلى منهج تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم لمتن المخطوطات التي حقّقها مأخذان:

---

[1] يُنْظَر: السيوطيّ، بغية الوعاة، مقدمة المحقّق، ج 1، ص 8-9.

[2] يُنْظَر: محمد الشيباني وأحمد الخازندار، دليل مخطوطات السيوطيّ وأماكن وجودها، ص 128.

[3] يُنْظَر: السيوطيّ، تحفة الأديب، دراسة المحقّقين، ج 1، ص 26-28 (بتحقيقنا).

[4] يُنْظَر: أبو البركات الأنباريّ، نزهة الألباء، مقدمة المحقّق، ص 8-9 (نشرة محمد أبو الفضل إبراهيم).

[5] يُنْظَر: أبو البركات الأنباريّ، نزهة الألباء، مقدمة المحقّق، ص 11-13 (نشرة إبراهيم السامرائيّ).

الأوّل: فوات الإحالة على المصادر والمراجع التي ترجمت لصاحب الترجمة، ففي ترجمة أبي بكر محمد بن علي الملَقَّب بـ(مَبْرَمان) أهمل في طبقات النحويّين واللغويّين الإحالة على ترجمته[1]، وكذا فعل عند الترجمة له في بغية الوعاة[2]. أمّا في ترجمته الواردة في إنباه الرواة فقد أحال على عدة مصادر[3].

ويفتقد عند الإحالة إلى مصادر الترجمة أحيانا الحسَّ التاريخيّ؛ لأنَّه يتقيّد عند سرد المصادر بترتيبها ترتيباً ألفبائيّا، والأفضل أنْ تُرَتَّب ترتيباً تاريخيّاً تصاعديّاً حسب سنة وفاة المؤلِّف؛ لتظهر المحاسن والمساوئ في الترجمة من حيث: التأثّر، والتأثير، والزيادة، والاضطراب، وتاريخ الروايات والأخبار، والموازنة بينها بالتتبع والمقارنة، والظلال التاريخيّة كنصّ مؤلِّف ما على رؤية كتابٍ، أو عدم وجوده، الأمر الذي يساعد في بناء سيرة كتابٍ ما للمترجَم وسيرورته.

وأمّا الثاني، فضعف عناية المحقّق بتخريج المسائل العلميّة غير المعجميّة، أو توضيحها بالشرح والتعليق من مظانّها العلميّة، ففي ترجمة ابن مالك جمال الدين محمد بن عبدالله في بغية الوعاة، قال السيوطيّ ما نصّه: "ومن أغربِ ما رأيته في شرح الشواهد لقاضي القضاة العلامة بدر الدين محمود العيني، قال في شواهد المبتدأ:

ولولا بنوها حولَها لخطبتها

كذا وقع في كتاب ابن الناظم، وكذا في شرح الكافية والخلاصة لأبيه، وهو تصحيف"[4]، فمرَّ المحقّق على هذا النصّ من غير أيّ تعليق أو توضيح أو تخريج أو استدراك.

والتصحيف الوارد في هذا النصّ يتعلّق بكلمة (لخطبتها) فالصواب (لخَبَطتها) وهو من شواهد ابن مالك في شرح الكافية الشافية، استشهَد به على عدم حذف خبر المبتدأ بعد لولا الامتناعيّة لأنَّه مبتدأ مقيَّد[5]، كما استشهد به ابنه في شرح الخلاصة (الألفيّة) حين قال: "وقد يُعلَّق امتناع الجواب على نسبة الخبر إلى المبتدأ، فإن لم يدلّ على ذلك دليل، وجبَ ذِكره كقول الزبير رضي الله عنه:

ولولا بنوها حَولَها لخبطتُها كخَبطةِ عُصفورٍ ولم أتلعْثَمِ"[6]

وقد أدّى ضعف عناية المحقّق بالمسائل العلميّة إلى إغفاله عمل فهرسٍ لها في كتبه كلّها عدا فهرسٍ للغة في مراتب النحويّين.

---

[1] يُنْظَر: الزُّبيديّ، طبقات اللغويّين والنحويّين، ص 114.

[2] يُنْظَر: السيوطيّ، بغية الوعاة، ج 1، ص 175-176.

[3] يُنْظَر: القفطيّ، إنباه الرواة، ج 3، ص 189.

[4] السيوطيّ، بغية الوعاة، ج 1، ص 133.

[5] يُنْظَر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج 1، ص 152.

[6] ابن الناظم، شرح ابن الناظم على ألفيّة ابن مالك، ص 87.

وعلى الإجمال، فقد كان محمد أبو الفضل إبراهيم رحمه الله مَعنيّا بقراءة النصّ، وإقامة لغته أكثر من خدمته بالتعليقات العلميّة، فمكتبته في التحقيق تاريخيّة غنية بكتب التاريخ، لكنَّها فقيرة بكتب النحو والصرف والفقه والقراءات والحديث النبويّ وغيرها من لوازم الخدمة العلميّة للمخطوط.

2- منهج محمد إبراهيم البنّا:

نهضَ الدكتور محمد إبراهيم البنّا سنة 1985م بعبء إعادة تحقيق كتاب (أخبار النحويّين البصريّين) لأبي سعيد السيرافيّ المتوفَّ سنة 368هـ بعد أن تبيَّن أن النشرة الأولى للكتاب التي أصدرها المستشرق الألمانيّ فريتس كرنكو سنة 1936م غير دقيقة، كما تبيَّن أنَّ النشرة الثانية التي أصدرها طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي سنة 1955م اعتمدت النشرة الأولى بعثراتها وثغراتها، وليس فيها ما يدلّ على اعتماد مخطوطة ما[1].

والدكتور محمد إبراهيم البنّا أستاذ معروف في الدراسات النحويّة واللغويّة؛ فجاء عمله علميّاً من أربع زوايا مهمة دالّة على منهجيّته في التحقيق:

أولاها: أنَّه اعتمد مخطوطتين، الأولى منهما كُتِبت سنة 376هـ بعدَ ثماني سنوات من وفاة السيرافيّ وهي مخطوطة ألفيّة[2]، فيها تصحيح ومقابلة ومعارضة، وعدَّها الأصل مع الاستعانة بمخطوطة ثانية ناقصة.

وثانيتها: أنَّه أحسنَ خدمة الكتاب علميّاً بحواشٍ علميّة مناسبة كاشفة موضِّحة من غير إثقال.

وثالثتها: أنَّه قدَّم للكتاب بدراسة كافية عن منهج الكتاب، وشخصية مؤلِّفه، ومنهجه هو في تحقيقه[3].

ورابعتها: أنَّه ألحقَ بالكتاب فهارسَ متنوّعة دقيقة صحيحة الإحالة[4]، لكنَّها تخلو من فهرس للمسائل العلميّة الواردة في الكتاب.

ويمكن التدليل على نجاح محمد إبراهيم البنا في تحقيق الكتاب بتحليل المقتطف الآتي:

---

(1) صدر الكتاب لأول مرة سنة 1294هـ/1876م في القاهرة بطبعة نشريّة على الحجر، ثم حقّقه عطية عامر ونشره في باريس سنة 1957م، ثم حققه إبراهيم السامرائيّ ونشره النشرة الأولى في بغداد سنة 1959م، ثم حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ونشره النشرة الأولى سنة 1967م. يُنْظَر: عبد الهادي الفضلي، فهرست الكتب النحويّة المطبوعة، ص 217-218.

(2) المخطوطات الألفيّة هي التي يزيد عمرها عن ألف سنة.

(3) يُنْظَر: السيرافيّ، أخبار النحويّين البصريّين، مقدمة المحقِّق، ص 5-22.

(4) يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 127-156.

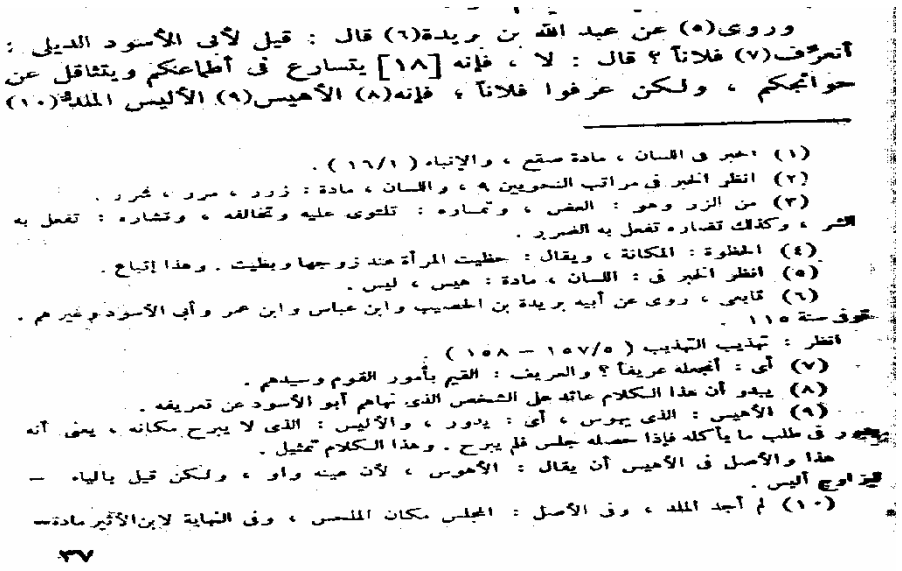

وروى(٥) عن عبد الله بن بريدة(٦) قال : قيل لأبي الأسود الديلي : أتعرِّف(٧) فلاناً ؟ قال : لا ، فإنه [١٨] يتسارع في أطماعكم ويتثاقل عن حوائجكم ، ولكن عرِّفوا فلاناً ، فإنه(٨) الأهيس(٩) الألِيس الملدّ(١٠)

(١) الخبر في اللسان ، مادة صقع ، والإنباه (١٦/١) .
(٢) انظر الخبر في مراتب النحويين ٩ ، واللسان ، مادة : زرر ، مرر ، شرر .
(٣) من الزر وهو : العض ، وتمارّوه : تلتوى عليه وتخالفه ، وتشارّه : تفعل به الشر ، وكذلك تضارّه تفعل به الضرر .
(٤) الحظوة : المكانة ، ويقال : حظيت المرأة عند زوجها وبظيت . وهذا إتباع .
(٥) انظر الخبر في : اللسان ، مادة : هيس ، ليس .
(٦) تابعي ، روى عن أبيه بريدة بن الحصيب وابن عباس وابن عمر وأبي الأسود وغيرهم . توفي سنة ١١٥
انظر : تهذيب التهذيب (٥/١٥٧ — ١٥٨) .
(٧) أي : أتجعله عريفاً ؟ والعريف : القيم بأمور القوم وسيدهم .
(٨) يبدو أن هذا الكلام عائد على الشخص الذي تهاهم أبو الأسود عن تعريفه .
(٩) الأهيس : الذي يهوس ، أي : يدور ، والأليس : الذي لا يبرح مكانه ، يعني أنه يواظب في طلب ما يأكله فإذا حصله جلس فلم يبرح . وهذا الكلام تمثيل .
هذا والأصل في الأهيس أن يقال : الأهوس ، لأن عينه واو ، ولكن قيل بالياء — لمزاوجة أليس .
(١٠) لم أجد الملد ، وفي الأصل : المجلس مكان الملحس ، وفي النهاية لابن الأثير مادة

أحسنَ محمد إبراهيم البنّا في هذا المقتطف في ضبط النصّ، وقراءته مع التعريف بعبدالله بن بُريدة تعريفاً صحيحاً مع تحديد سنة وفاته الصحيحة[1]، في الوقت الذي اختزل فيه طه الزيني ومحمد خفاجي التعريف بذكر الكنيّة مع الخطأ في تحديد سنة الوفاة، وقرآ كلمة (أنُعرِّف) من العِرافة (أتعرف)، فتغيَّر المعنى، واضطرا للخطأ في قراءة كلمة (عرِّفوا) فقرآها (أعرف) مع النصّ في الحاشية على أنَّ الأصل (عرفوا)، ولم ترد كلمة (الأليس) في نصّهما، وهو ما يدلّ على التعجّل وعدم التدقيق في معنى النصّ[2].

وثمة مخطوطة ثالثة من الكتاب نُسِخت في العصر الحديث سنة 1367هـ وقيمتها متواضعة بسبب تأخّرها، ومع ذلك غابَ عن الجميع الإفادة منها في التحقيق[3].

لكنْ، يبدو أنَّ محمد إبراهيم البنا تعجَّل قليلا في إخراج الكتاب، فعلَّقَ على الإعلال الصرفيّ في كلمة (الأهيس) بقوله، "الأصل في الأهيس أن يقال الأهوس" على القياس، وأهمل التعليق على معنى كلمة (الأليس)، وتابَعَ من سبقه في إثبات كلمة (الملَدّ) وأتبعها بكلمة (الملحس)؛ ذلك أنَّ القراءة الصحيحة المتأنية هي "فإنَّه الأهيس الأليس المُلَدّ المجلس" والمعنى: الرجل الشجاع المشتهى الجلوس إليه، وقد وردت المزاوجة (أهيس أليس) بمعنى الشجاع في مادة (ليس) في معجم لسان العرب[4]. أمّا كلمة (الملَدّ) بالذال، فلا يستقيم المعنى إلا بها.

والقضية المهمة في هذا النصّ أنَّ من الضروري في صنعة التحقيق احترامَ النصّ من غير تغييره إلا لضرورة علميّة مُلجئة مع التدقيق في انسباك المعاني، والإحاطة بما يمكن أن يسمَّى بعادات الكتابة عند النُّسّاخ، ومنها

---

[1] يُنْظَر: الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، ج 5، ص 50-52.

[2] السيرافيّ، أخبار النحويّين البصريّين، نشرة الزيني وخفاجي، ص 15.

[3] المخطوطة موجودة على الشابكة في موقع المصطفى: www.al-mostafa.com .

[4] يُنْظَر: ابن منظور، لسان العرب، (ليس).

إهمال الإعجام بسبب السرعة في النسخ أو زَوغان النظر، أو نوعية القلم أو الورق، أمّا تحديد الكلمات التي تحتاج إلى تعريف وشرح فمسألة جدليّة نسبية عُرفيّة تتفاوت فيها الآراء حسب الحدس والخبرة؛ لأنَّها تتعلق بمدى المعرفة اللغويّة الدلاليّة عند المتلقّي في العصر الحديث.

3- منهج رُوْدُلف زلهايم:

عكَف المستشرق الألمانيّ رُوْدُلف زلهايم سنواتٍ[1] على تحقيق كتاب نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، وهو الذي اختصره الحافظُ اليغموريّ المتوفَّ سنة 673هـ من كتاب المرزبانيّ المتوفَّ سنة 384هـ المعروف بـ(المقتبس) حتى فرغ من تحقيقه ونشره سنة 1964م في ألمانيا.

وثمة ملحوظة علميّة تتعلَّق بكتاب المقتبَس نفسه، فهذا الكتاب عالَمٌ شرقيّ مليء بأخبار النحاة وطرائفهم ومجالسهم، وما قالوه، وما قيل عنهم، وفيهم من روايات وأقوال، بعضُها نسجه الخيال، ودخل فيها الافتعال حتى صار عالَم النحاة كعالَم الشعراء في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني على قيمته العالية، فجاء كتاباً حفيلاً كبيراً استحقَّ أن يُسمَّى بـ(مسنَد النحويّين) كما قال ياقوت الحمويّ[2]، قام منهج مؤلِّفه على استنفاد الجهد في جمع الأخبار والروايات والآراء وحشوها في الكتاب من غير تمحيص أو تدقيق؛ فليس هدفه الترجمة العلميّة الدقيقة على الدوام، بل بناءُ عالَمٍ للنحاة والأدباء والشعراء والعلماء يسرق الألباب، ويشنّف الآذانَ، تمتزج فيه الحقيقة بظلالٍ لا حقيقة فيها؛ لبناء صورة عجائبيّة لعالَم العلماء، تُظهِرُ العالِمَ في الغاية من الذكاء في موقفٍ، والغاية من السذاجةِ في موقف آخر؛ فهو يمثّل الذاكرة الشعبيّة عن النحاة؛ لهذا ازورَّ بعضُ علماء التراجم عنه، ونقلوا عنه بحذَرٍ شديد، مكتفين بالفوائد المهمة؛ ذلك أنَّهم في تأليفهم كتبَ التراجم كانوا أقربَ إلى منهج علماء الحديث في كتب تراجمهم، كما في مراتب النحويّين لأبي الطيّب الحلبيّ، وطبقات النحويّين واللغويّين للزُّبيدي، وطبقات النحويّين البصريّين لأبي سعيد السيرافيّ من الذين عاصروا المرزبانيّ، وترجموا للنحاة واللغويّين باعتماد الصورة العامة لمنهج المحدّثين في الترجمة بطيِّ الأخبار غير الموثوقة، وإطلاق الأحكام التوثيقيّة، مثل: الثقة، والحافظ، والمدقّق، والورع، والزاهد، وصحيح العقيدة، و... إلخ.

وكيفَ دارَ الأمر، فكتابُ نور القبس كتابٌ مهمٌّ يستحقّ المستشرق الألمانيّ الذي حقّقه الشكرَ والتقدير، فقد اعتمد في تحقيقه النسخة الوحيدة من مخطوطته، واستعان بنسخة وحيدة أخرى غير كاملة من مخطوط المختار من كتاب المقتبس لعليّ بن حسن[3].

---

[1] يُنْظَر: اليغموريّ، نور القبس، ص 38 من دراسة المحقّق.

[2] يُنْظَر: ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء، ج 1، ص 6.

[3] يُنْظَر: اليغموريّ، نور القبس، ص 19، 24 من دراسة المحقّق.

وقام منهج تحقيق الكتاب على العناية بضبط النصّ المحقّق ضبطاً دقيقاً، والمقابلة بينه وبين النصوص المشابهة في كتب الأخبار والتراجم والتاريخ لإثبات الفرق، واستكمال النقص، مع التقدمة للكتاب بدراسة جيدة، دقّق فيها المحقّقُ اسمَ المختصِر، وكتابه، وأبان عن منهجه في التحقيق، ثمّ ذَيَّل الكتاب بفهارس فنيّة متنوعة دقيقة، أردفها بصور جميلة من المخطوط، وأتبعها بدراسة باللغة الألمانيّة عن الكتاب، وكانَ عالِماً أميناً حصيفاً مقدِّراً فضْلَ أصدقائه وزملائه، فشكرَ الأستاذ خالد إسماعيل علي على إعانته إيّاه في مسائل اللغة[1].

لكنْ، ثمة مآخذ تؤخذ على منهج تحقيق الكتاب، هي:

المأخذ الأوّل: ذكر المحقّق أنَّ ما تردّد في المخطوطة من أخطاء بسبب زلّة القلم من وجهة نظره، صحّحَها على العموم من غير الإشارة إليها[2]. وهذه مُصادرة علميّة لِحَقِّ صاحبِ المخطوط أو ناسخِه، فلا يجوز التصحيح بلا إشارة أو إحالة، فزلّة القلم لا معيار لها في العلم، والموضوعيّة تقتضي الإثبات مع التنبيه على الخطأ في الحاشية.

المأخذ الثاني: لم يُحِل المحقّق عند بداية كلّ ترجمة إلى مصادر الترجمة ومراجعها، وهي من الإحالات الضروريّة في تحقيق النصوص.

المأخذ الثالث: اتّبع المحقّق طريقة غريبة في الإشارة إلى الهوامش عدّها أوضحَ طريقة، فيذكر في الهامش رقم السطر الذي فيه من المتن ما سيُعلَّق عليه في الحاشية، ثم الكلمة أو العبارة التي سيعلّق عليها، ثم التعليق والتوثيق[3]. وهذا المنهج غير سليم إلا إذا رقَّم أسطر المتن كلّها، كما أنَّ نقل ما سيعُلَّق عليه تكرار وإثقال.

المأخذ الرابع: خرّج الآيات القرآنيّة داخل المتن بين قوسين، داخلهما رقم السورة على رقم الآية أو الآيات[4]، وهو منهج غير قويم، فالصواب ذكر السورة، ثم رقم الآية أو الآيات.

المأخذ الخامس: لم يخرِّج المحقّق الأحاديث النبويّة وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم[5]، ولم يميّز في الفهرس بين الحديث النبويّ، والحكمة، والقول، والمثل؛ ذلك أنَّه جعلها في فهرس واحد بعنوان: "فهرس الأحاديث والحكم والأمثال والأقوال"[6] وهذا أمر لا يُقبَل.

المأخذ السادس: صحيح أنَّ المحقّق قد خدم الكتابَ بفهارسَ جيدةٍ، لكنَّ بقي مُصِرّاً على الإحالة إلى رقم الصفحة مع رقم السطر، مع أنَّ الأسطر غير مرقّمة، لكنَّ الأمر الغريب في منهجه أنَّه قدَّم فهرسَ الأعلام

---

[1] يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 40 من دراسة المحقّق.

[2] يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 38 من دراسة المحقّق.

[3] يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 39 من دراسة المحقّق.

[4] يُنْظَر على سبيل المثال: المصدر السابق نفسه، ص 22، 28، 349.

[5] يُنْظَر على سبيل المثال: المصدر السابق نفسه، ص 2.

[6] يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 409.

والأمم والقبائل والفِرَق، وفهرس الأماكن والبلدان، وفهرس الأيّام على فهرس الآيات، ثم فهرس الأحاديث والحِكم والأمثال والأقوال.

ومع ما يبدو في منهج رُودُلف زلهايم من غرابة من وجهة نظرنا إلا أنَّه بقي وفيّا لمنهجه – على غير قبول له منّا – في الكتابِ كلّه.

4–منهج عبد الفتّاح محمد الحلو:

لا شكَّ في أنَّ الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو عالِمٌ خبيرٌ بالنحو العربيّ وتاريخه ومسالكه ومسائله، ومحقِّقٌ مدقّقٌ في تحقيق النصّ المخطوط أيّما تدقيق؛ وهذا ما ظهر جَليّاً في تحقيقه كتاب (تاريخ العلماء النحويّين من البصريّين والكوفيّين وغيرهم) للقاضي المفضّل المتوفَّ سنة 442هـ، فقد أحسنَ قراءة النصّ المخطوط، ودراسته، وتخريج نصوصه بالمقابلة والشرح والتعليق والتوثيق على مستوى الكلمة والعبارة والخبر والرواية والمعلومة، لكنَّه مع كلّ هذا الجهد المشكور يمثّل ظاهرة التزيّد والمبالغة في الحواشي التي تشكلّ على أقلِّ تقدير ضِعفَ حجم متن الكتاب، فالكتابُ مُثقلٌ بالحواشي والتخريجات والمتابعات التي كان الأفضل التخفّف من بعضِها ليغدو الكتابُ رشيقاً؛ إذ كانَ حريصاً على ذِكر ما استطاعَ الوصول إليه من مصادر ترجمة كلّ عالِمٍ من علماء النحو واللغة، ففي ترجمة المبرِّد أثبت في مصادر ترجمته مصادر استغرقت الصفحة كاملة إلا أربعة أسطر[1]، وفي ترجمة سيبويه استغرق في المصادر وضبط اسمه قرابة صفحتين[2]، واستغرق ما يقرب من صفحتين ونصفٍ في ذكر مصادر ترجمة أبي الأسود الدؤليّ وضبط اسمه[3].

ولعلَّ المنهج الأكثر دقّة أن يُكتفى بذكر أهم المصادر التي عُنيت بالترجمة للنحويّ، ولا سيّما المصادر التي نقل عنها مؤلِّف الكتاب، أو المصادر الكبرى.

وقد كانَ حريصاً على الاستقصاء في تخريج أبيات الشعر، فقد خرَّج بيت الأعشى:

أرى رجُلاً منهم أسيفاً كأنَّما يضمُّ إلى كَشْحَيْه كفّاً مُخضّبا

من أربعة عشر مصدراً، أوّلها ديوان الشاعر[4]، والأَوْلى الاكتفاء بالإحالة على ديوان الشاعر في مثل هذه الحالة.

لكنَّ من أغربِ ما وقع لعبد الفتاح الحلو التعريف بالبلدان اعتماداً على معجم الأدباء لياقوت الحمويّ من غير التدقيق في تحديد المكان حسب العصر الحديث، ففي ترجمة الزجّاجيّ، ذكر المؤلِّف أنَّه توفِّيَ في طبريّة، فعرَّف المحقِّقُ بها بما نقله عن ياقوت الحمويّ في معجم البلدان، وهو قوله: "طبريّة: بليدة مُطلّة على البحيرة

---

[1] يُنْظَر: القاضي المفضَّل، تاريخ العلماء النحويّين، ص 53 من حاشية التحقيق.

[2] يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 90–91 من حاشية المحقّق.

[3] يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 164–166 من حاشية المحقّق.

[4] يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 189 من حاشية المحقّق، وثمة أمثلة أخرى، ص 161، 220.

المعروفة ببحيرة طبريّة، وهي في طرف جبل، وجبل الطور مُطِلّ عليها، وهي من أعمال الأردن"[1]، وهذا التعريف صحيح جغرافيّاً في عصر ياقوت الحمويّ في القرن السابع الهجريّ، لكنَّه في الجغرافية الحديثة غير صحيح، فمدينة طبريّة تقع في الشمال الشرقيّ من فلسطين. وهذا يعني أنَّ من منهجيّة التحقيق الحديث للنصوص التعريف بالبلدان والمدن حسب الجغرافية المعاصرة.

5- منهج إبراهيم السامرائيّ:

كانَ المرحوم الدكتور إبراهيم السامرائيّ قامةً شامخةً من قامات اللغة والنحو في العصر الحديث، ما أعملَ فكره وعقله في مجالٍ من مجالات اللغة والنحو إلا أحسنَ فيه باتّزان، وقد جاء تحقيقه كتاب (نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء) لأبي البركات الأنباريّ مثالاً على الإتقان باتّزان، فلا إفراط في مقدّمة دراسته، ولا تفريط، وحواشيه نافعة كاشفة مفيدة، تخرّج وتوضّح وتُضيف، لكنَّه لأمرٍ ما أغفلَ أن يلحق بعمله الفهارس الفنيّة السابرة لأغوار هذا الكتاب المهمّ من كُتب تراجم النحويّين سوى فهرس التراجم، وهي رُكن من أركان التحقيق لا يُعدّ العمل تامّاً إلا بوجودها، وقد أصدر تحقيقه لأوّل مرة سنة 1959م، ثم أعادَ إصداره وطبعه غير طبعة[2] من غير أن يُضيف إليه الفهارس، ومع هذا لاقى التقدير بسبب دقّة قراءته لمخطوطات الكتاب، ووقوفه حيثما يجب مُخَرِّجاً أو موضِّحا أو مُعقّبا أو مُصحّحاً[3].

6- منهج عبد المجيد دياب:

مع أنَّ الدكتور عبد المجيد دياب حقّق بكفاءةٍ واقتدارٍ ومعرفةٍ كتابَ: إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويّين بتقديم دراسة، وتحقيق متن، وإتباع بالفهارس الفنيّة إلا أنَّه انساق إلى بعض الثغرات المنهجيّة في تحقيق نصّ المخطوط. منها أنَّه لم يتنبّه إلى التغيّر الطفيف في الرسم الإملائيّ، فكثيرا ما يوحّد النُّسّاخ رسم الهمزة أو الألف الأخيرة؛ لهذا ينبغي عند تحقيق المخطوط مراعاة الرسم الإملائيّ المعاصر للكتابة العربيّة، ففي ترجمة الجليس النحويّ أثبت ما نصّه "وعلّة أشعار"[4] بالهمزة الفوقيّة، وهي تدل على الفتح، والصواب على العُرف السائد الآن

---

(1) يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 36 مع حاشية المحقّق. وقد وقع في هذا المزلق المنهجيّ، وفي اسم المدنية نفسها عبد المجيد دياب في تحقيقه كتاب: إشارة التعيين، ص 181.

(2) أصدرت دار المنار – بعد الإصدار الأوّل في بغداد سنة 1959م – في الأردن منه ثلاث طبعات، آخرها سنة 1985م.

(3) يُنْظَر على سبيل المثال: أبو البركات الأنباريّ، نزهة الألبّاء، ص 27، 31، 50، 59، 79، 122، 276، وغيرها من حواشي المحقّق.

(4) يُنْظَر: اليماني، إشارة التعيين، ص 104، ولعلّها غلطة طباعيّة.

أن تكون الهمزة تحتيّة "إشعار" مع أنَّ الكلمة الأولى غير دقيقة أيضاً في المعنى والدلالة. وفي ترجمة ابن هشام الأنصاريّ المصريّ أثبتَ كلمة (تلى)[1] بالألف المقصورة مرتين، والصواب أنها بالألف الممدودة.

ويحصل كثيراً في المخطوطات شيء من الاضطراب في إعجام بعضِ الحروف، فيسقطُ النَّقْطُ، أو يرد خطأ، فينبغي أن يصحح بالمقابلة أو بمراجعة المصادر والمعجمات. من ذلك أنَّ المحقّق أثبت في ترجمة الأخفش الأوسط ما نصه: "وكان أخلعَ لا تنطبق شفتاه على أسنانه"[2]، وحار في تخريج كلمة (أخلع) وذكر في الحاشية أنَّ الخلع تحوّل المفصل عن موضعه ، وتعجّب من أنَّها في البغية للسيوطيّ (أجلج)، والصواب أن الكلمة (أجلع)، قال ابن منظور في اللسان: "ورجل أجلع: لا تنضمّ شفتاه على أسنانه"[3]، وهو من الوصف المعروف للأخفش الأوسط في بعض المصادر التي أحال المحقّق عليها في أوّل الترجمة كالإنباه[4]، والبغية[5] في الطبعة المتداولة التي رجع إليها.

ووقع الناسخ في خطأ معرفيّ لم يُنبّه عليه المحقّق حين قال في تتمة التراجم الملحقة في ترجمة الشنوانيّ: "شرح الأجروميّة للشيخ خالد، وشرح الأزهريّة"[6]، والصواب: (شرح الأزهريّة للشيخ خالد – وهو خالد الأزهريّ –، وشرح الآجرّوميّة).

وثمة أمر منهجيّ لافت في هذا التحقيق، يتمثّل في الازداوجيّة الواضحة عند التعريف بالبلدات والمدن، فهو يحدّد المواضع المصريّة بطريقة ممتازة، تنسجم والجغرافية الحديثة، فقد أثبت في ترجمة اليماني للحوفيّ ما نصّه: "من أهل ضيعة من حوف مصر، اسمها شبرا النجة"[7]، فقال في الحاشية معرّفا بـ(شبرا النجة): "ذكر صاحب القاموس الجغرافيّ 22/1 أنَّها وردت بهذا الرسم "شبرا النجة" وفي ابن مماتي والمشترك لياقوت "شبرا البنجة" وفي تحفة الإرشاد "شبرالنجة". وهي من أعمال الشرقيّة، وحُرِّف الاسم فصارت "شبلنجة" لخفة النطق وسهولته، وكانت تابعة لمركز منيا القمح، ولما أنشئ مركز بنها سنة 1913 ألحقت به لقربها منه"[8]. لكنَّه يخالف منهجه القويم عند التعريف بالمواضع الأخرى، فيكتفي بتعريفها من المصادر الجغرافيّة القديمة، كتعريفه بـ(طبريّة) [9] على نحو ما مرَّ في منهج عبد الفتاح محمد الحلو.

---

[1] يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 164، 403.

[2] يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 131.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة (جلع).

[4] يُنْظَر: القفطيّ، إنباه الرواة، ج 2، ص 39.

[5] يُنْظَر السيوطي، بغية الوعاة، ج 1، ص 590.

[6] يُنْظَر: اليماني، إشارة التعيين، ص 402.

[7] المصدر السابق نفسه، ص 206.

[8] يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 206 من حواشي المحقّق.

[9] يُنْظَر: المصدر السابق نفسه، ص 181 من حواشي المحقّق.

7–منهج حسن الملخ وسهى نعجة:

لعلَّ كتاب (تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب) للسيوطيّ أكبر كتب تراجم النحويّين من حيث حجم الترجمة لشخصيّاته، وهذا يعني أنَّه الأكثر غزارة بالمادة المعرفيّة العلميّة الموسوعيّة؛ لهذا تشرّفتُ بالاشتراك مع الدكتورة سهى نعجة بتحقيقه ونشره سنة 2005م في طبعة أولى، وسنة 2008م في طبعة ثانية بعد أن استغرقنا العمل فيه خمس سنوات على نسخة مخطوطة غير مُبيّضة من خطّ السيوطيّ نفسه في غالب المخطوط.

والتحقيق مسبوقٌ بدراسةٍ ضافية عن المؤلِّف والمؤلَّف والموضوع والمنهجيّة وما يتّصل بهذا المعالم العامّة من مسائل تفصيليّة، ومتبوعٌ بفهارسَ فنيّةٍ متنوّعة، لكنَّ أهمَّ ما يميزه منهجيّاً وجود فهرس تفصيلي يمثل الموضوعات الجزئيّة مثل: الاسم والنسب، والشيوخ، والتلامذة، والكتب، والمجالس، والأخبار، والمرويات، و... إلخ من المعلومات التي تطرَّق إليها السيوطيّ في الترجمة لكل نحويّ من نحاة مغني اللبيب ، كما يتميّز بوجود إحالة إلى أهم الدراسات الحديثة عن النحويّ المترجَم له إن وجدت عقب مصادر ترجمته، وهو بهذا الصنيع تكملة منهجيّة في تحقيق هذا النوع من الكتب حاول فيه الباحثان المحقّقان الإفادة من إيجابيّات تحقيق هذا الضَّرْب من كتب التراجم، وتجنّب مزالق التحقيق في الإكثار من الحواشي، وتدقيق الروايات رواية روايةً، فلا يُحالُ على المصادر بعد ذكرها في أوّل الترجمة إلا عندما لا نجد المعلومة التي يذكرها السيوطيّ، كما حصل في المعلومات الذي ذكرها عن بعض النحاة نقلاً من معجم الأدباء لياقوت الحمويّ من غير أن نجدها في النشرة المحقّقة منه، وهي تصلح استدراكا نافعاً على تحقيق كتاب معجم الأدباء.

لكنَّ إشكاليّةَ هذا التحقيق الاعتمادُ على نسخة مخطوطة وحيدة غيرِ مبيّضة أو مدقّقة أو مراجَعة بشكلٍ نهائيّ من المؤلّف؛ لهذا وقعت لنا بعض الهفوات في القراءة؛ لأنَّ السيوطيّ كان حريصاً على جمع أكبر ما يمكن من المعلومات عن النحويّ المترجَم له، فصارت الطبيعةُ المعرفيّة للكتاب موسوعيّةً تحتاج إلى فريق متنوّع الاختصاص من النحو إلى اللغة إلى الشعر إلى الأدب إلى الفقه إلى الحديث إلى التفسير إلى التأريخ إلى البلاغة إلى الأنساب إلى الجغرافية إلى ... إلخ، فكلمة (وفي الطيوريات) كتبت خطأ أحيانا، فقرئت (وفي الطيور بابِ) لعدم العلم بوجود كتاب الطيوريات وماهيته أيّام تحقيق المخطوط.

منهج تحقيق كتب تراجم النحاة واللغويّين:

من الاحتراس العلميّ التنبيه على ثلاثة أمور مهمة قبل توضيح رؤيتنا في تحقيق كتب تراجم النحويّين واللغويّين.

أوّلها أنَّ ثمة خيطاً من التطوّر والتحديث في الآليات المنهجيّة في تحقيق هذا الضَّرْب من الكتب منذ بضع عشرات من السنين، الأمر الذي يعني ضرورة استمرار صفة التطوّر التراكميّ.

وثانيها: أنَّ ثمة خصوصيّة في تحقيق أيّ مخطوط تعود إلى طبيعته المعرفيّة؛ لهذا ينبغي تجاوز الآليات المنهجيّة العامة في التحقيق إلى الآليات المنهجيّة الخاصة بكلّ ضرْبٍ معرفيّ على حدة، فتحقيق ديوان شعر يختلف في الصورة التفصيليّة عن تحقيق كتابٍ في النحو مثلاً.

وثالثها: أن يتمَّ اختيار المخطوطات التي يؤدي بذل الجهد في تحقيقها إلى تحقيق منفعة عامة حقيقيّة تفيد أهل الاختصاص، فلا فائدة من تحقيق كتاب لا يضيف إلى الكتب المحقّقة قبله شيئا ذا قيمة؛ ولهذا ينبغي تجاوز عقدة الحماس لتحقيق مخطوط نادر أو الإصرار على تحقيق مخطوطةٍ ما لإرضاء حاجة نفسيّة، أو نيل درجة علميّة أو الافتخار بخدمة التراث، فالعلم نفعيّ في مقصده الأول، ويقع تحديد أهمية الإضافة المعرفيّة في أيّ مخطوط على العلماء الموضوعيّين في مجال اختصاص المادة المعرفيّة للمخطوط.

ويقوم منهج تحقيق كتب تراجم النحاة واللغويّين على الإيفاء بالمتطلبات الآتية:

1- اختيار المخطوط:

بداية، لا مانعَ من تحقيق مخطوطٍ ما بالاكتفاء بنسخة واحدة منه شرط أن تكون وحيدةً مقروءةً إلى حدٍّ كبير بعد التحقّق الصادق من عدم وجود نُسَخ أخرى من المخطوط، فإذا وجِدتْ نسخٌ أخرى من المخطوط يجب بذل الجهد في الحصول على ثلاث نسخ مقروء على الأقل من النسخ المتوافرة مع مراعاة شرط الأقدميّة قدر الإمكان، أو المقابلة والمراجعة من عالِم ثبتٍ أو على صلة بالمؤلِّف، مع أنَّ مخطوطة المؤلّف الأصليّة وحدها تكفيّ للتحقيق حتى مع وجود النسخ الأخرى إذا كانت المخطوطة مقروءة.

ويتطلّب التأكّدُ من وجود النسخ من عدمه الدرايةَ الواسعة بفهارس المخطوطات العربيّة في العالم العربيّ وخارجه، ولا بأسَ من سؤال أهل العلم والخبرة والدراية مع ضرورة الابتعاد عن صفة التقوقع على الذات بالاكتفاء بالبحث داخل بلد واحد، بل داخل مؤسّسة واحدة بحجة صعوبة الحصول على النسخ الأخرى، أو تجاهل وجودها، أو عدم المعرفة بوجودها أصلاً.

2- مواصفات المحقِّق:

أهمّ صفات المحقّق الصبر والترويّ والأناة، ثم ضرورة أن يكون على علاقة علميّة وطيدة بالمجال المعرفيّ للمخطوط، فلا يجوز للمتخصص بالنحو التصديّ لتحقيق مخطوط في الطبّ أو الصيدلة مثلاً مع ضرورة الاطلاع الواسع على المكتبة العربيّة بكتبها المتنوّعة عدا أنْ يكون المحقّق قادراً على إخراج المخطوط بلغة سليمة لا أخطاء فيها، ولا سيّما أخطاء الوزن العروضي.

وقد يحسُن أن يتحوّلَ تحقيق المخطوط من عمَلٍ فردي إلى عمل جماعيّ يقوم به فريق متعدّد الاختصاصات يضمّ المتخصّص باللغة إلى جانب المتخصّص بالفقه أو بالحديث أو بالتاريخ أو بالفلسفة أو بما شابه، ولا سيّما إذا كان المخطوط ذا مادّة علميّة متنوّعة

3– دراسة المخطوط:

دراسة المخطوط لها جانبان:

الأوّل: التعريف المفيد بمؤلِّف المخطوط بعد العودة إلى المصادر التي ترجمت له شرط أن يضيء التعريف شخصيّة المؤلِّف من الناحية العلميّة من غير التركيز على دراسة عصر المؤلِّف من الناحية السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصادية والثقافيّة، فليس من وَكْد المحقّق دراسة عصر المؤلِّف، بل تقديم ترجمة كافية عن المؤلِّف.

والثاني: دراسة المخطوط نفسه من حيث توثيق نسبته إلى المؤلِّف، ومادتُه العلميّة، ومنهج تأليفه، ومصادره، وأهميّته، وملامح الفرادة فيه، وشخصيّة مؤلِّفه في الطرح والمكناقشة والتوضيح والاختيار، وما شابه، ثم الانتقال للحديث عن المخطوطة أو المخطوطات بوصفها من حيث نوعُ الخطّ، وعدد الصفحات، ومتوسّط عدد الأسطر في الصفحة الواحدة، وتوثيق مكان وجوده مع ضرورة إرفاق ثلاث صور من صور صفحات المخطوط في نهاية الدراسة على الأقل، شرط أن تكون صفحة العنوان وصفحة النهاية منها.

4– قراءة النصّ:

قراءة النصّ من أهم الخطوات الإجرائيّة المنهجيّة في التحقيق، وهي تحتاج معايشة معقولة مع المخطوط للتمكن من قراءته قراءة سليمة وفق المتعارف عليه من اللغة العربيّة في العصر الحديث، برَدّ التسهيل في الهمز إلى تحقيقه، وإثبات همزة القطع مع الحساسية البالغة لما يُقرأ، فقد يكون بيت شعر، أو حديثا، أو آية، أو قولاً، أو مثلاً، أو ما شابه، فكثير من المخطوط العربيّة الألفيّة وما حولها لا تميّز في الكتابة بين هذه الأمور، ولا عيبَ في الاستعانة بقارئ مخطوطات خبير محترف خاصّة إذا كان المحقِّق غير ثابت القدم في العربيّة.

ويرتبط بقراءة النصّ المخطوط التنبّه إلى السقط، أو التكرار، أو الإحالة إلى هامش الصفحة على شكل حاشية مع ضرورة التمييز بين حواشي المؤلِّف أو الناسخ أو المقابِل أو المعلِّق، وهو الأمر الذي قد يتضح بشكل الخطّ غالباً.

5– فنّ المقابلة والإحالات والحواشيّ:

إثبات المقابلة بين النسخ يكون فيما هو ضروريّ مؤثِّر فقط، فلا موجب غالبا للنصّ على أنَّ النسخة (س) تسبق الكلمة فيها بالواو، والنسخة (ع) تُسبق الكلمة فيها بالفاء، والنسخة (ك) لا تسبق فيها الكلمة بشيء؛ فهذا الاختلاف من السرعة في الكتابة أو تفشّي الخطّ غالباً، لكنَّ سائر الأشياء كوجود كلمة في نسخة وعدم وجودها في نسخة أخرى يستأهل التنبيه عند المقابلة.

أمَّا الإحالة فهي على نوعين: الأوّل منهما يتعلّق بمصادر الترجمة، وهذه المصادر ينبغي أن تكون محدودة وحقيقيّة، فلا موجب لاستقصاء كلّ كتاب ورد فيه اسم الشخصيّة المترجَم لها، بل يكفي الوقوف على أهمها ولا سيّما المصادر التي استقى منها المؤلِّف معلومات ترجمته، ويرتبط بهذا الأمر عدم الحاجة إلى تخريج الروايات والمقابلة بينها، فهذا الأمر يضخّم حجم التحقيق. والنوع الثاني من الإحالة يتعلّق بتوثيق الآيات والأحاديث النبويّة وهو أمر واجب من غير الحاجة إلى التوسّع في مصادر تخريج الحديث، أو الاستطراد إلى مسألة الحُكم على الحديث.

وأمّا الأشعار فلا موجب لتخريجها إلا من الدواوين إذا كانت موجودة، أمّا تخريج الأشعار من الكتب الأخرى فلا ضرورة له في هذا النوع من الكتب؛ لأنَّ الأشعار فيها غالباً للاستئناس والاستزادة.

أمّا الحواشي فهي مِلْحُ التحقيق، لا يستقيم التحقيق بدونها، ويصبح مالحاً لا يستساغ عند الإكثار منها؛ لهذا يحسن أن تكون في الحدّ الأدنى بالاكتفاء بتوضيح كلمة غامضة أو عبارة ملبسة أو التعليق على معلومة لافتة، وفي الأحوال كلّها تظهر في الحواشي مهارةُ المحقّق.

6– فنّ الفهرسة:

الفهرس مفتاح أيّ كتاب، وفي كتب التراجم يجب تنويع المفاتيح بشكل دقيق مضبط بفهرس للأعلام حسب الاسم الأول وآخر حسب اسم الشهرة أو ربطهما بفهرس واحد مع الإحالة كأن يذكر سيبويه في حرف السين، ويُنص على أنَّه عمرو بن عثمان بن قنبر؛ فيبحث عنه تحت هذا الاسم.

ويحتاج هذا التنوع إلى فهرس للآيات، وآخر للأحاديث النبويّة والآثار، وثالث للأقوال السيارة المشهورة، ورابع للمجالس العلميّة والمناظرات، وخامس للأشعار والأرجاز من غير الفصل بينهما، وسادس لأنصاف الأبيات والشطور المفردة.

كما يحتاج إلى فهرس للمسائل اللغويّة المعجميّة والنحويّة والصرفيّة والصوتيّة والبلاغيّة ترتَّب ألفبائيّا حسب اسم المسألة.

ويمكن عمل فهرس للكتب الواردة في متن النصّ المحقّق، على أنَّ أهم فهرس هو الفهرس التفصيلي الذي يعني تحويل كلّ معلومة في النصّ المحقَّق إلى مدخل فهرسيّ داخل ترجمة كلّ شخصيّة.

أمّا فهرس البلدان والمدن والمواضع والطوائف والمذاهب؛ فلا موجب له في فهرسة هذه الكتب.

المصادر والمراجع:

- أبو البركات الأنباريّ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائيّ، ط 3، مكتبة المنار، الأردن، 1985م.

- أبو البركات الأنباريّ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الفكر العربيّ، مصر، 1998م.

- أبو الطيّب الحلبيّ، عبد الواحد بن عليّ، مراتب النحويّين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار نهضة مصر، مصر، 1974م.

- ابن قاضي شُهبة، تقي الدين بن أحمد الأسديّ، طبقات النحاة واللغويّين، تحقيق: محسن غياض، ط 1، مطبعة النعمان، العراق، 1974م.

- ابن قُتيبة، عبدالله بن مسلم، المعارف، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1987م.

- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبدالله، شرح الكافية الشافية، تحقيق: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، نشرة دار صادر، بيروت.

- ابن الناظم، بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك، شرح ابن الناظم على ألفيّة ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2000م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سِيَر أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه: شُعيب الأرنؤوط، ط 11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

- الزُّبيديّ، محمد بن الحسن، طبقات النحويّين واللغويّين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف، مصر، 1984م.

- السيرافيّ، الحسن بن عبدالله، أخبار النحويّين البصريّين، تحقيق: محمد إبراهيم البنّا، ط 1، دار الاعتصام، مصر، 1985م.

- السيرافيّ، الحسن بن عبدالله، أخبار النحويّين البصريّين، تحقيق: محمد الزبني ومحمد عبد المنعم خفاجي، ط 1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1955م.

- السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشرة المكتبة العصريّة، لبنان.

- السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب، تحقيق: حسن الملخ وسهى نعجة، ط 2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008م.

- عبد الهادي الفضلي، فهرست الكتب النحويّة المطبوعة، ط 1، مكتبة المنار، الأردن، 1986م.

- القاضي المفضَّل، المفضَّل بن محمد، تاريخ العلماء النحويّين، تحقيق: عبد الفتّاح محمد الحلو، ط 2، دار هجر، مصر، 1992م.

- القفطيّ، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهم، ط 1، دار الفكر العربي بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، 1986م.

- محمد إبراهيم الشيبانيّ وأحمد سعيد الخازندار، دليل مخطوطات السيوطيّ وأماكن وجودها، ط 2، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، 1995م.

- النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، ضبط وتعليق: يوسف علي طويل، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1996م.

- ياقوت الحمويّ الروميّ، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عبّاس، ط 1، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 1993م.

- اليغموريّ، يوسف بن أحمد، نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، تحقيق: رُودلف زلهايم، ط 1، دار فرانتس شتاينر، ألمانيا، طبع بيروت، 1964م.

- اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويّينن تحقيق: عبد المجيد دياب، ط 1، نشر مركز الملك فيصل، السعوديّة، 1986م.

الأسس العامة لمناهج تحقيق نصوص المخطوطات عند بعض العلماء العرب

أ.د.خديجة زبار عنيزان جامعة بغداد

المقدمة

للمخطوطات العربية الاسلاميه أهمية كبيرة لأنها تمثل المخزون الثقافي والأرشيف لتراثنا الحضاري والفكري الذي يضم ماده علميه ذات معلومات ثمينة لها أسسها ومقوماتها التي لها دورها في رفد التيار الحضاري بإضافات جديدة من الأخبار والمعلومات التي تقود إلى تطور فكري حضاري أوسع لما تضمه من معلومات قد تكون غير موجودة بالنسبة للباحثين لأنها لم تحقق وتنشر،لذا بات من الضروري تسليط الضوء على جانب مهم من تحقيق المخطوطات ألا وهو الجانب المنهجي الذي سار عليه علمائنا القدامى من العرب وابتكروا أسسه العامة وفق صياغاتهم المنهجية لأنها تمثل الأساس قي العناية بالمخطوط الذي يقوم أساسا على التحقق من صحة المخطوط وأصالته ونسبته إلى المؤلف وغيرها من الأسس التي تنصب في هذا الاتجاه ومن ثم تحقيق النص الذي يضم في ثناياه جمله من الخطوات التي سنوردها في البحث ،وهنا تكمن حقيقة أو هدف البحث في البحث أولا في أصل كلمه التحقيق والسبب الذي دفع علمائنا إلى الاتجاه إلى هذا العلم الذي قادهم إلى التحول من الروايات إلى الكتابة وكانت لهم فيه مناهج وأقوال مأثورة تؤكد على الامانه العلمية في النقل والتوثيق،وكان هذا لدى علماء الحديث الشريف خاصة في تدوينهم نصوصه وتوثيقها بمختلف وجوه التوثيق،وقد أبدعوا علما هو علم "الجرح والتعديل" الذي يكشف به صحيح النصوص من زائفها وقد تأثر بمنهج المحدثين هذا أصحاب العلوم الأخرى في رواية الأقوال ومناقشة الآراء،وقد شهد بذلك بعض علماء الغرب المنصفين مثل "فرانز روزنثال في كتابه"مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي". معولا في ذلك إلى خلاصة جهد علمي بذله علمائنا نتيجته ظهور مؤلفات عده في هذا المجال تناولت فن التحقيق كل واحد منها حسب اتجاهه المنهجي الذي سار عليه أو اختطه من خلاصه جهده العلمي والفكري وتأثر به ومن أبرزهم: الرامهزي(360هـ) ،والنيسابوري(ت405هـ)،والخطيب البغدادي(ت463هـ)،والقرطبي(ت463هـ) وغيرهم من الذين سنذكرهم في البحث،مستخلصين من مناهجهم الأسس العامة لتحقيق النصوص والوصول إلى المنهج الذي توصل إليه علمائنا قيس هذا الاتجاه الذي تم من خلاله وضع الأسس العامة لتحقيق النصوص منها على سبيل المثال لا الحصر: المقابلة بين النسخ من اجل الحصول على نص سليم مطابق لنص المصنف الأصيل،وإصلاح الخطأ الحاصل في النص من خلال ألمقابله مع بعض النسخ الأخرى وتقويمه، والعمل على علاج السقط والزيادات ،وعلاج السقط والزيادات ،وعلاج الزيادات من خلال اما الكشط أو المحو أو الضرب،ثم الضبط والشكل في الكتب أي يصحح الكتاب بالمقابلة أي تفقد مواضع التصحيف أي لها قواعد لأنها مسألة قديمة عند العلماء العرب ثم صنع الحواشي التي لها أهميه وفائدة كبيرة في التوثيق والتنبيه إلى بعض المسائل من خلال الاختلاف في النسخة أو الرواية وغيرها،ثم كتابة محتويات المخطوط حسب الأبواب والفصول والتراجم وغيرها من المشتملات،ثم الكتابة والخط لأهميتها في التنظيم والمعرفة وحسن

الخط والاهتمام بالقلم والاختصارات والرموز التي لم يغفلها علمائنا الأفاضل الذين قدموا لنا صورة رائعة لمنهجهم الذي ارسوا قواعده وأصوله.

أولا : التحقيق لغة واصطلاحا

التحقيق في اللغة من الإحقاق والإثبات حتى قيل أحققت الأمر إحقاقا إذا أحكمته وصححته،وحقق الرجل القول صدقه،وسمي العالم المحقق محقا[1]،وهو أيضا العلم بالشيء ومعرفة حقيقته على وجه اليقين والكلام المحقق:المحكم الصنعة الرصين،أي من حق الأمر حقا وحقوقا ،صار حقا وثبته،وحقه وحققه وحققت الأمر وأحققته كنت على يقين منه[2].

أما في الاصطلاح فهو الفحص العلمي للنصوص من حيث مصدرها ،وصحة نصها،وإنشاؤها ،وصفاتها ،وتاريخها،وبعبارة أخرى كما يشر دمحمد حسان " أن يؤدي الكتاب أداء صادقا كما وضعه مؤلفه كما وكيفما بقدر الإمكان"(3)، إي الجهد الذي يبذله المحقق من اجل العناية الخاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها شرائط معينه(4)، لان التحقيق نتاج خلقي،لايقوى عليه إلا من وهب صفتين هما الصبر والامانه(5)،لذا لم يكن تحقيق النصوص بعيدا عن بال جمهور من العلماء المشتغلين بالمخطوطات العربية محاولين من خلال ذلك وضع الأسس والقواعد اللازمة لتحقيق المخطوطات ونشر نصوصها لذا نجد إنهم حاولوا جهد إمكانهم العمل على تحقيق النصوص والتثبت من صحتها(6).

- نشأة تحقيق النصوص

نشأ فن تحقيق النصوص عند العرب منذ عصر الإسلام وبشكل خاصمن زائفها وقد تأثر بمنهج المحدثين عند علماء الحديث النبوي الشريف ولاسيما عند تدوينهم نصوصه وتوثيقها بمختلف وجوه التوثيق وجراء ذلك ابتدعوا علما هو "علم الجرح والتعديل إذ يكشف به صحيح النصوص من زائفها،وقد تأثر بمنهج المحدثين هذا أصحاب العلوم الأخرى في رواية ومناقشة الآراء ،وقد شهد بذلك بعض علماء الغرب المنصفين مثل فرانز روزنثال(7)، وسبب الحاجة إلى هذا العلم عند العرب عندما قل الاعتماد على الرواية الشفوية في الحصول على العلم لان عدم الثقة بما هو مكتوب السبب في إنهم لم يكونوا يجيزون لأحد أن يقرأ شيئا من كتاب معين أو يذكر منه شيئا آخر ألا إذا كان قد قرأ هذا الكتاب على مؤلفه أو على من قراءه على مؤلفه(8)،كما أشار ابن الوطواط (ت573ه) إلى ذلك انه التمس من احد الفضلاء أن يرسل إليه نسخه صحيحة من كتاب "أساس البلاغة" للزمخشري كي

يقابل بها نسخته المملؤه بالتحريفات والتصحيفات وفي هذا يقول((وقعت في يدي نسخه من كتاب أساس البلاغة ... أرى فيها من التصحيفات ما لأحد رخص قي إهماله ، ومن التحريفات ما لا أصادف في ديني نسخة في إغفاله،فان تفضل سيدنا–أدام الله أيامه– بإيفاد المجلدة الأولى من النسخة المقرؤه على الإمام السعيد جار الله –قدس روحه– لأقابل سقيمة بصحيحة ،وأبالغ في تقويمه وتصحيحه،حاز مني شكرا طويل الذيل))(9).

لذا كان اعتماد الصحابة من بعد ذلك على الحفظ والضبط في القلوب من غير الاهتمام بالكتابة من اجل الحفاظ على هذا العلم كحفظهم لكتاب الله –سبحانه وتعالى– ونتيجة لاتساع رقعة الدولة العربية الاسلاميه وانتشار الإسلام في الأمصار واتساع الأقطار وتفرق الصحابة في الأمصار وقل الضبط أمست الحاجة إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتاب،من خلال وضع قواعد عامه لأخذ العلم من الشيوخ منها: السماع ،والإجازة،والقراءة،والمناولة،والكتابة،والوجاده،والسماع على الشيخ بقراءة غيره(10)،لذا كان لعلماء الحديث الفضل في ضبط رواياته ووضع الأسس العامة لتلك الروايات وأصولها وقواعدها ورجال الحديث وألقابهم وكناهم وتبيان المشتبه منها فقدموا بذلك منهجا واضحا ومتكاملا كان له أثره على أصحاب العلوم الأخرى الذين تأثروا بمنهجهم هذا(11)، وكان من جراء ذلك ظهور مؤلفات عده في هذا الجانب هدفها الأساس تحقيق من كتب الحديث،سنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:الرامهزي في كتابه"المحدث الفاصل بين الراوي والواعي" الذي أشار في كتابه هذا إلى القواعد المثلى للكتابة وما يتعلق بها من قضايا فنية منها معالجة الخطأ والنقط والشكل والتبويب (12).ويوصي الخطيب البغدادي على من يحفظ علمه بقلبه أن يخطه من باب تقييد العلم كما يقول ((... وعظمت في العلم منزلته،وعلى حفظه معولة،ومن عجز عن الحفظ قلبه فخط علمه في كتبه كان ذلك تقييدا منه له كتابة امن من قلبه،لما يعرض للقلوب من النسيان،وينقسم من طوارق الحدثان))(13)،وهنا نقف عند مسألة تقييد العلم وكثرته لأنها دعت علماء الحديث إلى التدقيق والتحقيق من خلال الكتابة ،كما يقول القاضي عياض ((فالحال اليوم داعية للكتابة لانتشار الطرق،وطول الأسانيد،وقلة الحفظ،وكلال الإفهام))(14)، ومن اجل الحاجة إلى معرفة أنواع الحديث الذي يحتاج إليه الطلبة كما يقول الحاكم النيسابوري كان ذلك دافعه إلى الكتابة قائلا((... دعاني ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف يشتمل على ذكر أنواع علم الحديث مما يحتاج إليه طلبة الأخبار والمواظبون على كتابة الآثار...)) (15)،أما القرطبي الذي عزز موقفه من هذا الفن إذ افرد له بابين في كتابه" جامع بيان العلم وفضله"،الذي أشار فيه إلى بابين تخص فن التحقيق هي: باب معارضة الكتابة أو مقابلته،وأكد فيه على أهمية هذا الموضوع لان الكتاب إذا لم يقابل خرج أعجميا(16)،وباب آخر دعا فيه إلى إقامة اللحن في الحديث وذكر اختلاف العلماء في ذلك(17)،وابن الصلاح الذي أكد في كتابه "معرفة أنواع علوم الحديث"،أو "مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث" على ألمقابله وإصلاح الخطأ وعلاج السقط والزيادة(18)، والعاملي الذي أشار إلى آداب الكتاب من خلال كتابه "منية المريد في آداب المفيد والمستفيد"، غالى التصحيح والضبط والوضع والحمل والشراء وغيرها مما ينصب في آداب الكتابة والكتب(19)،والمح ألغزي في

كتابه"الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد"، إلى الأدب مع الكتب التي هي آلة العلم من خلال التصحيح والوضع والضبط والحمل والشراء ونسخها متناولا فيها فائدة الكتاب ونسخه وإعارته والكتابة على هوامش الكتب واعتبار الكتب وآداب الناسخ وغيرها(20)،أما العلموي الذي قدم حصيلة موجزة لما قدمه من سبقه من العلماء في مناهجهم لتحقيق النصوص في كتابه" المعيد في أدب المفيد والمستفيد"(21).

وهذه خلاصه مفيدة لتجارب بعض علمائنا العرب القدامى في الخوض في هذا المجال الذي قادهم إلي القيام بوضع الأسس ألعامه لفن تحقيق النصوص مستندين في ذلك على ما اختمر لديهم من نتائج كان لها أثرها في إرساء منهجية لهذا الموضوع.

ثانيا: الاتجاه المنهجي لتحقيق النصوص

يقوم هذا الموضوع على أساس دراسة الضوابط والمحددات التي وضعها علمائنا في التحقيق الذي كان مرتبطا بالأسس المنهجية التي ارسوا قواعدها من خلال مؤلفاتهم التي وظفوها لهذا العمل الشاق فكان لهم الفضل في إرساء دعائمه الأولى ومن هذه الاتجاهات المنهجية التي يجب الالتزام بها عند تحقيق نص المخطوطة بالنسبة لطالب العلم أن يتوخى الدقة في النص الذي ينسخه ولاسيما إذا تعددت النسخة واختلفت القراءة في مواضع منه

وداخلة التغيير.... وهذه جمله من الأسس المنهجية التي أرسى قواعدها علمائنا العرب القدامى وهي على النحو الآتي:

1- المقابلة بين النسخ بعد اختيار الأصل

على الباحث التدقيق في اختيار الأصل إذا كان النص متعدد النسخ بعد التحقق من صحة نسبته ،أي التحري من صحة النص باستعمال المقابل لها و المعارضة ،وهي من طرق حمل العلم عند العلماء ،وذلك بان يقابل الطالب أصله بأصل شيخه من حفظه أو مت كتابه،كما يقول القاضي عياض بمنتهى الدقة في هذا المجال ((فليقابل نسختيه في الأصل بنفسه حرفا حرفا حتى يكون على ثقة ويقين في معارضتها به ومطابقتها له،،ولا ينخدع في الاعتماد على نسخ الثقة العارف دون مقابله،ولا على نسخ نفسه لسيده ما لم يقابل ويصحح،فأن الفكر يذهب والقلب يسهو والنظر يزيغ والعلم يطغى))(22)،ويوصي القاضي عياض على طالب العلم أن يشك في كل مايكتبه وهو مانسميه(الشك في النص)،كي لاينخدع في الاعتماد على نسخ الثقة العارف من غير مقابله(23)،والعاملي الذي أشار إلى أهمية المقابلة إذا توافرت للباحث نسخ كثيرة مشترطا على طالبه مقابلة كتابه بأصل صحيح موثوق به(24)،ولاسيما إن نسخ النص قد تتعدد وأصحها مايرويه العالم الملتزم فيما سبق من تدقيق،كما يقول ياقوت الحموي في معجم الأدباء في ترجمة المفضل الضبي((وله المفضليات وهي أشعار مختارة جمعها للمهدي وفي بعض نسخها زيادة ونقص وأصحها التي رواها عنه أبو عبد الله بن الإعرابي))(25).

2- إصلاح الخطأ

يجب على المحقق الاتصاف بالامانه قي نقل النص واحترامه لان الامانه العلمية من صفات المحقق ،إذ لايجوز له أن يتصرف من نفسه بالنص من غير التقييد ببعض المحددات والأسس لعمله هذا ،أي الإبقاء على النص كما هو من غير تبديل أو أصلاح ،كما يقول القاضي عياض((الذي استمر عليه عمل أكثر الأشياخ في نقل الرواية كما وصلت إليهم وسمعوها ولا يغيرونها في كتبهم حتى طردوا ذلك في كلمات من القرآن استمرت الرواية في الكتب عليها بخلاف التلاوة المجمع عليها...لكن أصل المعرفة منهم ينبهون علي خطئها عند السماع والقراءة وفي حواشي الكتب ويقرؤن ما في الأصول على مابلغهم ومنهم من يجسر على الإصلاح))(26)،وكذلك هناك ضرورة لإصلاح الخطأ الواقع في الاقتباسات القرآنية إذا كان مغلوطا أو ملحونا على أن لايكون قراءة(27)،أما الحديث فيتصل بإصلاح النص وذكر الرموز التي كانوا يستعملونها ،كما يقول القاضي عياض((

كتب كذلك ليفرق بين ما صح مطلقا من جهة الرواية وغيرها وما صح من جهة الرواية دون غيرها فلم يكمل عليه التصحيح،وكتب حرف ناقص على حرف ناقص إشعارا بنقصه ومرضه مع صحة نقله وروايته...))(28).

3- علاج السقط والزيادات

تحدث هذه الظاهرة عند النسخ باستدراك مايسقط سهوا ،إذ يتم وضعه في حاشية الصفحة وعدم إقحامه بين السطور ويسمى ((اللحق)) أي الإشارة إلى مكانه من النص ((علامة الإلحاق)) أو علامة الإحالة،وهي خط مائل يخرج من موضع السقط ويمال تحو يمين الصفحة( ) إذا كتب الساقط المستدرك على حاشية اليمين والى اليسار( ) إذا كتب في يسارها ويكتب في آخر المستدرك علامة (صح)(29)، وهناك ضوابط أخرى لمعالجة هذه الحالة وضعها علمائنا القدامى منها مقابلة طرف التخريجين كما يذكر العاملي(30).

أو كما يشير ابن جماعة أن يحسب الساقط في التخريج وما يجيء منه من الأسطر قبل أن يكتبها(31)،أو عدم توصيل الكتابة والأسطر بحاشية الورقة بل ترك مقدارا يحتمل الحك عند حاجته مرات(32)،والخروج إلى الجهة اليمنى عندما يضيق المحل لقرب الكتابة من طرف الورق أو للتجليد(34)،أو ليكن كتب الساقط من أي جهة كان التخريج صاعدا لفوق إلى أعلى الورقة لا نازلا به إلى أسفلها لاحتمال تخريج آخر بعد فلا يجد له محلا مقامه(35).

4- علاج الزيادة

وهناك طرق عده يخلصون النص فيها عند علاج الزيادة هي أما الكشط أو الحك ، ومنها المحو أي إزالة الزيادة من غير محو ويتم ذلك بالسكين ونحوها، على أن يتم المحو أي الازاله بغير سلخ كما يرى ابن جماعة في ذلك((إن في المحو الحك تهمة وجهالة في ما كان أو كتب وافسد ماينفذ إليها فأضعفها،فأن كانت إزالة نقطة أو شكله والحق أولى))(36)، والضرب الذي يعد أجود من الكشط والمحو ولاسيما في كتب الحديث لان كل منهما يحرك تهمة وربما افسد الورق كما يذكر المرادي(37).

5- علاج الحروف المتشابه

لقد أكد العلماء العرب على أهمية هذا الموضوع باستعمال النقط للتفريق بينها ،هو النقط الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي(ت69هـ)،نقط الأعراب لضبط أواخر الكلام وشكلها بالحركات جاء بعده نصر بن عاصم(ت88هـ) الذي وضع نقط الاعجام ،وقد أبدل ماقام به أبو الأسود الدؤلي الخليل بن احمد الفراهيدي(ت175هـ) بالحركات المعروفة وبها تكامل رسم الخط العربي(38)، وهذا الأمر أكد عليه علمائنا من ناحية الضبط والشكل في الكتب فقالوا كما نقل المرادي((إذا صح الكتاب بالمقابلة فينبغي أن تضبط مواضع الحاجة فيعجم المعجم،ويشكل المشكل ويضبط المشتبه ويتف مواضع التصحيف))(39)، ولهم في ذلك قواعد خاصة صاغها علمائنا منهم القاضي عياض الذي يقول((... إنما يشكل المشكل ، وأما النقط فلابد منه واختلفوا في الشكل فقالوا يجب شكل ما أشكل وما لا يشكل لأنه الصواب لاسيما للمبتدئ وغير المتبحر في العلم فانه لا يمكن ما أشكل مما لايشكل ولا صواب وجه لإعراب الكلمة من خطائه))(40)،وضبط الاسم الملتبس في الحاشية(41)،وضبط الحروف المعجمة بالنقط أما المهملة فوضعوا لها قواعد في ضبطها(42).

6- عمل الحواشي

تكمن اهمية في تحقيق نص المخطوط لأنه من مكملات التحقيق في كل اتجاهاته ،لذا أشار العلماء إلى كتابتها ونتيجة لذلك وضعوا لها قواعد وأسس منهجيه لهذا الغرض ،كما يشير العلموي إلى ذلك قائلا((ولا باس بحواش من فوائد متعلقة به، ولا يكتب في آخره(صح) بل ينبه عليه باشاره للتخريج وبعضهم يكتب على أول المكتوب في الحاشية(ح) ولا ينبغي أن يكتب إلا الفوائد المهمة المتعلقة لذلك الكتاب والمحل مثل تنبيه على إشكال أو احتراز أو رمز أو خطا ونحو ذلك،ولا يسوده بنقل المسائل والفروع الغريبة ولا يكثر الحواشي كثرة يظلم فيها الكتاب))(43)، أي لاباس بكتابة الحواشي التي تساعد قي التنبيه على الأشكال أو الخطأ(44).

7- علامات الترقيم والرموز والاختصارات

وهي من القضايا التي ركز عليها علمائنا العرب المسلمين في المساعدة على توضيح الكتابة إذ لم تكن تخلو كتاباتهم من هذه العلامات ،كما أشار العلموي غالى بعض الأسس في علامات الترقيم التي كانت مستعملة وكذلك الرموز قائلا((وينبغي أن يفصل بين كل كلامين أو حديثين بدائرة أو قلم غليظ ولا يصل الكتابة كلها على طريقه واحده؛لما فيه عسر استخراج المقصود ورجحوا الدائرة على غيرها صورتها هكذا <*>))(45)، أما علامات التنصيص فلم يستعملوها وإنما استعملوا مايدل عليها كما يقول العلموي((ومن فعل شيئا من ذلك في تأليف بين اصطلاحه فيه ولا مساحة في الاصطلاح في ديباجة الكتب ليفهم الخائض فيه معانيها، وقد فعل ذلك

جماعة من الايمة لقصد الاختصار ونحوه))(46)، أما الاختصار فقد شاع لدى علماء الحديث باستعمال ((واخبرنا))و((أنا))و((حدثني))و ((ثني)) و((ثنا ثنا))(47). اذ يقول السيوطي في الفيته :

وكتبوا حدثنا ثنا ونا ودثنا ثم أنا اخبـــرنا

ا وارنا أو ابنا أو أخنا حدثني قســـها على دثنا

وقال قافا مع ثنا أو تفرد وحذفها في الخط أصلا أجود (48).

8- الكتابة والخط والقلم

أكد علمائنا على أهميه الكتابة والعناية بها وان يكون الخط جيدا والقلم الذي يمثل أداة الكتابة أن يكون له نصيب من العناية كي يخرج العمل على أتم وجوه الدقة ، فالكتابة كما يقول ابن جماعه((...يقصد بعض السفرة الكتابة الدقيقة خفة المحمل،فهذا وان كان قصدا صحيحا إلا إن المصلحة الفائتة في آخر الأمر أعظم من المصلحة الحاصلة فيه يخصه أكمل،ولان الكتابة الدقيقة لاينتفع بها حتى كاتبها ادر بما ضعف فلا يندفع بكتابته))(49)،واهتم علمائنا بالقلم لأنه أداة الكتابة ووضعوا له من الشروط عند الكتابة على النوع كما يقول المرادي((... أن لايكون صلبا..))(50).

9- علامات الترقيم

لم يهمل علمائنا القدامى علامات الترقيم التي تعرف اليوم بالرموز والاختصارات ،فقد وضعوا رموزا خاصة بهم،كما يقول الغزي((... مايختصر بعضه ولا يتعين فيه قراءة ذلك البعض ولا أصله وهو الرموز إلى اصطلاح خاص بذلك الكتاب كما يرسم الكثير من كتب الحديث المختصرة منها: البخاري= خ، مسلم= م،أبو داود=د...))(51)،معززا ذلك في مدى إدراك المرء على فهم الخائض من معانيها كما يقول((... ومن فعل شيئا من ذلك بين اصطلاحه فيه في فاتحة الكتاب ونحوها ليفهم الخائض من معانيها...))(52).

الخلاصة

مما تقدم نخلص إلى إن جهود علمائنا العرب القدامى في مجال تحقيق النصوص التي أثمرت أسس وقواعد عامه وضعوها لأجل هذا العمل وفق سياق منهجي قائم على أساس الدراسة والتحليل والدقة في تناول هذا العمل الذي أصبح أساس لكل محقق إلى يومنا هذا،أي كانت لهم عناية فائقة بالمخطوطات والعمل فيها لتكون اقرب إلى الصورة التي كتبها مؤلفها،لذا أفرزت جهودهم في هذا المجال مؤلفات عده قدموا فيها المعالجات الفنية لهذا العلم الذي لم يتركوا ثغره فيه إلا وقدموا لها المعالجات والاقتراحات كل واحد من وجهة قام بها وقدم لها ما أفرزت خبراته في هذا الاتجاه وفق صياغات منهجيه قابلة للموازنة والتطبيق،أي إن ماقدموه مثل مرحلة متطورة في فن التحقيق الذي استقر ووضحت معالمه على أيديهم أي وضعوا قواعد التطبيق الأساسي لهذا العمل منها: المقابلة بين النسخ، أصلاح الخطأ وتقويم اللحن وعلاج السقط والزيادات والضبط والشكل وصنع الحواشي والكتابة والخط وأخيرا الاهتمام بأداة الكتابة القلم.

الهوامش

1- الجاحظ:أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ)،من رسائل الجاحظ،تحقيق عبد السلام هارون1385هـ،1/338-339؛هارون:عبد السلام، تحقيق النصوص ونشرها،ط2(القاهرة،المدني،1965م)،ص39.

2- ابن منظور: (ت711هـ)،لسان العرب،(بيروت،دار صادر)،11/333(مادة حق).

3- حسان:د.محمد،ملامح من فن تحقيق المخطوطات،(شبكة الالوكه،2010م)،صص1-6.

4- عبد التواب:رمضان، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين،(القاهرة،المدني،1986م)،ص7؛ روزنثال :فرانز،مناهج المسلمين في البحث العلمي،(بيروت،دارالثقافه،1983م)،ص4.

.

5- هارون:م.ن،ص44.

6- عبد التواب:رمضان ،مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين،(القاهرة،دار الثقافة ،1983م)،ص4؛روزنثال :فرانز، مناهج المسلمين في البحث العلمي ،(بيروت ،دار الثقافة،1983م)،ص4.

7- روزنثال:م.ننص4.

8- عبد التواب م.ن،ص15.

9- الوطواط:رشد الدين أبي بكر محمد بن احمد البلخي(ت573هـ)،مجموعة رسائل،(القاهرة،المعارف،1315هـ)،2/67.

10- الخطيب البغدادي:احمد بن علي بن ثابت(463هـ)،تقييد العلم،تحقيق يوسف العش،1974،ص28.

11- القاضي عياض:القاضي ابن موسى اليحصبي(544هـ)،الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع،تحقيق السيد احمد صقر،(تونس،1970م)،ص28.

12- الحاكم النيسابوري(ت405هـ)، معرفة علوم الحديث،تحقيق د.معظم حسين،(بيروت،1977م)،ص2.

13- ابن الصلاح،الشهر زوري(616هـ)،مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث،تحقيق د.بنت الشاطئ،(القاهرة،1976م)،ص245؛نصر:الصديق بشير،ضوابط الرواية عند المحدثين،(طرابلس،1992م)،ص191.

14- عبد التواب:م.ن،صص25،16.

15- مجلة معهد المخطوطات العربية،القاهرة،168/1.

16- القرطبي:ابن عبد البر(ت463هـ)،جامع بيان العلم وفضله،(بيروت،دار الكتب العلمية)،77/1.

17- م.ن،78/1.

18- مقدمة ابن الصلاح، صص 313،315،310-339،316.

19- العاملي:زين الدين(ت954هـ)، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد،(القاهرة،بولاق)،ص162,

20- م.ن،ص177.

21- م.ن،ص170.

22- القاضي عياض:م.ن،ص159.

23- م.ن.

24- م.ن،ص170.

25- ياقوت الحموي:عبد الله بن حليم الرومي(ت626هـ)،معجم الأدباء،نشر احمد فريد رفاعي،(القاهرة ،مكتبة عيسى البابي الحلبي)،167/19.

26- القاضي عياض:م.ن،ص25.

27- المرادي:م.ن،ص131.

28- مقدمة ابن الصلاح،صص315-316.

29- ابن جماعة:بدر الدين الكناني(ت733هـ)، تذكرة السامع والمتكلم لآداب العلم والمتعلم،طبع مع كتاب آداب المعلمين،ص341.

30- منية المريد،ص170.

31- تذكرة السامع،ص341.

32- م.ن،

33- م.ن.

34- م.ن.

35- القاضي عياض:م.ن،ص170.

36- تذكرة السامع،ص342.

37- منية المريد،173.

38- روزنثال:م.ن،ص44.

39- منية المريد،ص171.

40- القاضي عياض:م.ن،ص150.

41- م.ن،ص154.

42- المرادي:م.ن،ص172،171.

43- العلموي:عبد الباسط ابن موسى،المعيد في أدب المفيد والمستفيد،(دمشق،1249هـ)،ص139.

44- ابن جماعة:م.ن،ص157.

45- المعيد،ص38.

46- م.ن،ص39.

47- م.ن.

48- السيوطي:عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين(ت911هـ)،ألفية السيوطي،دار البصائر،ص41.

49- تذكرة السامع والمتكلم،صص239،229.

50- المرادي:م.ن،ص169.

51- الدر النضيد،صص331-332.

52- م.ن.

من أجل مقاربة جديدة لتحقيق المخطوط

د. لطيفة عبّو جامعة تلمسان

مقدمة:

إنّ الحمدَ لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأشهدُ أنّ محمّدا عبده ورسوله، أمّا بعد:

يقول عبد المجيد دياب: "تراث كلّ أمّة هو رصيدها الباقي، وذخيرتها الثابتة ومدّخرها المعبّر عمّا كانت عليه من تقدم في كلّ مجالات الحضارة والثقافة"[1].

امتنّ الله على المسلمين أن بعث فيهم علماء صالحين وهبوا أنفسهم وأموالهم لخدمة التراث فعكفوا على تقريب العلوم العربية المختلفة ونشرها بين الناس ولا نزال نذوق جمال ذلك التراث الثمين ونتنفس ونملأ به صدورنا وعقولنا فإنها متعة وأيما متعة...".

هذا التراث الضخم... جدير أن نقف أمامه وقفة الإكبار والإجلال، ثم نسمو برؤوسنا في اعتزاز وشعور صادق الفخر والغيطة والكبرياء...".

رغم أنف الكائدين، وأعتقد أن الحاجة العلمية لبحث التراث العربي الإسلامي ما زالت قائمة على الرغم من المجهودات العلمية التي بذلها علماء عرب وأجانب منذ وقت بعيد وحتى اليوم وعليه في هذه المداخلة سأحاول التفتيش والبحث بين صفوة رجال الأمّة العربية لتقدير ما قاموا به من أعباء خير قيام وتثمين ما قدّموه من مردود وإنتاج في نقل علم تحقيق النصوص ونشرها ولربّما كان البعض يظنّ بل هم على يقين بأن علم التحقيق ما أصبح علما قائما بذاته له مناهجه وطرائقه وقواعده ومؤلفاته إلاّ مع بزوغ علم آخر جديد من هذا العلم وهو علم المخطوطات الكوديكولوجيا[*].

يقول شوقي ضيف: لقد كانوا يعرفون كل القواعد العلمية التي نتبعها في إخراج كتاب لا من حيث رموز المخطوطات فحسب بل أيضا من حيث اختيار أوثق النسخ لاستخلاص أدق صورة للنص، ولعل خير ما يمثل عملهم في هذا الجانب إخراج اليونيني حافظ دمشق المشهور في القرن السابع الهجري لصحيح البخاري[2].

تأكيد الدكتور شوقي ضيف لمنهج اليونيني في علم التحقيق حجة دامغة واعتراف بالسبق والأوليّة لعلمية المنهج اليونيني في فنّ التحقيق انطلاقا من هذا الاعتراف سأعقد مقاربة بين اليونيني كشاهد عن التطور

---

1)- تحقيق التراث الغربي: منهجه وتطوره عبد المجيد دياب، ص9، القاهرة، 1983م.

*)- الكوديكولوجيا: العلم الّذي يدرس الكتاب والمخطوط أي علم آثار الكتاب، ومعنى ذلك أنّه يهتمّ بدراسة مختلف مظاهر الصّناعة المادية الأولية للكراس أو المخطوط. ينظر: مدخل إلى علم المخطوط، جاك لومبير، ترجمة مصطفى طوبي، ط1، الوراقة الوطنية، المغرب.

2)- مجلة المجلة العدد الأوّل سنة 1965. عنوان تحقيق تراثنا الأدبي.

العلمي في حقل التحقيق وبين المنهج الهاروني (عبد السلام هارون) كشاهد عن الاستمرارية في مسار التطور والرقي في حقل التحقيق أيضا.

وتكون البداية بالمنهج اليونيني:

أوّلا: من هو اليونيني:

"ولد أبو الحسين علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن علي اليونيني الحنبلي ببعلبك في حادي عشر من رجب سنة إحدى وعشرين وستمائة 621"[1].

والده: واليونيني سليل أسرة علمية عظيمة، فأبوه الشيخ الفقيه الحافظ، تقي الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن علي اليونيني البعلبكي الحنبلي المولود سنة 572 ببلدة يونين[2].

شيوخه: نشأ اليونيني في حجر والده الإمام العلامة فأسمعه أبوه الكثير، وكان أبوه يحضره مجالس البهاء عبد الرحمن للسماع لما ابتدأ يصلح لحضور مجالس العلم لو كانت هذه طريقة أهل العلم في إحضار أبنائهم الصغار لمجالس كبار العلماء، وتحصيل الإجازات لهم رغبة في علو السند..."[3].

وسمع من ابن صباح، وابن اللّتي والإربلي، وجعفر الهمداني، وموسى بن محمد صاحب دمشق وعن بالحديث وضبطه وبالفقه واللّغة، وحصّل الكتب النفيسة، وكان وقته عظيم النظير في بابه حسن الملتقى بلا ملق، جاريا على سجيته على المكارم دينه متين، وهديه كمبين كثير الهيبة، يحفظ أصحابه في الحضور والغيبة وكان مقبول القول والصورة[4].

منهج اليونيني في كتابة أصل صحيح البخاري:

- السماع[*].

---

1)- الدرر الكامنة، ج3، ص58 دار الكتب العلمية بيروت 1418، أيضا شذرات الذهب من أخبار من ذهب لابن العماد، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، ط1، دمشق- سوريا.

2)- يونين: نسبة إلى قرية يونين إلى الشمال من بعلبك يونان أيضا من قرى بعلبك ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج5، ص517، دار الكتب العلمية 1410، بيروت.

3)- ينظر: ذيول العبر الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد بسيوني زغلول، ج4، ص5، دار الكتب العلمية، بيروت.

4)- ينظر: الدرر الكامنة، ج3، ص58.

*)- اتجه علماء الحديث إلى العناية بإثبات السماعات على كتب الحديث بعد أن أصبح الاعتماد في نقل السنة على المصنفات التي تجمع بين دفتيها قدرا كبيرا من الأحاديث النبوية، ولذا أصبح من المألوف أن تجد في كتب الحديث وأجزائه سماعات عديدة للعلماء وطلاب العلم يثبتون فيها سماعهم بهذه الكتب أو الأجزاء عن مؤلفيها، أو روائها أو غيرهم من أهل العلم، وذلك بأسانيدهم إلى ما تلقوا عنه والهدف من ذلك يكمن في توثيق النص وإثبات تلقيه من مصدره أو مصدر موثوق به، وإثبات حق الأطراف التي شاركت فيه بأنّها سمعت هذا الأصل وأن لها الحق في روايته وإجازته للآخرين. تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، ص305، مكتبة الملك فهد الوطنية 1415، الرياض.

- إسماعه.

- الحفظ والاستظار أمّا ئلة من العلماء.

- جمع من نسخ صحيح البخاري ما لم يجمع لغيره في زمانه.

- عقد واحدا وسبعين مجلسا لضبط نص الكتاب، وتوثيق فروق النسخ، ويوجهها وجملة من أفاصل علماء الحديث ينظرون في نسخ موثقة بين أيديهم أمثال ابن مالك، وهذا ما يعرف عند المحقّقين بإصلاح الخطأ، ويقيدون ما يقول حتى تمّ الكتاب وعرفت النسخة التي بين يديه بالنسخة الأصل والنسخ التي كتب عنها يصدر عرضها بالنسخة الفرع.

وفاته: توفّي اليونيني في شهر رمضان سنة 701هـ[1].

منهجه في التحقيق:

- المقابلة بين النسخ: كان اليونيني يقابل بين النصوص المختلفة الواردة في النسخ حيث اجتمع له رحمه الله أربع عشرة نسخة من نسخ صحيح البخاري مع أصلي سماعي الحافظ أبي محمد المقدسي.

لتحقيق الرواية والوصول بتلك النّصوص إلى الدرجة القصوى من الصحة، يقول رمشان عبد التواب في كتابه مناهج تحقيق التراث بين القدماء والمحدثين، أنّ العرب قد سبقوا علماء أوروبا إلى الاهتداء للقواعد التي يقابلون بها بين النّصوص المختلفة لتحقيق الرواية... ويمثّل لذلك بصنيع اليونيني في تحقيق روايات صحيح البخاري[2].

الخطوة الثانية التي كان يتبعها اليونيني في منهج تحقيقه للصحيح البخاري بإعطاء رمز لكل النسخ التي كان يقابل بها.

وهذا من عمل رجال الحديث يقول الدكتور دياب أنّ رجال الحديث كانوا يضعون رموزا لنسخهم في كثير من الأحيان مثل الحافظ اليونيني الّذي أخذ بهذا النهج في نسخته (صحيح البخاري) إذ قابلها على عدة نسخ وكان يرمز لاختلاف النسخ برموز تماما مثل ما يفعل المحقّقون المعاصرون، وكان يشير إلى المكتبة التي كانت توجد فيها مخطوطات صحيح البخاري[3].

ثانيا: من هو عبد السلام هارون:

مولده: ولد عبد السلام هارون في الإسكندرية عام 1909، ونشأ في بيت كريم من بيوت العلم فجده لأبيه هو الشيخ هارون بن عبد الرازق عضو جماعة كبار العلماء.

---

1)- ينظر: تذكرة الحفاظ الذّهبي، ج4، ص1440، دار المعارف الهندية.

2)- ينظر: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، رمضان عبد التواب، ص13، مكتبة الخانجي، 1406، القاهرة- مصر.

3)- ينظر: تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره، عبد المجيد دياب، ص70.

أبوه: هو الشيخ محمد بن هارون كان يتولى –عند وفاته– منصب رئيس التفتيش الشرعي في وزارة العدل. أمّا عمّه هو الشيخ أحمد بن هارون الّذي يرجع إليه الفضل في إصلاح المحاكم الشرعية ووضع لوائحها.

تربيته: تربّى في كنف أبيه فحفظ القرآن والكتابة والتحق بالازهر عام 1921 حيث درس العلوم الشرعية والعربية، ثمّ التحق بتجهيزية دار العلوم في 1924 وتلمذ فيها للشيخ محب الدين الخطيب...[1].

نال الباكالوريا في عام 1928 من دار العلوم، ثمّ أتم دراسته في دار العلوم العليا في عام 1932 بعدها عين مدرّسا لتعليم الابتدائي.

في عام 1945 عيّن مدرسا أول بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية وفي عام 1950 نقل أستاذا مساعدا بكلية دار العلوم بالقاهرة، ثم عين رئيسا لقسم النحو بها في عام 1959، وفي عام 1966 سافر إلى الكويت وأسهم في تأسيس جامعتها، وأسس قسم اللّغة العربية وقسم الدراسات العليا بها ورأسهما حتى عام 1975.

وفي عام 1969 اختير عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ثم انتخب أمينا عاما للمجمع في عام 1984، حصل على الجائزة الأولى لمجمع اللّغة العربية في التحقيق والنشر عام 1950 وعلى جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العالمي عام 1981[2].

علمه ونشأته: "حقق كتاب متن الغاية والتقريب: للقاضي أبي شعاع الأصفهاني في سن مبكرة السادسة عشرة من عمره عام 1925 وقرر هذا الكتاب رسميا على الطلاب آنذاك وكتب عليه: ضبط وتصحيح ومراجعة الشيخ عبد السلام هارون"[3].

"والشيخ هارون يعدّ من أكبر المحققين المثابرين في عصره، وأشهرهم، لغزارة إنتاجه في التحقيق إذ حقق نحو مئة وخمسة عشر كتابا، كما أن له مؤلفات كثيرة تزيد على اثنى عشر كتابا، وبعض كتبه وتحقيقاته يقع في مجلدات، كما له بحوثا ومقالات منتشرة في المجلات والدوريات العربية ويعده بعض الباحثين في المرحلة الرابعة من مراحل تحقيق التراث العربي عموما وفي مصر خصوصا بعد مرحلة المطبعة الأهلية ومطبعة بولاق، ومرحلة الناشرين النابهين، ومرحلة دار الكتب المصرية"[4].

---

1)- قطوف أدبية دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، عبد السلام محمد هارون، ص4، مكتبة السنة، ط1، 1988، القاهرة- مصر.

2)- ينظر: المرجع السابق، ص45.

3)- ينظر: المرجع السابق، ص95-96.

4)- مدخل إلى تاريخ نشر التراث، محمود محمد الطناجي، ص90، الخانجي القاهرة، ط1، 1984/1405.

وفاته: توفي الشيخ عبد السلام هارون رحمه الله في القاهرة في شهر أبريل سنة 1988، بعد حياة علمية حافلة في خدمة للتراث العربي، يقول الطناحي فيه: "إنّه لم يخط أحد في التراث سطرا إلاّ ولهذا الرّجل عليه منّة، وذلك أنّه لا تكاد تجد قائمة مراجع تراثية إلاّ وفيها من تحقيقات شيخنا"[1].

منهجه في التحقيق:

– تبدأ عملية التحقيق عند عبد السلام هارون بأوّل خطوة وهي فحص النّسخ وقد نسمّي هذه الخطوة ما قبل عملية التحقيق، فهو ينبّه على دارس النسخة الأصلية من المخطوط أن يدرس الورقة ليتحقّق من عمرها، ولا ينخدع بالتواريخ التي قد تكون مزيّفة ولا بآثار العثّ والآرضة، لأنّها ليست دلالة قاطعة على القدم.

– دراسة خط النسخة الأصلية جيّدا واطّراده في النسخ كلّها.

– دراسة المداد الّذي كتبت به النّسخة الأصلية.

– دراسة عنوان المخطوط وأيضا ما على المخطوط من إجازات وسماعات وتمليكات وقراءات وتعليقات وغيرها.

– النّظر في أبواب الكتاب وفصوله وأجزائه حتى يستوثق من كمال النسخة وصحّة ترتيبها مع الانتباه إلى ما قد يثبت في أواخر الصّفحات اليمنى من التعقيبات، وأيضا النّظر في خاتمة الكتاب لعلّه كتب فيها اسم النّاسخ وتاريخ النّسخ وتسلسل النّسخة[2].

الخطوة الثانية نمثّلها في عملية التحقيق عند عبد السلام هارون تبدأ بتحقيق العنوان ثمّ تحقيق اسم المؤلّف وبعدها تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلّفه وتنتهي إلى تحقيق متن الكتاب.

وبهذا يتلخّص منهج التحقيق عند عبد السلام هارون في هذه النّقاط المعروضة سابقا.

وما يأتي بعد ذلك أرى أنّها جملة من المعارف قدّمها عبد السلام هارون لإتمام فنّ التحقيق بالنّسبة للّذين يتعلّمون هذا الفنّ وهذا نتاج عن غزارة علم الرّجل في فنّ التحقيق وأيضا عن كثرة ممارسته له.

السّؤال الّذي نطرحه في هذا المقام؛ أين يلتقي اليونيني وعبد السلام هارون في علم التحقيق؟

عند قراءة لكتاب عبد السلام هارون (تحقيق النّصوص ونشرها) وجدت أنّ هذا الأخير في عرضه للصّعوبات التي تواجه المحقّق وتعرقل عملية التحقيق بذكر الطّريقة المثلى لمعالجتها حيث يقسّم ذلك إلى أهداف محدّدة منها:

– جمع أكبر عدد ممكن من نسخ الكتاب ومقابلتها بدقّة وهذا ما وجدناه عند اليونيني حيث اجتمعت عنده (اليونيني) أربعة عشر نسخة من صحيح البخاري فقابل بينها ليتحقّق من صحّتها.

---

1)- المرجع نفسه، ص99.

2)- ينظر: تحقيق النّصوص ونشرها، عبد السلام هارون، ص60، القاهرة، 1374هـ/1954م.

– تكرار قراءة المخطوط حتى يألف الخطّ وذلك ما وجدناه عند اليونيني أيضا كان يقرأ النّسخ (صحيح البخاري) عدّة مرّات.

– اللّجوء للمراجع التي يضنّ أنّ المؤلّف استقى منها أو استقت منه ومقابلة هذا على ذلك، كذلك اليونيني عقد واحدا وسبعين مجلسا حيث كان يجلس ويقرأ النّسخ وابن مالك النّحوي يتابع ويدقّق وينظر في الألفاظ ويوجّهها مع جملة من أفاضل علماء الحديث كانوا يتابعونه وهم ينظرون في النّسخ الموثّقة بين أيديهم.

– التأنّي في فهم النصّ كذلك اليونيني فعل ذلك وتمثّل في قراءته المتواصلة للنّسخ.

– استخراج الفهارس حيث وضع الشيخ عبد السلام هارون لكلّ مفهرس علامة على ما يريد فهرسته، ووجدنا أنّ اليونيني سار على نفس النّهج حيث كان يوثّق فروق النّسخ برقوم (أرقام) يعني رموز، فعلامة أبي ذرّ الهرويّ كان يرمز لها بهذا الرّمز (0) والأصيلي (ص)، وابن عساكل الدمشقي (ش)...إلخ.

– يؤكّد عبد السلام هارون على عملية ضبط النصّ أثناء التحقيق وترجيح لبعض الروايات، كذلك اليونيني فعل ذلك وبالغ في ضبط ألفاظ الصّحيح جامعا فيه أيضا الروايات ومرجّحا لبعضها.

يعدّ اليونيني إمام المحقّقين وقدوة العلماء والمؤلّفين، صاحب الفضل في الحفاظ على صحيح البخاري من الضّياع والتحريف سابق المستشرقين في تحقيق النّصوص وضبطها وموافقتها لطرائق الضّبط والدقّة ومن قبل زمن اليونيني فهذا البخاري إمام أئمّة الحديث يعدّ من المحقّقين البارعين للنّصوص حيث يقول: "ما أدخلت في كتابي إلاّ ما صحّ وتركت من الصّحاح لحال الطّول، فكان يقارن بين الروايات وينظر ويختار على بصيرة وهل التحقيق إلاّ ذلك، لا بل لقد كان البخاري رضي الله عنه نفسه مسبوقا؛ ألم يقل هشام بن عروة عن أبيه أنّه كان يقول: كتبت؟ فأقول نعم. فيقول: عرضت كتابك؟ قلت: لا. قال: لم تكتب"[1].

إنّ العرض في تحقيق النصّ والتثبّت من عدم التصحيف أو التحريف يعدّ من قواعد فنّ التحقيق وهذا ما اكتشفه البخاري وربّما غيره من العلماء.

لقد اكتشف النّاس ضبط النّصوص وتحقيقها من الإمام البخاري ثمّ اليونيني إلى أن جاء عبد السلام هارون وأضاف في قواعد هذا الفنّ الجليل فرحم الله علمائنا الكبار.

إنّ أصول فنّ التحقيق عربية إسلامية محضة ونستشهد على ذلك في نهاية هذا المقال بما قاله رمضان عبد التواب... "يضنّ بعض الباحثين المحدثين من العرب أنّ فنّ تحقيق النّصوص فنّ حديث ابتدعه المعاصرون من المحقّقين العرب أو استقوه من المستشرقين الّذين سبقونا في العصر الحاضر بعض الوقت في تحقيق شيء من تراثنا ونشره بين النّاس، ولكنّ الحقيقة بخلاف ذلك فقط قام فنّ تحقيق النّصوص عند العرب مع فجر تاريخ الإسلام، وكان لعلماء الحديث اليد في إرساء قواعد هذا الفنّ في تراثنا العربي، وتأثّر بمنهجهم هذا أصحاب العلوم المختلفة وإنّ كثيرا ممّا نقوم به اليوم من خطوات في فنّ تحقيق النّصوص ونشرها بدأ من جمع المخطوطات والمقابلة بينها

---

1)- ينظر: مجلّة الجامعة، مجلد 10، العدد 01، ص228.

مرورا بضبط عباراتها وتخريج نصوصها وانتهاء بفهرسة محتوياتها لمّا سبقونا به أسلافنا العظام من علماء العربية الخالدة..."[1].

1)- ينظر: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، رمضان عبد التواب، ص145.

إسهامات المحققين الغربيين في إحياء التراث العربي الجغرافي والرِّحلي

د. سميرة أنساعد أستاذة محاضرة جامعة الشلف

مقدمة:

يُعرف الاستشراق Orientalisme على أنه حركة علمية غربيَّة، سعت إلى دراسة الشرق وثقافته خلال أواخر القرون الوسطى في أوربا، وقد احتضنت هذه الحركة جامعات أوروبية كثيرة في فرنسا وإنجلترا وألمانيا وهولندا،.. وغيرها، واعتنى فيها أساتذتها المتخصصون في اللغات الأجنبية كالعربية، والديانات، واللاهوتية بتأليف بحوث ومقالات وكتب عن الثقافة العربية والدين الإسلامي، ومقارنته بالمسيحية، كما قاموا بترجمة المصادر الإسلامية إلى اللاتينية، وهي التي غدت وسيلة فعالة للنهوض بالذات الغربية، وإحياء العلوم، وإعلاء كلمة العقل، مما أدى إلى حلول نهضة شاملة بأوربا، وهيمنة الفكر التنويري، والنزعة الاستعمارية في ذلك العصر الممتد من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر، ولا تنفصل حركة **الاستعراب** عن الحركة الاستشراقية، إذ ظهرت في فرنسا خلال القرن السادس عشر، واعتنت باللغة العربية وبالحضارة العربية الإسلامية ضمن إطار مؤسسات علمية، كمؤسسة القراء الملكيين في عهد الملك فرانسوا الأول، وقد نمت هذه الحركة شيئا فشيئا حتى غدا التحقيق مع الناشطين فيها عملية علمية دقيقة في منتصف القرن العشرين: **"حتى نشأت طبقة من المحققين العرب الذين تتلمذوا عليهم وتخرجوا بهم في هذا المجال إلى أن ضارعوهم فيه ثم بزوهم سبقا بعد ذلك التاريخ."**[1]

التحقيق الغربي لكتب الجغرافيا والرحلة:

عمل العلماء والأساتذة الغربيون على تحقيق التراث الإسلامي؛ لتعميق المعرفة بالإنسان وبالأرض في البلدان المستعمرة، وكانت البداية مع بحوث فقه اللّغة والأنثربولوجيا، وكتب الجغرافيا والرحلات، التي سعى المترجمون والباحثون الغربيون بواسطتها إلى توفير معارف غنية لحكام المستعمرات الإفريقية والآسيوية عن: **"طرق المواصلات فيها والمرافئ البحرية وما يتوفر فيها من المعادن ومنتجاتها، وأيضا تقاليدها وطرق تفكيرها**

[1] ريجيس بلاشير وجان سوفاجيه، قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها (وجهة نظر الاستعراب الفرنسي)، تر. محمود المقداد، لبنان، سوريا، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ط,1، 1988، ص. 13.

وثقافاتها ومذاهبها، لأن معرفة هذه الأشياء لم تكن تتوفر إلا في كتب الجغرافيا التي صنّفها العرب، وكتب الرحلة التي سطرها الرحالون في مختلف العصور."[1]

وقد اشتدت هذه العناية بكتب الجغرافيا والرحلات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث شرعت المطابع الأوربية تحت إشراف الأساتذة بإعادة طبع ونشر المصادر العربية معتمدين في ذلك على ضوابط استمدوها من العلماء السابقين الذين خبروا مناهج التحقيق اليونانية، واللاتينية، أو العربية القديمة، وهذا ما يجعلنا لا نغفل دور العرب في إنشاء هذا الفن دون استخدام مصطلح التحقيق.[2]

وتزعمت هولندا الحركة الاستشراقية، لشهرة البلد في الملاحة البحرية منذ القرن السابع عشر، ولأسبقيتها في مضمار الاحتلال في الشرق الأقصى، والمحيط الهادي[3]، وساهمت على الخصوص مطبعة بريل منذ تأسيسها عام 1683 في نشر التراث العربي، بالحروف العربية، وتحقيق المخطوطات التي كان يجلبها الرحالون والبحارة والمستكشفون الهولنديون من دول الشرق الأوسط وآسيا، ثم ترجمتها إلى اللاتينية أولا، وبعدها اللغات الحية الفرنسية والإنجليزية والألمانية، وقد ميّز المطبعة تخصصُّها في كتب الجغرافيا والتاريخ وكتب العلوم واللاهوت، ولم تعتن بالموضوعات السياسية، وهو ما جعلها بعيدة عن الصراع القائم بين الشرق والغرب، وقد ارتبطت المطبعة بجامعة ليدن خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فكان من أهم الناشطين فيها الأساتذة والباحثون المهتمون باللغات الشرقية وبالحضارة العربية والإسلامية، مثل رينهارت دوزي، ودي غويه، ومؤسس المطبعة توماس إربنيوس الذي كان بروفيسورا في جامعة ليدن، ومستشرقا ومؤسسا للنهضة الاستشراقية.

وقد أسفرت جهود التحقيق الأولى عن إصدار سلسلة بعنوان "المكتبة الجغرافية العربية" بإشراف المستشرق دي غويه (M. J. De Goeje) المتوفى عام 1909، وتبعه في الترجمة والتحقيق المستشرق الهولندي دوزي (R. Dozy) (1820-1885م) ومجموعة من العلماء الإنجليز والفرنسيين والنمساويين والألمان، ويمكن تعداد أهم أعمال النشر والترجمة التي قام بها أعلام كثر من المستشرقين في سبيل التعريف بالمصادر الجغرافية العربية القديمة، وبالرحلات التي لا تخرج عن نطاق الجغرافيا والتاريخ، وعددها الكبير مع تقدّم الفترة التي أنجزت فيها هذه الأعمال تبرهن على شدة العناية بهذا التراث وبرغبة العلماء الغربيين في معرفة أسرار البلدان المستكشفة، وتمكين حكام بلدانهم من السيطرة على العالم، ومن هذا نذكر ما يلي:

---

[1] إسماعيل العربي، دور المسلمين في تقدّم الجغرافيا الوصفية والفلكية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص. 9.

[2] ريجيس بلاشير وجان سوفاجيه، قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها، وجهة نظر الاستعراب الفرنسي، تر. محمود المقداد، بيروت- دمشق، دار الفكر المعاصر- دار الفكر، ط.1، 1988، ص. 9- 15 (مقدمة المترجم).

[3] المرجع نفسه، ص. 10.

1. نشر شارل باربيي دي مينار (C. Barbier De Meynard) المتوفى سنة 1908م وترجم إلى الفرنسية كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد بن خرداذبه(205هـ/820م- 280هـ/ 912م)[1]، وأعاد نشره وترجمته دي غويه ضمن سلسلته الجغرافية في العدد السادس عام 1889، مستعينا بترجمة باربيي، الذي تفضل بتصحيح عمل دي غويه الجديد.
2. نشر المستشرق جوينبول(T. G. J. Juynboll) مواليد هولندا عام 1882 كتاب البلدان لليعقوبي (ت. 292هـ- 905م) في ليدن سنة 1861م, وفي ليدن أيضاً نشره المستشرق دي غويه سنة 1892م ضمن المكتبة الجغرافية العربية، وفي سنة 1937 حققه ونشره بالفرنسية جاستون فيث.
3. ترجم ج. هـ. موللر إلى اللاتينية كتاب مسالك الممالك للإصطخري (ت. النصف الثاني من القرن الرابع الهجري)، ونشره مختصراً سنة 1830م، ونشره كاملا دي غويه في ليدن سنة 1870م.
4. نشر فرديناند فستنفلد (Heinrich Ferdinand Wüstenfeld) المتوفى سنة 1899م كتاب "**وصف العالم**" أو ما يسمى "آثار البلاد وأخبار العباد" لزكرياء بن محمد القزويني (ت. 682هـ- 1283م)، في جوتنجن عام 1848م.
5. نشر وترجم فستنفلد أيضا "**معجم البلدان**" لياقوت الحموي(ت. 662هـ- 1228م) في ليبزج بألمانيا بين سنتي 1866- 1873م.
6. نشر فستنفلد كذلك كتاب "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع" لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت. 487هـ- 1094م) في جوتنجن سنة 1876م.
7. طبع كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لمحمد الإدريسي (ت. 564هـ - 1160م) مختصراً في روما سنة 1592م باسم «نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق»، ثم ترجم جبرائيل الصهيوني وحنا الحصروني هذا المختصر إلى اللاتينية، ونشراه في باريس سنة 1619م، وترجم كوندي وصف الأندلس إلى الإسبانية، ونشره مع الأصل العربي في مدريد سنة 1799م، ونشر جوبير في باريس جزءاً كبيراً من الكتاب بالفرنسية سنة 1840م، ونشر دوزي القسم الخاص بالمغرب والسودان ومصر والأندلس في ليدن سنة 1864م، وفي ليبزج نشر ميلر وصف فلسطين وبلاد الشام سنة 1882م، وفي روما نشر أمالري الجزء الخاص بإيطاليا سنة 1985م.

[1] IBN KHODADBEH, Le livre des routes et des provinces, Publié, traduit, et annoté par C. Barbier De Meynard, Journal Asiatique, ou Recueil De Mémoires d'Extraits et des notices, Sixième série, tome v, Janvier- Février 1865,p

8. نشر المستشرق البريطاني وليم رايت (1830م- 1889م) رحلة محمد بن جبير الأندلسي(ت. 614هـ - 1217م) في ليدن سنة 1852م، وترجمه إسكيباريلي إلى الإيطالية ونشرها سنة 1900 في روما، ونشرها دي غويه سنة 1907 في ليدن، كما ترجمها أمالري إلى الفرنسية ونشرها في باريس.

9. قام الهولندي رينهارت دوزي بتحقيق وترجمة أعمال العلماء المسلمين في المغرب والأندلس، فوضع معجمًا لألفاظ العربية، وحقق وترجم كتاب "**المعجب**" لعبد الواحد المراكشي.

10. نشر دوزي كذلك القسم الخاص بالمغرب والسودان ومصر والأندلس من كتاب الإدريسي "نزهة المشتاق" في ليدن سنة 1864م.

11. اعتنى جريفز بنشر الجزء المتعلق بخوارزم وما وراء النهر من كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء (ت. 742هـ- 1341م) في لندن سنة 1650م، ونشر المستشرق الفرنسي جان دي لاروك ترجمة جزء من كتاب تقويم البلدان سنة 1918م، وفي ليبزج نشر كويلر الجزء الخاص بالشام من كتاب تقويم البلدان سنة 1966، ونشر المستشرق رايسكة سنتي (1770 - 1771م) أول ترجمة كاملة لكتاب أبي الفداء، وفي عام 1776 نشر ميخائيليس في جوتنجن الترجمة اللاتينية للجزء الخاص بديار مصر مع النص العربي، وفي جوتنجن أيضاً نشر إيخهورن أجزاء تتعلق بإفريقيا عام 1791، وفي عام 1840 نشر رينود ودي سيلان الكتاب كاملاً مترجماً إلى الفرنسية وعرف في الترجمة الفرنسية باسم «جغرافيا أبي الفداء» والذي نشره ثانياً المستشرق الفرنسي جيار سنة 1883م.

12. قام الفرنسي ليفي بروفنسال (Levi Provencal)(1894-1956م) بتحقيق الروض المعطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت. 292هـ).

ويمكن التركيز في هذه المداخلة على أهم جهود المستشرقين في مجال الجغرافيا والرحلات؛ وهم الذين عرفوا بسعة اطلاعهم على مختلف مصادر العلوم والمعارف، واستفادتهم من الكتب اللّغوية، والتّاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والأنتربولوجية ومعاجم اللغات لشرح الكلمات، والألفاظ الغامضة والأعجمية، وحرصهم على مراجعة فهارس المخطوطات، للوصول إلى النسخ المقصودة، والاطلاع على المجلات المتخصصة في نشر التراث العربي كمجلة الجمعية الآسيوية، والمجلة الإفريقية، وقد سبق التنبيه إلى أن المستشرقين استفادوا من العرب القدامى في التحقيق، وأهم ما ميّز عملهم الاستناد إلى نسخ كثيرة من المخطوط الواحد، والبحث في صحة ما فيها، والمقارنة بينها، وتصنيف الفهارس الدّاعمة لقراءة المخطوط، وسنحاول في هذا المجال التعريف بمناهج التحقيق في ثلاثة أعمال والتنبيه، إلى أوجه الاختلاف بينها والإشارة إلى ما في هذه الأعمال من مزايا وهنات.

I. دي غويه ومنهجه في تحقيق كتاب المسالك والممالك:

أسهم المستشرق الهولندي ميخائيل جان دي غويه (1836- 1909) في إصدار "المكتبة الجغرافية العربية" في عشرة أجزاء لكبار الجغرافيين المسلمين، صدرت ما بين عامي (1870- 1894) معتمداً فيها علي مخطوطات مكتبة ليدن، وما يهمنا هنا هو عمل التحقيق لكتاب "المسالك والممالك" لابن القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خُرداذْبَه عام 1889 في مطبعة بريل.

وقع تحقيق كتاب ابن خرداذبه في ثلاثمائة وثمانية (308) صفحة، ويمكن التعرّف على منهج دي غويه من خلال الاطلاع على صفحة العنوان، ومضامين مقدّمته، وبواسطة ملاحظة هوامشه أسفل صفحات المتن، كما تزيدنا هوامشه الإضافية وفهارسه اطلاعا على هذا المنهج.

1. العنونة:

يلاحظ على العناوين أنها متوفرة باللغتين العربية واللاتينية، وقد راعى دي غويه المنهج الغربي في نقل الحروف العربية إلى اللاتينية، وتضمنت العناوين عنوان الكتاب كاملا، واسم المؤلف وكنيته، واسم المحقق، والمطبعة ومكان الطبع وتاريخه.

2. التمهيد:

تضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه تمهيدا موسعا خلا من العناوين، وإن جاء موزعا على فقرات تضمنت المعلومات التالية:

أ. التعريف بالمؤلف:

- الابتداء بتحقيق الاسم، وتعيين أوجه الاختلاف في اسم والد ابن خرداذبه، للوصول إلى التقرير أن اسم الجد هو الفاصل، وهو الذي يعتمد عادة عند وجود مثل هذه الاختلافات.
- التعريف بجدّ المؤلف، وبأبيه، مستشهدا بنصوص من كتاب الأغاني، وموردا مقاطع شعرية في مدح الجد، وهنا يستوقف موضوع تحقيق زمن الجد والوالد، ليحقق في زمن حياة هذا الشاعر، وهو الذي قد يظنه القارئ استطرادا وخروجا عن الغرض الأساسي، لكننا بمجرد مواصلة القراءة نكتشف أن دي غويه بتحقيق هذه الحادثة ينوي الوصول إلى تحديد فترة المؤلف ابن خرداذبه بذكاء لامع، وترجيح زمني مقبول، ليستنتج في النهاية تاريخ وفاة المؤلف التقريبي، وهذا يفيد مدى دقة دي غويه، وعدم اقتناعه بالرواية الواحدة.
- التحقيق في علاقة والد المؤلف عبد الله مع اسحق الموصلي، وإدراك المؤلف ابن خرداذبه للشخصية ذاتها، في بداية حياته، وهو كذلك عمل يضم إلى السعي السابق في تحقيق فترة حياة المؤلف.

- التعريف بمهنة المؤلف وهي العمل في البريد، ويعتمد في هذا على مصدرين أحدهما عربي قديم لابن الفقيه[1]، والثاني فرنسي وهو مقال لباربيي منشور في المجلة الآسيوية، وبذلك يكون قد كيّف في مصادره بين العربية والغربية، وهذا دأبه في المراحل الأخرى.

ب. . معلومات مفيدة عن الكتاب ووصف نسخ المخطوط:

- نقل آراء وأقوال العلماء العرب القدامى في كتاب المسالك والممالك، ما بين آراء تبدي الإعجاب بالكتاب، والتقدير لمادته، وآراء تقلل من قيمته، كرأي الإدريسي صاحب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، غير أن دي غويه كان شديد اللهجة في الرد عليه حيث أعرب عن استغرابه؛ فالإدريسي كان كثيرا ما يعتمد لكتابة رحلاته على روايات ابن خرداذبه وأخباره.

- تعيين جميع النسخ المحصل عليها، ووصفها وصفا سريعا يركز فيه غالبا على مصدر النسخة، كمالها أو نقصها، وضوح خطها أو غموضه، كما أضاف بعض المعلومات عن أمكنة المخطوطات، وظروف اقتنائها، أو الحصول عليها.

- اعتماد النسخة الأكثر وضوحا ونصا، ورمز لها بالنسخة "A"، والتنبيه إلى ما فيها رغم ذلك من نقص، وهذا ما يدخل في مرحلة تحقيق النص، وكان اعتماده أثناء الحكم بنقصان النسخة على المؤلفات الجغرافية المحيلة على كتاب المسالك، ككتاب صورة الأرض لابن حوقل، ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه.

- تبيان النقص في النص كاملا، والإشارة أيضا إلى حالات التلخيص في النسخة المعتمدة، رغم وجود النصوص كاملة في مصادر الجغرافيا المعاصرة، والتالية لزمن تأليف المسالك، وهذا يحيل إلى اجتهاد المحقق في قراءة مصادر كثيرة للدقة في التحقيق.

- المقارنة بدقة بين النسخة "A" والنسخ الأخرى التي رمز لها بـ: "B"، و"C"

- محاولة تعيين زمن كتابة النسخة.

- تبيان مواضع تغيّر الخط، ووصف هذا الخط من حيث خبرة الناسخ الجيدة في الكتابة، أو حداثة الناسخ في الصنعة. وإظهار الزيادات البعيدة زمنيا عن زمن النسخة، بدليل تغير لون المداد ما بين الأحمر

[1] أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، المعروف بابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، نشر دي غويه، دار بريل، لندن، 1885م.

والأسود، وطبيعة الخط، وحالته، وقد جعلت هذه الظاهرة دي غويه يستنتج مشاركة مصححيْن آخرين في النسخ.

- التنبيه إلى أخطاء النساخ اللغوية، كالخطأ في التأنيث والتذكير ومنها تذكير لفظ إصبع وذراع بدل تأنيثهما، وفي كتابة الأعداد.

- الوصول إلى زمن تأليف الكتاب بواسطة الاعتماد على حالات ذكر حكام كانوا على قيد الحياة، ولا يكتفي بذكر الحكام، بل يستشهد بمصادر تاريخية وأدبية لتأكيد وجود هؤلاء الحكام في ذلك الزمن، ويقول بعد كل ذلك البحث والتحري: **"مع كل هذه المعطيات أظن أنه يحق لي الاستنتاج أن ابن خرداذبه قد ألّف كتابه نحو سنة 232هـ.، وأدخل إضافات تدريجيا بعد ذلك، واكتمل قبل 272هـ"**[1]

- الوصول إلى تبيان قيمة الكتاب بين العلماء المعاصرين المشارقة والمستشرقين.

- تحرّي زمن التدوين للنسخة الأولى المعتمدة، خاصة أن المعلومات قد طمست ولم يبق سوى تاريخ حادثة غزو ابن تومرت لتونس عام 540هـ، غير أن المحقق استبعد فرضية تدوين الكتاب خلال هذا التاريخ ورجّح أن يكون سابقا له.

- تناول مناسبة التأليف التي كانت بسبب طلبٍ وجهَّهُ أحدُ الحكام لابن خرداذبه لكتابة مؤلف يجمع أخبارا وأوصافا عن ممالك العالم، ومختلف المسالك الموجودة.

- ذكر الكتاب الثاني وهو كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر، واعتمد خطة موجزة في هذه المرة؛ حيث عرّف بالمؤلف، وحالة المخطوط ونسخه، مع ذكر مصادر النسخ من أشخاص ومكتبات.

3. فك رموز التحقيق:

قدّم دي غويه في آخر المقدمة شرحا للرموز الموضوعة في المتن، وفي الهوامش.

4. صفحة للتنبيه:

جاء بعد التقديم تنبيه من قبل المحقق دي غويه إلى وجود بعض التصويبات التي أدخلها بسبب وجود أخطاء في كتابة أسماء أعلام، وأماكن، وأخطاء لغوية، وإملائية كقوله أربع وعشرون درجة، عوض

1

ما ورد في النسخة المعتمدة أربعة وعشرون درجة، وكانت أربعة آلاف ومائتين مدينة بدل كانت أربعة آلاف ومايتان، وقول المحقق أما قبلة أهل اليمن فصلاتهم بدل ما ورد في النسخة A فسلاتهن.

5. التهميش وخصائصه:

- جاءت الهوامش باللاتينية، رغم ورود التقديم بالفرنسية.
- استعان دي غويه بالعربية لتقديم التوضيحات الخاصة بالفروق بين النسخة المعتمدة والنسختين الثانويتين، وكتبت المعلومات عن المراجع أسماء المؤلفين وعناوين الكتب المذكورة، والكلمات العربية التقنية باللاتينية
- تصنيف المخطوطات وتخصيص حرف لكل منها حسب الترتيب الهجائي للحروف اللاتينية الكبيرة (majuscules) A, B, C، ورموز الهوامش بحروف صغيرة (minuscules)،
- دوّن في الهوامش الأخطاء التي وقع فيها الناسخ، وهي كثيرة منها: قوله أربع وعشرون درجة، عوض ما ورد في النسخة المعتمدة أربعة وعشرون درجة، وكانت أربعة آلاف ومائتين مدينة بدل كانت أربعة آلاف ومايتان، وقول المحقق أما قبلة أهل اليمن فصلاتهم بدل ما ورد في النسخة A فسلاتهن.
- اعتمد دي غويه على مصادر جغرافية نقلت نصوصا من الكتاب المحقق، وبالتالي مقارنة النسخة الأولى بالنسختين الثانية والثالثة، وبالنصوص الواردة في كتب ابن رسته، وابن الفقيه، وابن حوقل.
- أما سلبيات التهميش فمنها ورود الإحالات موجزة، سريعة، تعتمد الرموز والاختصار في تعيين المعلومات الببليوعرافية حول مصادر التحقيق سواء كانت عربية أو غربية، وهو ما يصعب تمثله لغير المتمرسين بالتحقيق الغربي، وأمثلته كثيرة منها:

Koran 25 vers.40, Ibn Rosteh, Yaqut, Ibn al fakih, Mokaddasi, Istakhri, Jakubi, Massudi, Tabari, Ibn Hauk,

أحال دي غويه فيما سبق إلى القرآن الكريم، مع تحديد رقم السورة ثم رقم الآية، وكتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته، وكتاب البلدان لابن الفقيه، وكتاب الآثار الباقية للمقدسي، وكتاب المسالك والممالك للاصطخري، وكتاب البلدان لليعقوبي، وكتاب مروج الذهب للمسعودي، وكتاب تاريخ الطبري، وكتاب صورة الأرض لابن حوقل.

6. اللواحق من الفهارس:

أتبع المحقق دي غويه نص الكتاب بفهرس أول لأسماء الأماكن والأعلام، وفهرس ثان لأسماء الرجال والقبائل، وثبت لشرح الكلمات غير العربية، والصعبة، وهذه الطريقة في تأجيل الشروح إلى آخر الكتاب، والاكتفاء في

الهوامش بمقارنة النسخة المعتمدة في التحقيق مع النسخ الأخرى كانت لهدف عدم إثقال النص الأصلي بتلك الهوامش، لكن تأجيل شرح الكلمات الصعبة إلى آخر الكتاب أمر يصعب عملية القراءة، ويحتّم على القارئ دائما العودة إلى الجزء الأخير والبحث عما إذا نالت الكلمة عناية وشرحا أم لم تنل ذلك.

وفي الأخير نشير إلى أن دي غويه كان من حين لآخر يطلق أحكاما شخصية ومنها: قوله أن أحد البرامكة دعا جد المؤلف وهو خرداذبه إلى اعتناق الإسلام بعدما كان مجوسيا، وردّ ذلك إلى أهمية جد المؤلف بين قومه، وهو ما قد يفسّر من قبل الجهال من أن دعاة الإسلام يبحثون عن المصلحة الشخصية، والاغتناء، والتقرب من كبار القبائل، والأقوام.

ويصف المحقق في موضع آخر مخطوطات العلماء العرب، ونسخهم الأصلية بأنها ذات مظهر غريب؛ بفعل التغييرات والإضافات التي يدخلها المؤلفون بعد فوات الأوان على كتبهم، وفي شكل فوضوي، وعشوائي، يصل بهم أحيانا إلى زيادة وريقات منفصلة تتطاير وتضيع مع مرور الزمن لعدم إحكام تجليدها، أو ضمها مع الأوراق الأولى للكتاب.

II. المستعرب دي سلان ومنهج تحقيق كتاب البكري:

هو البارون ماك غوكين دي سلان (M. G. De Slane)(1801-1878) وهو مستعرب عضو في مجلس الجمعية الآسيوية، قام بتحقيق ودراسة وترجمة التراث العربي الإسلامي في الجزائر. ففي عام 1845 أرسلته وزارة التربية والتعليم الفرنسية إلى الجزائر في مهمة علمية. اهتم بفهرسة المخطوطات ووضع قائمة عناوين أهم المخطوطات العربية التي تحتوي عليها المكتبة الوطنية بالجزائر، ومكتبة سيدي حمودة بقسنطينة، وعيّن دي سلان في وظيفة كبير المترجمين في الجيش الفرنسي في الجزائر، قام بترجمة مقدمة ابن خلدون، وتاريخ البربر المقتبس من كتابه العبر، وقام أيضا بتحقيق مجموعة كتب ونصوص، منها: كتاب "المغرب في ذكر إفريقية والمغرب"[1] لأبي عبيد البكري الواقع في مائتي صفحة واثنتان عشر (212)، هذا المؤلف الأخير هو الذي يهمنا لأنه من مصادر الأدب الجغرافي العربي.

اختار دي سلان في بداية مقدمته التعريف بالفترة التاريخية التي عاش فيها المؤلف البكري، وبحكام المغرب الإسلامي، والأندلس، ليشرع بعد ذلك في تحقيق الكتاب وفق منهج المستشرقين المعروف، ولذلك مرّ بالمراحل التالية:

- التعريف بالمؤلف، اسمه، ووالده، وحياته.

[1] المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب، أبو عبيد البكري، تحقيق وترجمة إلى الفرنسية البارون دي سلان، مطبعة الحكومة، الجزائر، 1857.

- تعداد مؤلفات البكري، وذكر الطبعات المتوفرة للوصول إلى المسالك والممالك، والذي اكتفى دي سلان بتحقيق ونشر جزء من كتاب وصف إفريقيا الشمالية.
- تبيان أهمية الكتاب ودقة وصفه، وثراء مضمونه.
- ذكر مضامين الكتاب الفرعية.
- تعيين تاريخ التأليف ويعلّق المحقق من أن الوصول إلى زمن التأليف يكون بالنظر إلى آخر تاريخ، وآخر حادثة آنية ذكرت في الكتاب.
- مصادر البكري المقروءة والمسموعة، ورحلاته، واستغل دي سلان الفرصة للتعريف بأحد الأشخاص الذين اعتمد البكري عليهم مباشرة وهو محمد بن يوسف المعروف بابن الوراق.
- التنبيه إلى صعوبات قراءة النص، لصعوبة الخط.
- لتحقيق نسبة الكتاب إلى البكري اعتمد المحقق على استنتاجات وشواهد العالم المستشرق م. كاترو مار (M. Quatremére)
- تحديد نسخ المخطوط الأخرى الاعتماد على بربرجر (Berburger)، ونسخة ريو (M. Rieu)، ونسخة غاينغو (M.de Gayangos)، وهذه الأخيرة بها إضافات هامة تكمل النسخ الأخرى.
- وصف النسخة الأخيرة المذكورة ، وتعيين مواطن الفجوات فيها.

أتمّ دي سلان عمله في تحقيق النص بتصنيف فهارس لأسماء الأمكنة وغيرها، وبيان للخطأ والصواب، لتصحيح نص الكتاب.

وما يمكن ملاحظته في تحقيق دي سلان أنه يختلف عن منهج دي غويه؛ حيث اعتمد دي سلان جميع النسخ للتحقيق، ولم يختر نسخة أكمل ليقارنها بنسخ أخرى في الهوامش.

III. الفرنسيان رينود ودي سلان وتحقيقهما لكتاب جغرافية أبي الفداء:

حقق جوزيف توسان رينو (J.T. Reinaud) المولود سنة 1867عضو في معهد باريس، ومجلس الجمعية الآسيوية، مع زميله دي سلان كتاب تقويم البلدان لعماد الدين إسماعيل بن محمد المعروف بأبي الفداء[1]، ووقع الكتاب بنشرتهما في خمسمائة وثلاثين صفحة (593)، وكعادة المحققين الغربيين أورد المحققان مقدمتين

[1] طبع الكتاب في المطبعة السلطانية، باريس، 1840

بالفرنسية: الأولى جاءت قبل النص العربي، والثانية سابقة للنص الفرنسي، والمقدمة التي تعنينا هي المقترنة بتحقيق النص العربي، وفيها تم اتباع المنهجية التالية:

- التعريف بأبي الفداء وبحياته اعتمادا على كتاب "المنهل الصافي" لأبي المحاسن، الذي وجد مخطوطا بالمكتبة السلطانية بباريس.
- ذكر مؤلفات أبي الفداء مما أفاد بها أبو المحاسن، صاحب المنهل الصافي، ومما قدّمه المؤلف أبو الفداء نفسه في كتابه التاريخ المختصر.
- الاستشهاد بشعر في رثاء أبي الفداء لجمال الدين أبي بكر محمد بن نباتة المصري.
- تثمين جهد أبي الفداء في كتابه التاريخ المختصر.
- تعيين الطبعات الفرنسية لأجزاء من تاريخ أبي الفداء.
- الاعتماد على كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة في تعداد مؤلفات أبي الفداء الأخرى كمنظومته المعنونة بالحاوي، وهي غير كتاب الحاوي لنجم الدين عبد الغفار من قزوين، كما ألّف أبو الفداء الكناش وهو في علم الطب، وله أيضا كتاب الموازين الذي علّق عليه المحققان بأنه قليل القيمة مقارنة بالمؤلفات الأخرى.
- التعريف بابن أبي الفداء.
- الإحالة إلى كتاب السلوك للمقريزي.
- وصف المخطوط والنسخة التي حُقّقت نسخة ليدن، والنسخ الأخرى الدّاعمة، والمنهج المعتمد.
- تاريخ إنهاء النسخ وهو سنة 721هـ، السابق لوفاة المؤلف بإحدى عشر سنة.
- ذكر سمعة الكتاب.
- انتقاد الكتاب، وذكر بعض سلبياته.
- ذكر مصادر أبي الفداء في كتابه تقويم البلدان، ومنها صورة الأرض لابن حوقل، وكتاب نزهة المشتاق للإدريسي، وجغرافية ابن سعيد، ولباب ابن الأثير الذي لم يصل إليه المحققان.
- تعداد أقسام الكتاب.
- التنبيه إلى بعض سلبيات النسخة المعتمدة في التحقيق من تشابه في الحروف، وعدم وجود الشكل، وتفاوت في المعلومات، وإيجاد صعوبة في وضعها داخل خانات الجدول.
- الاعتراف بفضل الكتاب وأهميته حيث جاء التعليق: "**إذا كان هذا الوصف الشكلي ينبئ عن نقائص، فإن المحتوى الغني للكتاب يعوّض هذه النقائص الشكلية**"[1]، كما أن الكتاب مميّز لم يسجل في عصره بأوربا كاملة كتابا مماثلا له.

[1] أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد، تقويم البلدان، تح. م. رينو ودي سلان، ص. 40 (المقدمة).

- البرهنة على قيمة الكتاب؛ إذ لخّصه الذهبي بعد وفاة المؤلف، وحوّله ابن علي المولى محمد سباهي زاده (ت. 997هـ) إلى معجم، ولخّصه الكاتب ذاته وترجمه إلى اللغة التركية.
- شرح منهج التحقيق وذكر الإجراءات المعتمدة لتجاوز الصعوبات، وإن كان اعتماد المحققيْن أكبر على نسخة ليدن، لكنهما لم يمتنعا عن ترجيح واختيار التعبير الأصح، والأنسب من النسختين الباقيتين، والاحتفاظ بكل ما هو جيّد مما حذفه المؤلف أبو الفداء من النسخة المعتمدة؛ وهو ما يمكن أن يكون له فائدة في عصر التحقيق والنشر، ووضع العبارات المنتخبة من غير النسخة المعتمدة بين معقوفتين[...]، ثم وضع ملاحظة في الهامش حول الزيادة المضافة في المتن.
- المبادرة بالتصرّف في النص، وتغيير أماكن بعض الملاحظات المتفرقة وضمّها إلى بعضها، ووضعها في بداية الفصل المناسب، وكذلك وضع التعليقات على الجداول في نهاية كل جدول مناسب لها، وليس أسفل كل صفحة.
- إعادة ترقيم أسماء الأماكن في كل فصل لأن النقل لم يكن من نسخة واحدة.
- إجراء التعديل على الجدول الذي يصنّف الفصول وأماكنها في النسخة؛ بسبب اختلاف النسخ الثلاث في عدد الفصول، وتعيين أماكن الفصول حسب الطبعة الجديدة المنشورة.
- إعادة ترتيب المادة حسب مواقع البلدان.
- تدعيم عملية مقارنة النسخ بنسخ أخرى من مصادر جغرافية أخرى كصورة الأرض لابن حوقل، ونزهة المشتاق للإدريسي، وجغرافية ابن سعيد، وهي النسخة التي اعتمد عليها المؤلف أبو الفداء ذاته، ومعجم جغرافي بعنوان مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن البغدادي.
- الإشارة إلى المحاولات الأولى في إعادة نشر الكتاب مع غارنيي(Gagnier)، الذي اهتم بالجزء الخاص بالجزيرة العربية، وجيلد ميستر (M. Gildmeister) الذي نشر جزء منه في المجلة الآسيوية عام 1834 في شهري ماي وديسمبر.
- ذكر مناسبة نشر الكتاب من قبل المحققيْن، وهو حث أستاذهما سلفستر دي ساسي (M. Sacy) (1758-1838م) الرئيس السابق للجمعية الآسيوية، لكنه توفي قبل إنهاء هذا العمل.
- إتباع المقدمة بكشاف للأخطاء والإضافات.

منهجية التهميش:

ما يلاحظ على عمل التهميش عند المحققين رينو ودي سلان أنه كان أوضح مما جاء في عمل دي غويه، نزع فيه المحققان إلى عدم الترميز للنسخ، وكتابة المراجع مع شيء من التفصيل، الذي يقل بعد ورود النسخة أو المرجع

مرة أخرى، ويبدو هذا في المقارنة بين النسخ، والإحالة إلى ما ورد من اختلاف في النسختين الموجودتين بليدن وباريس، إذ نجد الإحالة على النحو التالي:

Le manuscrit n°578 de la bibliothèque royale de Paris porte …

Le manuscrit autographe de la bibliothèque de Leyde porte …

وتخفف الإحالة في المرة التالية كالآتي:

Le man. de Leyde porte …

Le man. n°578 de la biblioth.roy. de Paris porte…

Le n° 578 porte…

Le man. autographe portait…

لكن هذا الاختصار لم يلتزم في كامل الهوامش حيث يرجع المحققان إلى التفصيل في بعض الإحالات، وكذلك يبدو المحققان في حالات قليلة أكثر إيضاحا في الإحالة إلى مراجع التحقيق، وعدم اعتماد المختصرات الكبيرة لها، وأمثلته:

On lit dans l'Abrégé de la Géographie d'Edrisi, 1er climat, vi^{e} section, vers la fin, ces mots: …

الفهارس:

ذيّل المحققان متن كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء بفهرسين مطولين: فهرست فصول الكتاب، وفهرست الأماكن، ولا نجد فهارس أخرى للأعلام مثلما هو معهود في التحقيق.

وبالرغم من أن التحقيق أضاف الكثير للمكتبة العربية الجغرافية إلا أننا لا يمكن أن نغض الطرف عن سلبياته، التي وجدناها في هذا العمل ولم نجدها في تحقيق دي غويه ومن أهمها:

- اقتصر رينو ودي سلان في تحقيقهما على العناية بضبط النص على طريقة المستشرقين في ذلك الحين، ولم يعتنيا بالمادة الجغرافية موضوع الكتاب.
- عدم التنبيه في كثير من المرات للأخطاء اللغوية والإملائية الموجودة والكثيرة، والمرور عليها دون أدنى إشارة، وبالتالي الاكتفاء بنقل النص كما هو بينما وجدنا دي غويه يصحح المتن ويشير إلى ما في النسخة الأصلية المعتمدة من خطأ.
- نجد بالمتن عدة ألفاظ وتسميات غريبة مرتبطة بأماكن وأنهار، وأقوام وهي ترد في الكتاب مختلفة دون أن ينبه المحققان عليها، أو يصوباها في الهامش، ويبدو دي غويه أكثر عناية بهذه المسائل.
- التخلي في الغالب عن تحقيق النصوص التي نقلها المؤلف أبو الفداء عن سابقيه كالإدريسي وابن سعيد.
- عدم الترجمة للأعلام، أو التعريف بالأماكن، وعدم شرح الكلمات الأعجمية.

- التخلي عن تعيين المعلومات الدقيقة في الهامش (الجزء والصفحة أو الورقة) كقوله:

Le n° 578 أركان , et la Géographie d'Edrisi, أزقار

Dans le man. d'Ebn-Said, Appartenant à la bibl. du Roi, on lit …

Voici ce qu'on lit dans Ibn-Haucal, a propos de la ville de Tarse…

d'Ebn-èCe passage est altéré; il faut lire, comme dans le trait Haucal, إلى أن تجاوز فيق.

Les manuscrits d'Ebn-Khallican portent…

خاتمة:

بغض النظر عن جميع ما قيل حول الاستشراق والاستعراب ودورهما، وحول منجزات وبحوث كثير من الغربيين ذوي الصلات المباشرة أو غير المباشرة بالاستعمار، وأصحاب النظرات المتحيّزة للغرب والمسيحية، فإن كتب هؤلاء المستشرقين والمستعربين وإسهاماتهم عملت بشكل بارز على إعادة الحياة لمصادر التراث الإسلامي، والجغرافي منه على الخصوص، واطلاع العرب عليها، والاستفادة منها ومن مناهج الناشرين والمحققين العلمية الحديثة، وتعريف الأمم الأخرى بالحضارة العربية والإسلامية بواسطة ترجمة هؤلاء المستشرقين المؤلفات القديمة إلى اللغات الغربية خاصة في الجامعات التي افتتحت لديها العديد من مراكز الدراسات العربية والإسلامية، فلمعت في سماء النشر والترجمة أسماء كبيرة كدي غويه ودوزي، ودي سلان ورينو وجوينبول وفستنفلد،... وغيرهم كثير، وبذلك يمكن عدّ الاستشراق مصدرا أولا وسابقا للدراسات العربية الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، المعروف بابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، نشر دي غويه، دار بريل، لندن، 1885م.

- أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب، تحقيق وترجمة إلى الفرنسية البارون دي سلان، مطبعة الحكومة، الجزائر، 1857.

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد، تقويم البلدان، تح. م. رينو ودي سلان، باريس، المطبعة السلطانية، 1840.

- إسماعيل العربي، دور المسلمين في تقدّم الجغرافيا الوصفية والفلكية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994.

- ريجيس بلاشير وجان سوفاجيه، قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها (وجهة نظر الاستعراب الفرنسي)، تر. محمود المقداد، لبنان، سوريا، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ط,1، 1988، ص. 13.

- IBN KHODADBEH, Le livre des routes et des provinces, Publié, traduit, et annoté par C. Barbier De Meynard, Journal Asiatique, ou Recueil De Mémoires d'Extraits et des notices, Sixième série, tome v, Janvier- Février 1865.

وثائق نقل المعارف عند المسلمين وعنـاية المستشرقين بها

د.عزالدين كشنيـط

أ. محاضر (أ) بالمركز الجامعي لتامنغست

ملخص البحث

هذا ملخص بحث يسلّط الضوء على صنف من الوثائق المهمّة في فنون التحقيق والمخطوطات، طارقا باب الحديث عن الجهود التي بذلها طائفة من المستشرقين بخصوص تتبع وثائق نقل علوم الحضارة الإسلامية ومعارفها عبر الأجيال، من خلال التعريف بأهمّ ما انتجوه في هذا المجال من كتب وأبحاث، مع بيان أهم أسباب اهتمامهم بهذه الوثائق، وأهم أعمالهم في هذا المجال، وذلك بعد التعريف الموجز بهذا الصنف من الكتب والوثائق، وتعداد من اهتمّ بها من المستشرقين، وبيان صلة مكوناتها بعملية التحقيق في نقل النصوص والمعارف المكتوبة عبر التاريخ، مع عرض موجز للإسهام النوعي للعلامة بن شنب في الترويج لهذه الوثائق في بعض مؤتمرات المستشرقين، وفي البحث تركيز نسبي على شخصية المستشرق الفرنسي جورج فايدا (*Georges Vajda*)، نظرا للعناية الفائقة التي أبداها تجاه هذا الصّنف من الوثائق، واستثماره في التعامل مع خزانة المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس التي كان مديرا لها، وبيان الدور المهمّ لهذه الوثائق في عملية تحقيق المخطوط العربي عند المسلمين والمستشرقين على السّواء.

مقدمة:

لقد انتبه ثلة من المستشرقين لأهمية صنف من الوثائق المتداولة عند المسلمين، واطلعوا على نفاسة محتواها؛ وهي وثائق نقل علوم الحضارة الإسلامية ومعارفها عبر الأجيال، فانكبّوا على تمحيصها والنظر في محتوياتها، والاستفادة منها بكلّ الطرق، وقد عالجوا ذلك بالدراسات المستقلّة، أو بتحقيق بعض وثائقها المهمّة وترجمتها إلى لغاتهم ودراستها في آن واحد، أو بتسليط الضوء على جوانب تُستفاد منها.

وهذا بحث يسلّط الضّوء على الجهود التي بذلها طائفة منهم بخصوص تتبع وثائق نقل علوم الحضارة الإسلامية ومعارفها عبر الأجيال، من خلال التعريف بأهمّ ما انتجوه في هذا المجال من كتب وأبحاث، مع بيان أهم أسباب اهتمامهم بهذه الوثائق، وأهم أعمالهم في هذا المجال، وذلك بعد التعريف الموجز بهؤلاء المستشرقين وهذا الصنف من الكتب والوثائق، وبيان صلة مكوناتها بعملية التحقيق في نقل النصوص والمعارف المكتوبة عبر التاريخ، مع عرض موجز للإسهام النوعي للعلامة بن شنب في الترويج لهذه الوثائق في بعض مؤتمرات المستشرقين،

وفي البحث تركيز نسبي على شخصية المستشرق الفرنسي جورج فايدا (*Georges Vajda*)، نظرا للعناية الفائقة التي أبداها تجاه هذا الصنف من الوثائق، واستثماره في التعامل مع خزانة المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس التي كان مديرا لها، وبيان الدور المهمّ لهذه الوثائق في عملية تحقيق المخطوط العربي عند المسلمين والمستشرقين على السّواء.

ويتناول البحث جملة من المسائل أذكر منها؛

التعريف بهذا الصنف من الوثائق – بيان أهمّ أسباب عناية المستشرقين بهذه الوثائق – التعريف بالمنتوج الاستشراقي في هذا الباب – المستشرق جورج فاجدا وعنايته بهذا الفن من الوثائق – عرض موجز لكتاب (**نقل المعارف عند المسلمين** – Georges Vajda, La transmission du savoir en Islam (VIIe-XVIIIe siecles))، الذي جمعته تلميذته المستشرقة نيكول كوتار (Nicole COTTART). – عرض موجز لما قدّمه العلامة بن شنب بخصوص الموضوع لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي عُقد بالجزائر العاصمة سنة 1905 – .... الخ

أولا:– كتب توثيق نقل المعارف (الماهية والنشأة والأسباب والتطور):

01– التعريف بهذا الصنف من الوثائق:

هو فنّ من التأليف ابتكره علماء المسلمين لأجل توثيق عملية نقل العلوم والمعارف الخاصّة بحضارتهم؛ فهي الدواوين التي تجمع مرويات شيخ معيّن أو تجمع فيها شيوخه.

وقد انتجوا فيه كتبا ووثائق عُنيت بتوثيق مرويات المشايخ المسندين المشتغلين بالحديث والعلوم الإسلامية الأخرى، من كتب أو مسلسلات أو فوائد، وذكر مشايخهم ممن تخرّجوا بهم أو سمعوا منهم أو قرؤوا عليهم أو استجازوهم من أهل زمانهم بالمشافهة واللقاء أو بالمكاتبة.

وقد تنوّعت الأسماء المطلقة على هذا الصنف من الكتب، وتباينت عناوينه الدّالة عليه، وأكثر تلك الأسماء شُيوعا مُصطلح: (المشيخة، والثبت، والبرنامج، والفهرسة، والتقييد، والرحلة (العلمية)، والإجازة، وأسانيد فلان، وغير ذلك من الألفاظ.

ممّا أُثر عن علماء المسلمين في مجال العلوم والمعارف قاعدتهم الجليلة (إذا كنت ناقلا فالصحّة، وإن كنت مدّعيا فالدليل)، ولا شكّ أنّ جانبا كبيرا من تراث الأمّة مبنيّ على نقولها ومروياتها، بل إنّ جميع تراثها عبر القرون المتتالية غدا نصوصا منقولة، تحتاج إلى استمرار العناية بها، وتحرّي الصحّة في تناقلها بين الأجيال، وقد كان هذا الدافع كافيا لنشأة هذا الفنّ وتطوره عبر العصور؛ خصوصا وأنّ الأمر قد تعلّق في المقام الأول بحفظ دين الأمّة، ثمّ حفظ تراثها الذي يمثّل هويتها.

ومرجع ذلك كله هو أنّهم حملة رسالة، مكلّفون بتبليغها كما جاءت، وتلك حاجة ألجأتهم إلى ابتكار مباحث هذا العلم ومناهجه، ليتخذوا منه وسيلة لحفظ دينهم أوّلا، ثمّ استثمروه –بعدها– في نقل تراثهم.

02- النّشأة.[1]

ولد هذا الفن من التصنيف ونشأ بين أحضان المحدّثين، وقد تطاول به الزمان حتى طال مدى عمله أكثر كتب علوم الإسلام وآثاره، وغدا يحمل شخصية متميّزة بين كتب فنونه، تتجاذبه علوم التاريخ والحديث على السّواء، يقول د. عبد العزيز الأهواني:" هذا النوع من الكتب -وإن صار مستقلا له طابع فريد- يرتدّ في أصله إلى علم الحديث، ويحتفظ ببعض مصطلحاته وأساليبه. ونحن نعلم أنّ علم الحديث كان سببا لنشاط رائع خصب تفرّعت عنه علوم كثيرة."[2]

ومع ذلك الاتّجاه نحو الاستقلال فإنّه ظلّ محافظا على مصطلحات علم الحديث، يرتشف مادته ويستمدّ نموّه وتطوّره من أنفاس المحدّثين ونشاطاتهم وكتاباتهم، فلا تجد صاحب ثبَتٍ إلا وله صلة قرابة أو مشاركة في الحديث وعلومه، وإنْ غلب عليه الاشتهار بفنّ آخر؛ يقول الأهواني:" ونحن حين نراجع أسماء من ألّفوا برامج الأندلسيين نجد أنّ أكثرهم كانوا من علماء الحديث أو ممن غلب عليهم علم الحديث. ثمّ يجيء بعدهم الفقهاء والنحاة، ولم نجد لأديب أو شاعر برنامجا مما يدلّ على أنّ هذا النوع من التأليف ظلّ قريبا من الأصل الذي تفرّع عنه؛ علم الرّواية والرُّواة."[3]

وقد تكلّم د. عبد العزيز الأهواني عن برامج الأندلسيين وأصل نشأتها، فأرجعه إلى نوع من كتب علوم الحديث وهي المعاجم والمشيخات -على مفهوم المتقدّمين- وقد فرّق بين البرامج التي تتمثّل مروياتها في رواية المصنّفات، وذكر المرويات فيها مسندة إلى العلماء، وبين المشيخات التي تَرِدُ فيها الأحاديث مرتبة على أسماء الشيوخ.[4]

يقول د.الأهواني:"وإذا كان المحدّث القديم يذكر الأحاديث مسندة إلى الرّواة الذين نقل عنهم فكتب البرامج تذكر المرويات مسندة إلى العلماء. والمرويات في كتب أو إن شئت مجموعات من الأحاديث مدوّنة بين دفّتين..."[5]

وتفصيل ذلك؛ أنّ أحدهم كان يجمع أحاديث الشيخ من شيوخه على حدا، ثمّ يرتب مشايخه على حروف المعجم ليَسْهُل الاهتداء إلى كلّ شيخ، وتتيسّر معرفة ما له من مرويات، ثمّ لما تميّز بعض المشايخ بكثرة الرواية أفرد لهم بعض رواتهم أجزاء خاصة جمعت مروياتهم.

([1]) إن أول ما يتعرض إليه الباحث في نشأة كتب هذا الفن هو السؤال الآتي: أي نشأة أبحث عنها؟ نشأة الكتب التي ينطبق عليها مفهوم التعريف بهذه الكتب، أم أول ما أطلق عليه إحدى تسميات كتب هذا الفنّ؟

([2]) **كتب برامج العلماء في الأندلس**، عبد العزيز الأهواني، مجلّة معهد المخطوطات العربية / القاهرة: ص94.

([3]) الأهواني: ص96.

([4]) ينظر الأهواني، كتب برامج العلماء في الأندلس: ص94-95، ويظهر من سياق كلامه أنّه يفرّق بين البرامج وبين مشيخات المتقدمين ومعاجمهم.

([5]) كتب برامج العلماء في الأندلس، الأهواني: ص95.

هذا هو الأصل القريب لنشأة هذا الفنّ من التأليف، وأما نشأته بمفهومه العامّ فيرجع إلى أبعد من ذلك بكثير.

إنّ الناظر في سيرة المحدّثين، وما عُرِفوا به من التّثبُّت في الرواية، يجد أنّ كثيرا منهم كان يسأل صاحب الرواية عمّن حدّثه بها، وتاريخ التقائه بالمروي عنه، وعن كيفية تحمّله لها، ومكان حصول ذلك، وعن حال الشيخ، وكانت مَلَكَة الحفظ تُسْعِف الأوائل في بيان ذلك، فلمّا جُمعت المرويات وكثرت، وكثُر شيوخ الرّواة لجأ كثير منهم إلى توثيق سماعاتهم، والتأريخ لمروياتهم، والترجمة لشيوخهم، كما فعلوا في تدوين المرويّات نفسها، ثمّ تطوّر التأليف في المشيخات كتطوّره في تدوين الحديث وغيره من العلوم.

والحقّ أنّ الوقوف على نشأة هذا الفنّ جملة لا يتيسّر إلا بتتبّع نشأة كلّ جانب من جوانبه، أو مكوناته، في هيئته الأخيرة التي استقرّ عليها.

تشترك هذه الكتب مع كتب التراجم والطبقات في أصل نشأتها وعلّة وجودها، وأقدم ما يمكن ذكره من نصوص المتقدّمين في أصول منشأ الحاجة إلى مثل هذه الوجهة في التأليف والعناية به تعود بنا إلى الأثر الذي أخرجه مسلم عن ابن عباس(♦) قال:" إنّا كنّا نحدث عن رسول الله(❐) إذْ لم يكن يُكْذَب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذّلول تركنا الحديث عنه."[1] وفي رواية:" إنّا كنّا مرة إذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله(❐) ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب النّاس الصعب والذّلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف."[2] فأفرزت هذه الحالة ردّة فعل علمية، يمكن عدّها بوادر وإرهاصات لظهور المنهج الإسلامي في التحقيق والتثبت في نقل الأخبار والآثار، وظهر ذلك جليا في العبارة المأثورة من قول ابن سيرين:" لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سمُّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم."[3] إذْ أوّل مراتب التعريف بالرجال تسميتهم، ثمّ تطوّر أمر تلك التسمية؛ ونحا وجهتين أبدع لنا بإحداهما فن التراجم والطبقات، وكتب الجرح والتعديل. وأبدع لنا بالوجهة الثانية فن التصنيف في المشيخات، ومعاجم الشيوخ، وكتب توثيق نقل المعارف والعلم عموما.

03- دواعي نشأة التأليف في هذا الفنّ:

لما انتشرت حركة التدوين وكثرت دواوين السنّة، واشتدّت الحاجة إلى تسلسل روايتها عند المتأخرين ما كان يتيسّر لأحدهم أن ينقلها بكل ما فيها إلى من يأتي بعده؛ لذلك اقتصروا في أثباتهم على ذكر عناوينها وأسماء أصحابها وسلسلة الرجال الذين أوصلوها لصاحب المشيخة، وكيفية تحمّله لها، وربّما أوردوا بعض أوائلها.

([1]) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: 1/ 10.

([2]) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: 1/ 10.

([3]) العلل، أحمد بن حنبل: 2 / 559، ومسلم في صحيحه: 1/ 11، واللفظ له.

ومن أوضح الروافد التي أسهمت في نشأة هذا الفنّ وتطويره أيضا كثرة التحمّل بطريق الإجازة التي يأذن فيها الشيخ للمُجَاز برواية كافّة ما تصحّ له روايته، أو رواية بعض مروياته، وهي عبارة مجملة تحتاج في الغالب إلى تفصيل مُبَيِّن لتلك المرويات وأسانيدها، وقد سدّت أثبات الشيوخ وبرامجهم تلك الحاجة، بدقّة عالية.

إنّ أهمّ شيء في هذه الكتب هو **العناية بالشيوخ**، و**العناية بمروياتهم**، وإنّ **نشأة هذا الفنّ تمثّلت في جانب الشيوخ**[1]، وقد تطوّر أمر العناية بالشيوخ إلى تأليف كتب التراجم والطبقات والتواريخ وكتب الجرح والتعديل، ليشمل ذلك غالب من له صلة برواية الحديث، واستمرّ أمر المشيخات مقتصرا على ذكر المشايخ، مع إيراد نماذج من مروياتهم، كل ذلك لغرض تعديدهم، وبيان طريق الأخذ عنهم، وطرق الاتصال بهم، ثمّ تطوّر أمر العناية بالشيوخ إلى ذكر تراجم موسّعة لهم.

وأما في جانب المرويات فكان أمرها مقتصرا –في البداية– على ذكر نماذج من مرويات الشيوخ بأسانيدها، لأنّ أحاديثهم مذكورة في كتب الأمهات الحديثية؛ كما فعل الطبراني في معجميه الأوسط والصغير؛ ذكر مشايخه مع نماذج من مروياتهم، وكان قد استوعبها في معجمه الكبير، فلمّا انقضى عصر الرواية، ودُوّنت الأمّهات انتقلت عناية أصحاب هذه الكتب إلى **بيان طرق اتّصالهم أو اتّصال شيوخهم بعلماء مخصوصين**، أو **بكتب مخصوصة**، **مع** استبقائهم على **إيراد بعض الروايات المفردة المتميّزة** بعلو أسناد أو بنوع تسلسل أو غير ذلك، وازدادت العناية بالمدوّنات الحديثية الكبرى وبيان طرق اتّصالهم بها، وبأصحابها.

04– تطوّر التأليف في هذا الفن.

مرّت دواوين هذا الفن بما مرّت به غالب دواوين السنّة، فكانت مشيخات المتقدّمين **كتب متون حديثية**، مرتّبة على أسماء شيوخ أصحابها؛ أي رواية أحاديث، ثمّ تطوّر الأمر عند المتأخرين حتى صار أمرها **إلى رواية الدواوين المشهورة للسنّة**، واحتفظت بطريقة المتقدّمين في رواية بعض المتون الحديثية المفردة؛ كالمسلسلات، والأربعينيات، والبلدانيات، وغيرها.

وبالنظر إلى محتوى كتب هذا الفنّ وطرق التأليف فيه نجده **يمرّ بثلاث مراحل**:

الأولى : مرحلة رواية أحاديث الشيوخ ومروياتهم بأسانيدها.

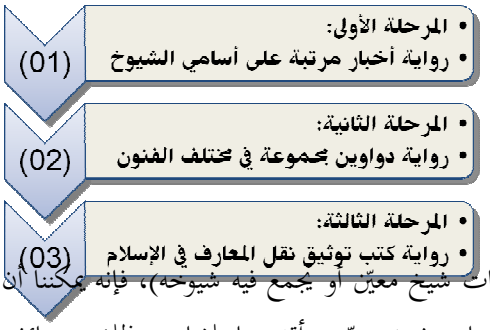

([1]) انطلاقا من التعريف الخاص بكتب هذا الفن: (الديوان الذي يجمع مرويات شيخ معيّن أو يجمع فيه شيوخه)، فإنه يمكننا أن نخص الكلام عن النشأة بأمرين: أحدهما:– ما كان الاهتمام فيه بجمع مرويات شيخ معيّن، وأقدم ما بلغنا من ذلك صحائف بعض الصحابة الكرام رضي الله عنهم، صحيفة جابر، والصحيفة الصادقة وغيرها، غير أن اصطلاح المحدّثين لم يكن يعدّ هذا الضرب في مفردات هذا الفنّ، إلا إن كان واقعا في المتأخرين.

والثاني:– ما كان الاهتمام فيه بجمع شيوخ شيخ معيّن، وهذا هو الأقرب إلى اصطلاح المحدثين المتقدّمين في هذا الفنّ،...

الثانية : مرحلة رواية دواوين العلوم الشهيرة بأسانيدها إلى مؤلفيها، مع المحافظة على بعض مظاهر المرحلة السابقة؛ كرواية بعض المسلسلات وتدوينها.

الثالثة: مرحلة رواية كتب توثيق نقل معارف الحضارة الإسلامية (فهارس ومشيخات وأثبات ومعاجم.. الخ) بأسانيدها إلى مؤلفيها أو من جمعت لهم، مع الحفاظ على بعض مظاهر الشكلين السابقين؛ كتدوين بعد المتون من مسلسلات، وأوائل كتب وغير ذلك.

يقول د. عبد العزيز الأهواني:"وإذا كان المحدّث القديم يذكر الأحاديث مسندة إلى الرواة الذين نقل عنهم فكتب البرامج تذكر المرويات مسندة إلى العلماء. والمرويات في كتب أو إن شئت مجموعات من الأحاديث مدوّنة بين دفّتين، وقد صار الراوي فيها عالما له مؤلفات أو حاملا لمؤلفات. وهذا تطور طبيعي نشأ عن حركة التدوين ومزاحمتها للرواية الشفوية، .. ثمّ انتقلت المسألة من تسجيل مجموعات الأحاديث إلى تسجيل كلّ أنواع المرويات في علوم الدين واللغة والأدب كما انتقل لفظ المعاجم من المحدثين إلى الطبقات التي يترجم لها فكانت معاجم الشعراء ومعاجم الأدباء ومعاجم البلدان أيضا..."[1]

وقد انتقل هذا المنهج في التوثيق من رحاب علم الحديث إلى غالب العلوم التي انتشرت في البلاد الإسلامية.

ثانيا – مظاهر الأهمية في كتب توثيق نقل المعارف، وفوائدها في فنون التحقيق :

لا يخفى على المهتمين بالتراث والثقافة والعلوم ما تضمره بطون هذه الكتب من موادّ خام، ومعلومات وتراجم نادرة، تمكّن من تشكيل صورة واضحة لكثير من مظاهر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والرّوحية والبرامج التعليمية، وغير ذلك مما يعوز المؤرخ؛ فهي مصدر مهمّ للمؤرخين والجغرافيين والمحدّثين، وهي الوصف الصّادق لكثير من مظاهر الحضارة الإسلامية،[2] ولعلّ من أهمّ مظاهر أهمّية محتوى هذه الكتب في إفادة محقّقي المخطوطات الأمور الآتية:

01– الإرشاد إلى مظانّ المخطوطات النَّادرة وأماكنها، ووصفها، وهذا كثير في الفهارس المفصلة، من أمثال فهرس الكتاني؛ الذي أورد فيه كثيرا من أخبار نوادر المخطوطات ونفائسها مما وقف عليه في مكتبات العالم الإسلامي؛ ومثاله ما ذكره فيه ترجمة ابن خير من خبر نسخته من صحيح مسلم؛ قال:" ..وبمكتبة القرويين بفاس إلى الآن نسخته [يقصد الحافظ ابن خير الإشبيلي] من صحيح مسلم، التي قابلها مراراً، وسمع فيها وأسمع؛ بحيث يُعَدُّ أعظم أصل موجود من صحيح مسلم في أفريقية، وهو بخط الشيخ الأديب الكاتب أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر الأموي الإشبيلي المالكي، فرغ منه سنة 573هـ، وعليه بخط المترجم أنه

([1]) **كتب برامج العلماء في الأندلس**، الأهواني: ص95.

(2) ينظر **فهرسة محمد بن الحسن الحجوي** المسماة **مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى**، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي(ت1376هـ)، تح: د.محمد بن عزوز، دار ابن حزم/ بيروت ومركز التراث الثقافي المغربي/ الدار البيضاء، ط1/ 1424-2003: ص8.

عارضه بأصول ثلاثة، معارضة بنسخة الحافظ أبي عليّ الجياني –شيخ عياض– وغيره من الأعلام، وكتب المترجم بهامشه كثيراً من الطرر والفوائد، والشرح لغريب ألفاظه، وشروح بعض معانيه، وفرغ من ذلك سنة 573 أيضاً."[1]

02– تصحيحها أوهام بعض المؤرخين، خصوصا في أخبار المتأخرين؛ فمن ذلك استدراك الشيخ عبدالحي الكتاني على الجبرتي تأريخه وفاة الشيخ أبي الفتح عثمان الشامي فقال:"ومن العجب أنّ الجبرتي أرّخ المذكور ممن مات سنة 1210 **مع أني وقفت له على إجازة كتبها لمحمد الشعاب المدني مؤرخة سنة 1213**."[2]

03– شرح مصطلحات مبهمة وضبط أسماء الأعلام والأماكن: وهو كثير في هذه الوثائق، مثاله : ما نقله الكتاني من ثبت أبي الخير المكي في شرح مصطلح مشيخة قال".... وهو لغةً من استبان فيه السن. قلت: ويطلق الشيخ مجازاً على المعلم والأستاذ لكبره وعظمه، وجمعه شيوخ. ثم استعملت المشيخة علماً على الكراريس التي يجمع الإنسان فيها شيوخه وهو اصطلاح قديم"[3]، والمميز في هذه الفوائد، أنّها تصدر من **متخصصين في مصطلحات فنّهم، وأنّ بعضها منقول من مصادر مفقودة، وبعضها منقول عن أربابه مشافهة أو عمّن سمعه منهم أو من خطوطهم** ..الخ.

ومثال ضبط الأنساب ما ذكره الكتاني أيضا في كثير من المواضع منها قول الكتاني:" البابلي: هو الإمام الحافظ المسند أبو عبد الله محمد بن العلاء البابلي المصري الشافعي، **وهو بكسر الباء الموحدة،** كذا نحفظه وسمعنا النطق به من الشيوخ، وضبطه شيخنا الشهاب أحمد الحضراوي المكي في ثبته **بضم الموحدة الثانية،** قال: " **نسبة إلى بابُل بالضم من أعمال أفريقية** (وهو غريب.)" [4]

ومنها قول الكتاني:"..... الأستاذ المحقق الأجل جلال الدين محمد ابن أسعد بن محمد بن عبد الرحيم البكري **الدواني، نسبة إلى دَوَّان – بفتح المهملة وتشديد الواو وتخفيف النون – موضع ببلاد فارس مما يلي شيراز،** الكازروني الشافعي."[5]

---

(1) **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات،** عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط2 / 1982.: 385/1، وينظر تنبيهه على ما وقف عليه من المخطوطات في الصفحات الآتية: (96/1)، (97/1)، (124/1)، وغير ذلك كثير.

(2) المرجع السابق : (102/1)، والمترجم هو : أبو الفتح الشيخ عثمان بن محمد الأزهري الشهير بالشامي الحنفي نزيل المدينة المنورة، له أوائل. المرجع السابق : (102/1)، و الجبرتي 2/ 263 والزركلي 4/ 377.

(3) المرجع السابق: 624/2.

(4) المرجع السابق: 210/1.

(5) المرجع السابق: 202/1.

ومن ذلك قول الكتاني:"...وقفت على إجازة المترجم أحمد بن قاسم المذكور العامة لولده أحمد الملقب زروق ورفيقه محمد بن عليّ السعيدي **الجعفري – نسبة إلى الجعافرة عرب بناحية قسمطينة** – المعروف بمفتي قسمطينة.."[1]

04– بيان أصول المادة العلمية لبعض الكتب(السرقات العلمية): ومثال ذلك ما ذكره الكتاني في كلامه عن (المعجم المختصّ) للسيد مرتضى الزبيدي بأنّه كان مصدرا لجلّ ما كتبه الجبرتي في تاريخه (عجائب الآثار) قال:" ومن أغرب ما يذكر هنا أن هذا المعجم [يعني المعجم المختصّ] هو من أكبر مواد الجبرتي في تاريخه، فلو شئت أن تقول إن جميع تراجم العلماء من أهل القرن الثاني عشر التي فيه مأخوذة باللفظ من هذا المعجم لم يبعد، حتى إنه ينقل قول السيد: حدثني فلان بلفظه ولا يتنبه، ويسوق الترجمة بنصها، ويكون السيد لم يذكر وفاته لكونه عاش بعده، فإذا جاء للوفاة غلط فيها وأخطأ، ... وإنما زاد الجبرتي بتراجم بعض الأمراء والقواد ورؤساء الأجناد وبعض اليهود، وبالجملة فنفسه في تراجم المشاهير ممن ترجم لهم الحافظ الزبيدي نفس المحدثين والمؤرخين، ولما انقطع ما كتبه السيد صار يكتب على غير تلك الطريقة، .... ومع أكْلِ الجبرتي لمعجم السيد هذا أكلاً لما، لم يكن يبقي ولا يذر قدحاً فيه ولمزاً، والحسد قتال، وعند الله تجتمع الخصوم." [2]

05– الوصف الدّقيق لبعض الكتب المفقودة وبيان مناهج تأليفها: وأبدع ما بلغنا خبره في هذا الباب ما ذكره الكتاني في وصف نسخة كان يمتلكها من المجلد الأول من كتاب (كنز الرواية المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع) لأبي مهدي الثعالبي. فهو ينقل وصف العلماء لها ثمّ يصف ما وقع بين يديه منها.

فقد نقل عن أبي الطيب الشرقي قوله:" كنزه هذا من أعظم الكنوز وأثمنها وأوعاها، في مجلدين."[3] وقال تلميذه أبو سالم العياشي يصف الكتاب:" هذا تأليف سلك فيه مسلكاً نفيساً، ورتبه ترتيباً غريباً جمع فيه من غرائب الفوائد شيئاً كثيراً، وهو إلى الآن لم يكمل، وإذا منّ الله بإكماله يطلع في عدة أجزاء، والمسلك الذي سلك فيه أنه رتبه على أسماء شيوخه، يبدأ أولاً بالتعريف بالشيخ وذكر مؤلفاته ومقروءاته وأسماء شيوخه حتى يستوفي جميع ذلك، ثم يذكر مقروءاته هو عليه، وما قرأ عليه من المؤلفات، ثم يذكر سند شيخه إلى ذلك المؤلف، فيكتب شيئاً من أوله، ثم يعرّف بمؤلف ذلك الكتاب أبسط تعريف، مع ما يتبع ذلك من الفوائد والضبط، وكذلك يفعل في كل شيخ من شيوخه، وفي كل مؤلَّف قرأه عليه، أو شيئاً منه، فاستوفى بذلك تواريخ غالب الأيمة المؤلفين وأسانيد مؤلفاتهم، وذلك مما يدل على اعتناء عظيم، وحفظ عظيم، ومطالعة واسعة. والحاصل أن هذا المؤلف نزهة الناظرين وغبطة السامعين ورغبة الطالبين..."[4]

---

(1) المرجع السابق: 239/1.

(2) المرجع السابق: 623/2.

(3) المرجع السابق: 502/1.

(4) ينظر المرجع السابق: (501/1).

وقد طلب المؤلف من تلميذه ورفيقه أبي سالم العياشي عمل خطبة للكتاب جعلها أوله، وقد أثبتها العيّاشي في رحلته (ماء الموائد).

قال الكتاني:" الجزء الذي عندي[1] ترجم فيه لأبي الحسن عليّ بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي الجزائري، وأبي الحسن الأجهوري، وأبي محمد عبد الكريم الفكون القسمطيني، والشمس محمد بن عبدالفتاح الطهطائي القاهري، والشيخ تاج الدين بن أحمد المالكي المكي، وأبي القاسم ابن جمال الدين القيرواني، وأبي عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري، المعروف بقَدُّورَة، استغرق المجلد كله تراجم هؤلاء الشيوخ السبعة، وذلك أنه يذكر ترجمة الشيخ ومقروءاته عليه، فإذا ذكر كتاباً ذكر طالعته، وعرّف بصاحبه، وبعض فوائده وأشعاره، إلى ضبط غريب، وذكر وفاة، وتحرير نسب ونحوه؛ مما **صار به هذا الثبت حجة المتأخرين على المتقدمين**، وديوان خير علماء الأمة أجمعين، ولو كمل لخرج في مجلدات عشرة أو أكثر، لأن أبا مهدي كان كثير الأشياخ."[2]

ويسهب المؤلف في الترجمة فيتوسع في تراجم من يذكرهم توسعا فائقا، حتى استغرقت ترجمة الأجهوري من هذا الكتاب سبعة كراريس.[3]

وقال الكتاني في سياق وصفه صلة الخلف للروداني:"..ليس في فهارس أهل ذلك القرن الحادي عشر بالمشرق والمغرب ما يشابهها أو يقاربها **عدا كنز أبي مهدي الثعالبي** فإنه أجمع وأوسع..."[4]

06- بيان المناهج العلمية وكتب التدريس التي كانت سائدة في مكان أو زمان معيّن: وفهرست ابن خير الإشبيلي ديوان حافل بما كان يدرس من كتب العلوم المختلفة في البيئة الأندلسية، وكذلك الأمر بالنسبة لبرنامج الوادي آشي، وغالب فهرسات المغاربة وبرامج الأندلسيين.

07- بيان البيئة العلمية والاجتماعية والسياسية التي اكتنفت كثيرا من التآليف، وهي معلومات يتصيدها المحققون لكونها تحلّ كثيرا من عقد المتون المحققة، وتزيد من فهم المصطلحات المحلية التي تزخر بها كثير من المخطوطات، وتضع القارئ في الإطار الزماني والمكاني للمتن المقروء.

08- تحديد الرحلة التاريخية لبعض المخطوطات القيمة، وذلك ما نجده -مثلا- في صلب المقالة التي قدّمها العلامة بن أبي شنب لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي عقد بالجزائر بعنوان (كيفية وصول صحيح البخاري إلى أهالي مدينة الجزائر- DE LA TRANSMISSION DU RECUIL DE BOKHARY AUX HABITANTS D'ALGER)، فقد اعتمد فيها على سلاسل

---

(1) قال الكتاني:" ظفرت منه بالمجلد الأول، وهو عندي عليه خط مؤلفه بالمقابلة والتصحيح.." المرجع السابق: (500/1).

(2) المرجع السابق: (500/1).

(3) المرجع السابق: (784/2).

(4) المرجع السابق: (426/1)؛ ذكر ذلك في سياق ترجمته لمؤلفها.

إسنادية، تبين الطريق التي أوصلت هذه الكتاب من بلاد فارس إلى هذه المدينة من خلال الشخصيات العلمية والرواة التي الذين تضمنتهم تلك السلاسل.[1]

09- نقل بعض الفوائد النادرة عن بعض الأكابر ممن لم يدونوا علمهم في كتاب، وهذا كثير جدا في متون هذه الوثائق.

10- توثيق عملية نقل ونسخ الدواوين المخطوطة للحضارة الإسلامية، خصوصا من خلال شهادات القراءة والسماع المثبتة عليها.

وعلى الجملة فإنّ هذا الصّنف من الكتب يحوي فوائد توثيقية جمّة، في تخصصات علمية متنوعة؛

يقول د.بشار عواد:" وتمتاز هذه المعاجم والمشيخات بثروة معلوماتها عن أحوال العالم الإسلامي في الأمور السياسية والاجتماعية والدينية، والاقتصادية، والتاريخية، والجغرافية، والعلمية، والخططية، والثقافية، والعمرانية. كما تجد فيها ذكرا لأماكن الدّراسة كالمساجد، والربط، والخوانق، والمدارس، **ومجالس الإملاء**، ... فكانت كالسِّجِلّ الحافل للمجتمع الإسلامي وللمشايخ بوجه خاصّ."[2]

ويقول د.محمد بن عزوز في أهمية هذا الضرب من التصنيف:" والفهرسة لها أهمّية بالغة وفائدة عظيمة في حفظ نموذج تاريخي مهمّ عن حياة الشيخ العلمية، وذلك فيما يتجلى إخبارا عن حلقاته العلمية، ووفيات من تلقى عنهم العلم، وتواريخهم والدروس التي كانوا يأخذها، **والكتب المعتمدة لديه**، إضافة إلى الأسانيد والمرويات، وسرد الأحداث الواقعية، والخرافية أحيانا، والرحلات العلمية وغيرها من الفوائد الجمّة التي تترجم واقعا ملموسا لحياة الشيخ، فهي من المصادر الغنية التي لا يستغني عنها طالب علم. ***لهذه المزيّة اهتمّ بها العلماء كثيرا*** وجعلوها أكثر ترويجا، فقلما تجد شيخا إلا وله فهرسة، أو ثبتا، أو برنامجا يسجّل فيه تراثه العلمي."[1]

---

(1) ينظر أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين:

ben cheneb (Mohammed), ***DE LA TRANSMISSION DU RECUIL DE BOKHARY AUX HABITANTS D'ALGER****, (RECUIL DE MEMOIRES ET DE TEXTES publie en l'honneur du XIVe CONGRES DES ORIONTALISTES, PAR LES PROFESSEURS DE L'ECOLE SUPERIEURE DES LETRES ET DES MEDERSAS, ALGIERS 1905, KRAUS REPRINT, (pp99-115) NendelnL Liechtenstein, 1968.)*

(2) ينظر مقدمة تحقيق **مشيخة النعال البغدادي**، تخريج الحافظ المنذري، مطبعة المجمع العلمي العراقي: 1395-1975: ص14.

ثالثا:– ريادة العلامة ابن أبي شنب في تعريف المستشرقين بهذا الفنّ.

كنت قد رصدت –في بعض أبحاثي– الدراسات التي تتبعَتْ فن الرواية عند المسلمين، فوجدت للمستشرقين في ذلك عناية فائقة، وقد تتبعْتُ المسألة ورتبت تلك الجهود زمنيا؛ فألفيت علامة الجزائر **(محمد بن أبي شنب)** كان قد قدّم في الموضوع دراستين باللغة الفرنسية، نشرهما في أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين الذي أقيم بالجزائر العاصمة سنة 1905م[2]، وكان ذلك فاتحة الدّراسات في هذا الموضوع، وهذا الصنف من الكتب، فكل من جاء بعده من المستشرقين أو المسلمين نسج على منواله، أو أسّس على منهجه[3]، **لأنّه تقدّم إلى هذا المؤتمر بأنموذجين؛ هما أهمّ مظهرين للدراسات المتعلّقة بهذا الصنف من الكتب**، بيّن بأحدهما كيفية دراسة مثل هذه الكتب، ومثّل بالثاني لكيفية الإفادة مما فيها في التأريخ لأمر معيّن؛ والدّراستان هما:

أ– ***دراسة عن الأعلام المذكورين في إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي***، نشرت في أعمال المؤتمر المذكور سنة 1905م، ثمّ نشرت بعد ذلك سنة 1907م، في كتاب مستقلّ من (560 صفحة).[4]

ب– ***دراسة حول كيفية وصول صحيح البخاري إلى أهالي مدينة الجزائر***، استنبطها من خلال استثمار بعض أسانيد وإجازات أعلام مدينة الجزائر ومشايخها عبر القرون.[1]

---

(1) محمد بن عزوز ، مقدمة تحقيق **الفهرسة الصغرى والكبرى لأبي عبد الله محمد التاودي بن سودة** : ص38.

(2) ينظر؛ أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين: ***Actes du (XIVe)congres International des oriontalistes***, *tome (I,IV), Algiers 1905. (RECUIL DE MEMOIRES ET DE TEXTES publie en l'honneur du XIVe CONGRES DES ORIONTALISTES, PAR LES PROFESSEURS DE L'ECOLE SUPERIEURE DES LETRES ET DES MEDERSAS, ALGIERS 1905, KRAUS REPRINT, Nendeln/Liechtenstein, 1968).* المجلّة الإفريقية عدد خاص بسنة 1905.

(3) اعتنى قبله المستشرق الإسباني فرانسشكة كوديرا زيدين وتلميذه خلين ربارة بنشر فهرسة ابن خير الشهيرة، غير أنّهما لم يصدرا الكتاب بأي كلام عن هذا الصّنف من الكتب، بل اقتصرا على التعريف بالكتاب وبمؤلفه ونسخته المخطوطة، ثمّ نشر النصّ كما هو، فلم أعدّ ذلك في الدراسات السابقة. ينظر ترجمة مقدمة المحققين: من صفحة(هـ–ص)، أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي(502–575)، **فهرسة ما رواه عن شيوخه**، مكتبة الخانجي/ القاهرة. نقلا عن الأصل المطبوع بسرقسطة سنة 1893م.

(4) ينظر الكتاب في الجزء الرابع من أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين بالجزائر سنة 1905:

ben cheneb (Mohammed), ***Etude sur les personages mentionnes dans l'edjaza du cheikh abd el qadir el fasy****,(Extrait du tome (IV)des actes du (XIVe)congres International des oriontalistes) PARIS, ERNEST LEROUX, EDITEUR, 1907.*

ولعلّني لا أجانب الصّواب إن قلت **بأنّ ابن أبي شنب** هو أوّل من شنّف آذان المستشرقين بكلام علمي عميق في هذا الفنّ، **وأنّ هذا البحث** هو أقدم دراسة تتناول تاريخ الحديث الشريف وروايته في الجزائر؛ يقول د.أبو القاسم سعد الله:" وبالنسبة لرواية الحديث نذكر أنّ محمد بن أبي شنب قدّم دراسة سنة 1905 إلى مؤتمر المستشرقين بالجزائر. وقد تناول فيها كيف انتقل صحيح البخاري إلى الجزائريين، وكيف ظلوا على روايته وسنده عبر العقود."[2]

كما أزعم **أنّه أول دراسة واستثمار** في فنّ توثيق الرّواية عند الدارسين المسلمين وغيرهم في العصر الحديث، وهذا بحسب ما وقفت عليه بعد أن اجتهدت في تعقّب الدراسات المتعلّقة بهذا الموضوع قديما وحديثا.

كما أنّني أرجّح أن يكون ذلك قد نبّه ثلة من المستشرقين لأهمية هذه الوثائق وعظيم خطرها؛ فانكبوا على تمحيصها والنّظر فيها، والاستفادة منها بكل الطرق، وقد عالجوا ذلك بالدراسات المستقلّة، أو بتحقيق بعض المشيخات المهمّة وترجمتها ودراستها في آن واحد، أو بتسليط الضوء على جوانب تستفاد منها، قلت(أرجّح ذلك)؛ لأنّ أكثر المشتغلين بهذا الفنّ هو الاستشراق الفرنسي، وكلّ بحوثهم قد صدرت بعد ذلك المؤتمر، وكان أكثر المستشرقين ولعا بهذا الموضوع هو المستشرق الفرنسي (جورج فاجدا 1908-Georges Vajda)(1981)، الذي نشر فيه دراسات متعددة، فقد حقق ونشر – لوحده– مجموعة كبيرة من كتب هذا الفن مترجمة إلى الفرنسية، ومصحوبة بدراسات تحليلية لمحتوياتها، وقد جمعت له المستشرقة نيكول كوتار (Nicole COTTART) كتابا بعنوان (**نقل المعرفة في الإسلام**: من القرن 7 إلى القرن 18م)[3] ؛ جمعت فيه غالب ما له من بحوث منشورة متعلقة بموضوع نقل المعارف عند المسلمين، كما أعدّت تلميذته المستشرقة الفرنسية (جاكلين سوبلي Jacqueline SUBLET) قائمة بعناوين أكثر أعماله المنشورة.[4]

ويُضاف إلى ذلك عناية ابن أبي شنب بإخراج بعض كتب هذا الفنّ، وما يتعلّق بها من كتب التراجم؛ كرحلة الشيخ ابن مسايب من تلمسان إلى مكّة،

---

(1) ينظر أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين: *ber[illegible]ammed), OP.CIT, (Pp99-115)*

(2) تاريخ الجزائر الثقافي: 47/7.

(3) ينظر: *Georges Vajda, La transmission du savoir en Islam(VIIe-XVIIIe siecles,Edite par Nicole COTTAR T, Variorumreprints, London 1983.*

(4) ينظر: أعمال جورج فاجدا: *Jacqueline SUBLET,* ***BIBLIOGRAPHIE DE GEORGES VAJDA (1908-1981)*** *, (Arabica, tomeXXIX, 198?(Pp 315-329).*

أرابيكا؛ مجلة الدراسات العربية، مجلد 24، سنة (1982م)، ص315-329)، ولم تغفل في هذه القائمة إلا القليل من أعماله.

والرّحلة الورتيلانية، للشيخ الحسين الورتيلاني المسماة (**نزهة الأنظار في نقل علم التاريخ والأخبار**)، وكتاب (**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني عام 1908**)، و(**عنوان الدّراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة في بجاية للغبريني 1910م**)، وغير ذلك.

رابعا:– عناية المستشرقين بوثائق فنّ توثيق نقل المعارف.

انتبه ثلة من المستشرقين لأهمية هذه الوثائق وعظيم خطرها؛ فهو الفنّ الذي لا نظير له في تراثهم أو تراث الأمم الأخرى، فانكبوا على تمحيصها والنظر فيها، والاستفادة منها بكل الطرق، وقد عالجوا ذلك بالدراسات المستقلّة، أو بتحقيق بعض المشيخات المهمّة وترجمتها ودراستها في آن واحد، أو بتسليط الضوء على جوانب تستفاد منها.

وقد لاحظ علاّمة الجزائر د.ابن أبي شنب –كما ذكرت آنفا– الفضول العلمي الذي أبداه المستشرقون تجاه الكيفية التي ابتكرها المسلمون لنقل ذلك تراثهم، فكان ذلك مسوّغا مناسبا لاختياره موضوعي بحثين شارك بهما في فعاليات مؤتمرهم المنعقد بالجزائر سنة(1905م)؛ أحدهما بعنوان (**كيفية وصول صحيح البخاري إلى أهالي مدينة الجزائر**)، والثاني بعنوان (**دراسة عن الأعلام المذكورين في إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي**)، وإنّ **المتتبّع** للدراسات الاستشراقية في مجال العناية بكتب توثيق الرواية عند المسلمين، **يقف على زيادة كبيرة في الاهتمام بها بعد هذا المؤتمر**، فتخصّص ثلّة من المستشرقين لدراسة هذه الظاهرة العلمية، وهذا أهم ما وقفت عليه من أعمالهم في العناية بهذا الجانب من تراثنا، أو وقفت على ذكره:

(1)- **المستشرقة الفرنسية جاكلين سوبلي** (*Jacqueline SUBLET*)، لها دراسة عن(المشيخة الباسمة للحافظ ابن حجر) بعنوان؛ [شيوخ ودراسات أثريّيْن من الحقبة المملوكية، المشيخة الباسمة للقبابي وفاطمة لابن حجر العسقلاني: دراسة تحليلية؛

Les Maitres et Les Etudes de deux traditionnistes de L'epoque mamlouke (AL-MASYAHA AL-BASIMA LIL-QABABI WA FATIMA DE IBN HAGAR AL-ASQALANI) Etude analytique[1]

(2)- **المستشرق بيدرو شالميتّا** (*Pedro CHALMETA*)، له ترجمة وتحقيق لبرنامج ابن الربيع ؛

([1]) بحث منشور في نشرية الدراسات الاستشراقية، ج20، دمشق 1967م، ينظر:

Jacqueline SUBLET, ***Les Maitres et Les Etudes de deux traditionnistes de L'epoque mamlouke (AL-MASYAHA AL-BASIMA LIL-QABABI WA FATIMA DE IBN HAGAR AL-ASQALANI)*** Etude analytique, Bulletin d'Etudes Orientales, tome XX, damas, 1967. (PP 11-99)

LE BARNAMAG)

D'IBN ABI L-RABI'(.[1]

(3)- **المستشرق ج. ل. ميشون** (*J.L.MICHON*)، كتب بعنوان؛ الترجمة الذاتية(الفهرسة) للصوفي المغربي أحمد بن عجيبة (1747-1809)؛

L'auto biographie (FAHRASA) Du Soufi Marocain AHMED]

IBN 'AGIBA(1747-1809).[2]

(4)- وكتب **المستشرق** (*CH. Pellat*) عن مصطلح (**فهرسة**/ *FAHRASAT*) في موسوعة الإسلام.[3]

(5)- وقد ذكر د. عبد الله الترغي أن **المستشرق** الإسباني **فوريناس** قد قام بدراسة بعض المشيخات والبرامج الأندلسية، ولم يتيسّر لي الاطلاع على شيء من ذلك بعد.[4]

خامسا:- المستشرق (جورج فايدا) وكتب توثيق معارف الحضارة الإسلامية :

(1) التعريف بهذا المستشرق[5]:

---

(1) بحث منشور في مجلة أرابيكا، ينظر: PEDRO CHALMETA, ***LE BARNAMAG D'IBN ABI L-ARABI'***, ARABICA, TOME xv, LEIDEN, 1968. (PP183-208)

(2) وقفت على أحد أجزاء الفهرسة فقط، ينظر: ***L'auto biographie (FAHRASA) Du Soufi Marocain AHMED IBN 'AGIBA*** (1747-1809), ARABICA XVI, 1969. (PP 25-64)

(3) ينظر مادة (FAHRASAT)، في : (Encyclopedie de l'Islam2, III. P 762)

(4) ينظر: **فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية ق12هـ: منهجيتها – تطورها – قيمتها العلمية**، الترغي؛ عبدالله المرابط، (أطروحة دكتوراه) في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي/ تطوان- المغرب الأقصى؛ ط1/ 1420هـ-1999م.: ص8.

(5) Georges Vajda est né à Budapest en 1908 et s'installa à Paris en 1927. Il fut le maître incontesté des Études juives en France au XXe siècle.
Aux compétences immenses dans le domaine du judaïsme il alliait aussi une culture classique forte et une activité importante en islamologie.
Il laisse une œuvre scientifique considérable, des livres bien connus mais aussi un millier d'articles ou conférences.

ولد جورج فايدا (Georges Vajda) في بودابيست سنة 1908، استقرّ بباريس بداية من سنة 1927، ودرس بها على ألمع أساتذة الاستشراق الكبار أمثال غودفروي وماسينيون وغيرهما.

نبغ في الدّراسات اللاهوت اليهودي في فرنسا بعد الحرب العالمية الثّانية، وتعاطى التدريس ليسهم في تكوين جيلين من الأساتذة والحاخامات اليهود في فرنسا.

كما نبغ في دراسة التراث الإسلامي، فكتب عن مواضيع في موسوعة الإسلام؛ وكتب عن التراث الإسلامي، والفلسفة، وتاريخ الفكر، وتحليل وفهرسة المخطوطات، وفي علم الكتابات القديمة، ودراسة الوثائق الببليوغرافية خصوصا ما يتعلق منها بنقل المعارف.[1]

شغل مناصب هامّة في المكتبة الوطنية بباريس، وفهرس مخطوطاتها العربية، وكان له نفَس طويل في التدريس، وكان آخر نشاطاته مرتبطا بمعهد بحوث الخاص بتاريخ النصوص (Institut de Recherche et d'Histoire des textes).

توفي هذا المستشرق في 11 أكتوبر 1981، وهو عاكف على العمل على [مجموعة من] المخطوطات العربية 6888 والعبرية رقم 738 و261 من المكتبة الوطنية الفرنسية، مع العمل على محاولة تحليلية لكتاب المحلّى لابن حزم."[2]

ترك رصيدا علميا معتبرا؛ ما يقارب الألف من المقالات والمحاضرات، وعددا من ترجمات نصوص غير منشورة بعد.[3]

حاولت المستشرقة جاكلين سوبلي تتبع المسيرة العلمية لهذا المستشرق من خلال عرضها لبيبليوغرافيا مؤلفاته في ترتيبها الزمني، فذكرت "بأنّ مجموعة مؤلفات جورج فايدا تشهد له بالتنوع والتبحر في مجاله المعرفي؛ ... [دراسات] تخصّ علاقات اليهود بالمسلمين في العصور الوسيطة، وأخرى تخصّ بعض الأقليات في البلدان

Pour Georges Vajda l'érudition et la science qu'il cultiva à l'extrême n'étaient pas une fin en soi, mais la condition "sine qua non" d'une vie intellectuelle et spirituelle qui se donne les moyens et honore les exigences de toute quête de vérité. http://fr.wikipedia.org/wiki/Georges_Vajda

(1) ينظر مقدمة نيكول كوتار لكتاب **نقل المعارف في الإسلام**: ص4 / Georges Vajda, ***La transmission du savoir en Islam***, OP. CIT

(2) مترجم من مقال بعنوان: بيبليوغرافيا جورج فايدا(1908-1981)، للمستشرقة: جاكلين سوبلي، بتصرف.

Sublet, J. ***Bibliographie De Georges Vajda (1908-1981)***. OP, CIT, pp. (315-329)

(3) ينظر: ***Encyclopedia Judaica***, 2nde edition, P.Fenton, Bibliographie de l'oeuvre de G.Vajda, 1991

الإسلامية، عناية بدراسة الفلسفة اليهودية والفكر الإسلامي، وأبحاث تدور حول موضوع (**نقل المعرفة عند المسلمين**)، مع جمع وتحليل لمخطوطات كثيرة في مختلف المكتبات.

وسوف أحاول عرض قائمة منتقاة من قائمة هذه المستشرقة مستدركا عليها بعض ما أغفلت ذكره مما يخصّ أبحاثه المتعلّقة بنقل المعارف عند المسلمين.

(2) – ببليوغرافيا المستشرق (جورج فايدا) حول موضوع نقل المعارف عند المسلمين:

لهذا المستشرق عناية فائقة واهتمام كبير بدراسة هذا الموضوع عند المسلمين، وله فيه دراسات منشورة متعددة؛ فقد حقق ونشر –لوحده– مجموعة كبيرة من كتب هذا الفنّ، مترجمة إلى الفرنسية، ومصحوبة بدراسات تحليلية لمحتوياتها، وقد جمعتْ له المستشرقة نيكول كوتار (*Nicole Cottart*) كتابا بعنوان (**نقل المعرفة في الإسلام**–*La transmission du savoir en Islam* : من القرن 7 إلى القرن 18م)[1] ؛ جمعتْ فيه غالب ما له من بحوث منشورة متعلقة بموضوع نقل المعارف عند المسلمين، كما أعدّت تلميذته المستشرقة الفرنسية (جاكلين سوبلي– *Jacqueline Sublet*) قائمة بعناوين أكثر أعماله المنشورة[2]، وهذا سجلّ بأهمّ ما نشره في هذا الموضوع[3]:

أ– (***فتوح الوقت***)؛ حققه مع دراسة موجزة، ونشره بعنوان: [**ثبت إجازات الخليفة الناصر لدين الله** سنة 1959م.[4]

ب– ترجمة ودراسة وتحقيق **لمعجم شيوخ عبد المؤمن الدمياطي**(ت705هـ)، بعنوان [**معجم أجازات عبد المؤمن الدمياطي**؛ نشره في النشرية الإخبارية لمعهد البحث وتاريخ النصوص بباريس، سنة 1962م.[5]

---

(1) ينظر: Georges Vajda, ***La transmission du savoir en Islam***(VIIe–XVIIIe siecles), OP, CIT.

(2) ينظر: أعمال جورج فاجدا: Sublet, J. ***Bibliographie De Georges Vajda (1908–1981)***. OP, CIT, pp. (315–329)

أرابيكا؛ مجلة الدراسات العربية، مجلد 24، سنة (1982م)، ص315–329)، ولم تغفل في هذه القائمة إلا القليل من أعماله.

(3) وقفتُ على أكثر أعماله في مصادر نشرها الأصلية في الدوريات التي سأذكرها في مواضع التوثيق.

(4) ينظر مجلة الدراسات العربية (أرابيكا / Arabica):

Une Liste d'autorites du Calife al–Nasr li–Din Allah, ARABICA (VI), leiden, 1959. (pp 173–177)

(5) ينظر: ***Le dictionnaire des autorites de Abd al–Mu'min ad–Dimyati,*** La publications de l'I.R.T.H, C.N.R.s, Paris 1962.

ت- ترجمة ودراسة وتحقيق لكتاب (***تحفة أهل الحديث في إيصال إجازات القديم بالحديث***) لابن العمادية الاسكندراني(673هـ)، نشره في المجلة الآسيوية بباريس، بعنوان [**ثبت إجازات منصور بن سليم وجيه الدين الحمداني**]، سنة 1965م.[1]

ث- تحليل وتعليق على كتاب (***الوجيز في ذكر المجاز والمجيز***) للسلفي، نشره في النشرية الإخبارية لمعهد البحث وتاريخ النصوص بباريس، سنة 1966.[2]

ج- ترجمة ودراسة وتحقيق ***مشيخة ابن الحطّاب؛ أبي عبد الله الرازي***(ت525هـ)، نشره في نشرية الدّراسات الاستشراقية (مج 23)، دمشق، سنة 1970م.[3]

ح- ترجمة ودراسة وتحقيق ***مشيخة عبد القادر اليونيني***(747هـ) نشره في المجلة الآسيوية سنة 1971م.[4]

خ- كتب عن مادّة (***إجازة*** / *Idjaza*) في الموسوعة الإسلامية(صفحتين).[5]

ولهذا المستشرق اهتمام بالغ بالبحث عن تاريخ نقل نصوص كثير من الكتب الإسلامية، من خلال تتبع السماعات والإجازات المثبتة على المخطوطات العربية ودراستها[6]؛ من ذلك ما يأتي:

---

(1) ينظر: Le Journal Asiatique (CCLIII), Paris, 1965. (pp341-406)

(2) ينظر البحث المنشور: ***Un opuscule inedit d'as-Silafi***, Bulletin d'information de l'Institut de Recherche et d'Histoire des Textes 14, Paris,1966.(pp85-92)

(ذكر محمد خير البقاعي في تحقيق الوجيز في ذكر المجاز والمجيز للسلفي (ص204) أنّه ترجم هذا المقال إلى العربية، وأنه سينشره مع التعقيب عليه في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ولم أطّلع عليه بعد)

(3) ينظر: ***la masyaha d'Ibn al-hattab al-Razi***, contribution al'histoire du sunnisme en Egypte Fatimide, Le Bulletin d'Etudes Orientales (XXIII), Damas, 1970. (pp 21-99)

(4) ينظر : ***La masyaha d'Abd al-Qadir al-Yunini,*** Le Journal Asiatique (CCLIX Paris,1971. (pp 223-246)

(5) ينظر : Encyclopedie de l'Islam2, III. (Pp 1046-1047)

(6) أتاح له ذلك إشرافه على تأليف فهرس عام للمخطوطات العربية والإسلامية في المكتبة الوطنية [الفرنسية] بباريس، ينظر :

Index general des manuscripts Arabes musulments de la Bibliotheque National de Paris, de l'Institut de Recherche et d'Histoire des Textes, IV, C.N.R.S) Paris, 1953.

1- شهادات النقل في المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس(مقال).[1]

2- بعض شهادات القراءة في المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس.[2]

3- شهادات القراءة والنقل في المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس؛ كتاب درس فيه عددا كبيرا من السماعات والإجازات المثبتة على (72) كتاب من تلك المكتبة.(كتاب).[3]

4- نقل [كتاب] الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، للخطيب البغدادي.[4]

5- نقل مشيخة ابن البخاري اعتمادا على مخطوطة من المكتبة السليمانية بإسطنبول.[5]

6- ست شهادات سماع من المنطقة العليا لما بين النهرين وغرب إيران.[6]

7- من النقل السماعي للمعرفة في الإسلام التقليدي.[1]

---

(1) مقال منشور في النشرية الإخبارية لمعهد البحث وتاريخ النصوص، مج3، لسنة 1954، ينظر:

Les certificats de transmission dans les manuscripts Arabes de la Bibliotheque National de Paris, Bulletin d'information de l'Institut de Recherche et d'Histoire des Textes 3, Paris, 1954. (pp 107-110)

(2) مقال منشور في (مج1) من مجلة (أرَبِكا / Arabica)، سنة 1954م، ينظر:

Quelques certificats de transmission dans les manuscript Arabes de la Bibliotheque National de Paris, Arabica (I), Leiden, 1954. (pp 337-342).

(3) صدر الكتاب سنة 1956م، عن المركز الوطني [الفرنسي] للبحث العلمي، ونشره معهد البحث وتاريخ النصوص، ينظر:

Les certificats de transmission dans les manuscripts Arabes de la Bibliotheque National de Paris, Bulletin d'information de l'Institut de Recherche et d'Histoire des Textes 3, Paris, 1956.

(4) نشره في (ج4) من مجلة الدراسات العربية(أرَبِكا / Arabica)، سنة 1957م. ينظر:

La transmission de la Kifaya fi ma'rifat usul 'ilm al-riwaya, d'al-hatib al-Bagdadi, Arabica (IV), Leiden, 1966.(pp304-307)

(5) نشرها في مجلة الدراسات الاستشراقية الإيطالية سنة 1974م. ينظر:

La transmission de la masyaha d'Ibn al-Buhari d'apres Le manuscrit Reisulkuttab 262 de la Bibliotheque Suleymaniye d'Istanbul, Rivista degli studi orietali (XLVIII). Roma,1974. (pp 55-74)

(6) نشرها في مجلّة (أرَبِكا / Arabica)، سنة 1974م، ينظر:

Six certificates d'audition de la Haute Misopotamie et de l'Iran occidental, Arabica XXI, Leiden, 1974.

8- *اقتباسات تخصّ التاريخ الأدبي للقرون(7-13) في معجم شيوخ الدمياطي*.[2]

ولا يخفى على المحقق ما لهذه السماعات من أهمّية كبيرة في معرفة تاريخ النسخ المخطوطة، وبيان قيمتها العلمية والتاريخية لدى المتخصّصين، وقد أوضح جانبا من ذلك في ثنايا كلامه عن *النقل السماعي للمعرفة في الإسلام التقليدي*[3].

وله -أيضا- عددٌ من المقالات المنثورة في بعض الدّوريات؛ كلها تدور حول موضوع المشيخات والسّماعات المثبتة على المخطوطات العربية.[4]

(3) عرض موجز لكتاب (نقل المعارف في الإسلام – La transmission du savoir en Islam):

هو كتاب يقع في 330 صفحة، جمعت فيه المستشرقة نيكول كوتار (*Nicole COTTART*) مجموعة من أعمال المستشرق (جورج فايدا *Georges Vajda*,) تتعلّق بموضوع **نقل المعارف عند المسلمين** خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين (السابع والثامن عشر الميلاديين) [*Georges Vajda, La transmission du savoir en Islam (VIIe-XVIIIe siecles)*].

وقد احتوى الكتاب على مقدمة لجامعة الكتاب نيكول كوتار(*Nicole COTTART*)، يليها تقديم موجز للنصوص بقلم المستشرقة جاكلين سوبلي(*Jacqueline SUBLET*)، لتعرض علينا بعدها جامعة الكتاب مجموعة من ثمانية عشر عملا علميا منشورا لفايدا في مجلات متخصصة.

وهذه قائمة بتلك الأعمال على الترتيب المثبت في فهرس محتويات هذا الكتاب، وفيها بعض ما ذكرناه آنفا:

---

(1) نشره في (مج4) من مجلة (المعرَّب / L'Arabisant) الصادرة عن الجمعية الفرنسية للمعرَّبين، سنة 1975م، ينظر:
L'Arabisant ,***De la transmission orale du savoir dans l'Islam traditionnel*** (IV),Association FranÇaise des Arabisants, Paris,1975.(pp1-9)

(2) نشره في مجلّة (أرَبِكا / Arabica)، سنة 1961م، ينظر: ***Glanes Interessant l'histoire litteraire du VIIe/XIIIe siecles dans le Mu'gam al-suyuh d'al-Dimyati,*** Arabica VI, 1959, (pp 173-177)

(3) ينظر بحث فاجدا ***De la transmission orale du savoir dans l'Islam traditionnel***: ص6-7.

(4) ينظر الكتاب والبحث السالف ذكرهما : ***La – Bibliographie de Georges VAGDA transmission du savoir en Islam (VIIe-XVIIIesciecles)***, OP, CIT.

1–(من النقل السّماعي للمعرفة في الإسلام التقليدي)

De la transmission orale du savoir dans l'Islam traditionnel

(pp 1-9) L'Arabisant (IV pp2-8), Paris,1975.

2–(من مُلطان إلى القاهرة) سيرة الشيخ إسحاق بن علي بن التاج جمال الدين البكري الملتاني البكّري.

Journal Asiatique CCL. Paris, 1962. ***De Multan au Caire,***

(pp 215-233)

3–(المسيرة العلمية لعالم عثماني من القرن الثامن عشر):

Le cursus studiorum d'un savant Ottoman du XVIIIe siécle

(pp 297-301) Folia Orientalia XII 1970. Warszawa – Krakew, 1971.

4–(ثبت إجازات منصور بن سليم وجيه الدين الحمداني) :

La Liste d'autorités de Mansur Ibn salim Wagih al-Din al-Hamdani

(pp 341-406) Journal Asiatique CCLIII. Paris, 1965.

5–مشيخة ابن الحطّاب؛ أبي عبد الله الرازي(ت525هـ) :

la masyaha d'Ibn al-hattab al-Razi, contribution al'histoire du sunnisme en Egypte Fatimide,

(pp 21-99) Le Bulletin d'Etudes Oriontales (XXIII), Damas, 1970.

6–مشيخة عبد القادر اليونيني(747هـ) :

La masyaha d'Abd al-Qadir al-Yunini, Le Journal Asiatique (pp 223-246) (*CCLIX* Paris,1971.

7–قائمة إجازات الخليفة الناصر لدين الله :

Une Liste d'autorites du Calife al-Nasr li-Din Allah, ARABICA (pp 173-177) (VI), leiden, 1959.

8–مجموع دمشقي من القرون 7 –13 :

Un magmu damascene 7e/XIIIe siécle, Journal Asiatique (*CCXLV* (pp 135-146) Paris,1957.

9–نقل مشيخة ابن البخاري اعتمادا على مخطوطة من المكتبة السليمانية بإسطنبول :

La transmission de la masyaha d'Ibn al-Buhari d'apres Le manuscrit Reisulkuttab 262 de la Bibliotheque Suleymaniye d'Istanbul, Rivista degli studi orietali (XLVIII). Roma,1974. (pp 55-74)

10- نقل فضائل زين العابدين :

La transmission de l'éloge de zany al-abidin, Journal Asiatique (CCLIV, Paris,1957). (pp 433-437)

11- نقل [كتاب] الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، للخطيب البغدادي :

La transmission de la Kifaya fi ma'rifat usul 'ilm al-riwaya, d'al-hatib al-Bagdadi,

Arabica (IV), Leiden, 1966. (pp304-307)

12- على هامش الترجمة الذاتية لابن عربي:

En marge de l'(Autobiographie) d'Ibn al-Arabi, Arabica III, leiden, 1966. (pp 93)

13- كراس غير منشور للسلفي:

Un Opuscule inédit d'as-Silafi, Bulletin d'information de l'Institut de Recherche et d'Histoire des Textes 14, Paris,1966. (pp 85-92)

14- ست شهادات سماع من المنطقة العليا لما بين النهرين وغرب إيران :

Six certificates d'audition de la Haute Misopotamie et de l'Iran occidental,

.Arabica XXI, Leiden, 1974 (pp 331-334)

15- شهادات النقل في المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس(مقال)

Les certificats de transmission dans les manuscripts Arabes de la Bibliotheque National de Paris,

Bulletin d'information de l'Institut de Recherche et d'Histoire des Textes 3, Paris, 1954.

(pp 107-110)

16- بعض شهادات القراءة في المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس:

Quelques certificats de transmission dans les manuscript Arabes de la Bibliotheque National de Paris, Arabica (I), Leiden, 1954. (pp 337-342).

17- أربعة أربعينيات قليل من ينتبه إليها أو غير معروفة :

Quatre arba'un peu remarqués ou inconnus,Arabica IV, Leiden, 1982. (pp 34-41)

18- ثلاث مخطوطات من مكتبة العالم الدمشقي يوسف بن عبد الهادي :

Trois manuscrites de la bibliothéque du savant damascain Yusuf Ibn Abd al-Hadi, Journal Asiatique (CCLXX, Paris, 1982). (pp 229-256)

هذا مجمل ما حواه هذا الكتاب، ثمانية عشر من 283 عنوانا المكوّنة لببليوغرافيا جورج فايدا، مع التركيز على مجموعة المقالات المنشورة بين سنة 1956 و1982، والمكرّسة للتعريف بتقنيات نقل المعرفة، وتوفير معطيات ببليوغرافية.[1]

ولا بأس من بيان جانب من طريقة عمل هذا المستشرق قبل تفحّص طائفة من هذه الأعمال، والنظر في محتواها.

تشرح المستشرقة جاكلين سوبلي طريقته في تناول هذا الموضوع ودراسته فتقول:

" من أجل دراسة نقل المعارف في أراضي الإسلام، اعتمد جورج فايد في ما يقارب الأربعين سنة على استنطاق المصادر الإسلامية فاضطلع بمهمة بناء دليل بطاقات ببليوغرافية للوثائق ما قبل القرن الـ17 الميلادي، في معهد البحث في تاريخ النصوص، وجمع مخزون مخطوطات مايكروفيلمي مع مكتبة متخصصة ما يكون حينها قواعد البنية التحتية لما يطلق عليه (*Onomasticon Arabicum*) في المكتبة الوطنية. لقد كان يكرس دائما جزءا من وقته لأجل فهرسة المخطوطات العربية، وكان ذلك فرصة له لجمع تنوع كبير من المعلومات حول نقل النصوص."[2]

وتذكر بعد ذلك أنّ فاجدا صرف شيئا من عنايته إلى كتب علوم الحديث والرواية؛ شفهية كانت أم كتابية، من التدريس والتعليم عند المسلمين (المشيخة) أو (ثبت إجازات)، سلسلة الرواة والنّقلة، (إجازة) و(سماع)، أو شهادة قراءة، سماع، ورواية للنصوص.

([1]) مترجم بتصرف من ديباجة جاكلين سوبلي لكتاب **نقل المعارف في الإسلام (بتصرف)**: ص6.

([2]) المرجع السابق: ص5. (مترجم بتصرف)

وبانتظام كان ينشر نتائج أبحاثه في حينها، وقد كان يجد متعة فيما كان يصفه بالواجب المضجر الذي لابد منه.

كما أنّه هذّب تعريف مصطلح طرق نقل المعارف عند المسلمين؛ ليجعل منه علما يخضع لقواعد ضابطة ترجمت إلى مصطلحات تقنية تضبط عملية نقل المعارف وتصلح لمختلف الحالات التي يكون عليها الرّواة.)

وخلال تفحُّصه الدّائم لكتب الثقافة والفكر الإسلامي لم يغب عنه مطلقا الاحتفاظ بمعلوماتها الببليوغرافية المهمّة، الخاصية بكيفية نقلها، وذلك ما مكّنه من القدرة أكثر على إدراك الروابط والعلاقات –مثلا– بين المدارس الفقهية والاتجاهات الدينية، والأصول الروحية لعدد من العلماء ، كما يمكن ذلك من تتبع المسيرة الجغرافية للنصوص المنقولة عبر الرقعة الإسلامية من الهند إلى إسبانيا المسلمة.[1]

تناول فايدا تحت عناوين أبحاث هذا الكتاب مواضيع عدّة تدور بمجملها في فلك صناعة نقل المعارف والعلوم عند المسلمين؛ منها ما هو من قبيل الرحلات العلمية، ومنها ما هو من قبيل الدراسات التحليلية للسماعات المثبتة على مخطوطات مشتهرة، ومنها ما هو ثبت إجازات لأحد رواة العلوم، ومنها ما هو ترجمة ذاتية تحكي المسيرة العلمية لأحد العلماء، ومنها ما هو تتبّع للمسيرة التاريخية لنقل كتاب مهم من كتب الإسلام، ومنها ما هو مشيخة أو معجم شيوخ لأحد أعلام المسلمين، إلى غير ذلك من المواضيع اللصيقة بهذا الفنّ.

وقد أدلى في بعض هذه الأبحاث بوجهة نظره، وخلاصة عمله في هذا الحقل، ومحتوى هذه الأبحاث تدلّ على الخبرة والمعارف التي حازها نالها في هذا الحقل المعرفي الدقيق والمهمّ.

لا يفتأ فايدا يخبرنا ببعض ما شدّه إلى هذا الضرب من الوثائق فيقول:" فائدة فكّ شفرة هذين النوعين من المؤلفات وتحليلها [يقصد المشيخات وبرامج العلماء] هو ما تزودنا به من معلومات من الوستوى الأول عن الحياة الفكرية، والدينية والاجتماعية والسياسية في مكان معين بتاريخ محدد، وهي حال يبسط ظلاله على عدد من الأجيال المتلاحقة ... وذلك ما يدخلنا في تواصل مع الرّواة، والكُتاب ... وجميع مرتادي المدارس العلمية وفيها مجموعة كاملة من المؤشرات والمعطيات حول جميع شخصيات هذه الوثائق ونشاطاتها بشكل موجز، وهنالك نعثر على المادة التاريخية الحية ..."[2]

وقد أفرد الكلام لذلك في بعض أبحاثه تحت عنوان (الأهمية التوثيقية لشهادات السماع وثبت الشيوخ – *Limportance documentaire des certificats d'audition et des listes*

---

(1) ينظر المرجع السابق: ص5. (مترجم بتصرف)

(2) مترجم من بحث فاجدا ***De la transmission orale du savoir dans l'Islam traditionnel***. ص2.

d'autorités)،[1] بما ينمّ عن تفطّنه إلى أهميتها في تزويد المؤرخ بالمادة الخامّ لعمله، والمحقق بالمعلومات اللازمة لتوثيق تحقيقه.

كما أظهر علاقتها الوطيدة بعلوم الحديث من خلال تناوله الكلام عن طرق التحمل الثمانية عند المحدّثين، وعلاقتها بعلم الأسانيد والإجازة.[2]

وتتميز أبحاث هذا الكتاب عموما بالتنوع في وثائق هذا الصّنف من التأليف، مع خدمة واسعة في فهارسها الفنية، وهو كتاب يحتاج إلى خدمة مفردة متخصصة لا تتسع لها صفحات هذا البحث، وهو ما نعول عليه لاحقا.

خاتمـــة:

أختتم ما سلف ذكره بخواطر علقت بالقريحة من ثنايا البَحث؛ وتوصيات رأيت ضرورة التنبيه عليها:

أوّلها – التنبيه على الانتباه والعناية المبكرة للعلامة ابن أبي شنب بأهمية هذا الفن من التراث العلمي الإسْلامي الثّمين، ومبادرته بالتأليف فيه، غير أنّها كانت أشبه ما تكون بصرخة في واد سحيق لا يرد صدى.

ثانيا – يشكّل هذا الصنف من الكتب أرضية خصبة لمعرفة مسيرة كثير من العلوم والمعارف إلى بلادنا، وهي مادة لغرض الاطلاع على تاريخ سير العلوم والعقائد والأفكار، وهي في انتظار استثمارها كما فعل العلامة ابن أبي شنب مع صحيح البخاري، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة والمميزة التي بذلها المستشرقون فإنهم لم يتوصلوا إلى استثمار ثمار تلك الجهود، في التأريخ لعلوم الحضارة الإسلامية.

ثالثا – لا تزال كثير من تلك الوثائق تحتوي على كثير من تراجم أعلام مغمورين كان لهم شأن وأثر في زمانهم.

رابعا – ضرورة العناية بالبرامج الدراسية والكتب المدرسية والتربوية التي تزخر بذكرها هذه الكتب، دراسة وتحليلا.

خامسا – إنّ المجهود الذي بذله المستشرقين في هذا المجال رصيد يستحق التناول الجدّي بالترجمة والتقييم والنشر، وبالخصوص ما خلفة المستشرق جروج فايدا.

سادسا– ضرورة العناية بالرصيد الجزائري من هذه الوثائق جمعا وتحقيقا ونشرا، لأجل استثمارها في التأريخ لمسار العلوم ودواوينها في هذا القطر العزيز، وبيان صلة أعلامها بالحواضر العلمية المجاورة، وبأعلام الحضارة الإسلامية عبر القرون.

---

(1) ينظر المرجع السابق: ص6-7.

(2) ينظر المرجع السابق: ص2-3.

مناهج تحقيق المخطوطات لدى العرب والغرب: الاتفاق والافتراق د. محمود مصري اسطنبول

ورقة أعدت للمشاركة في

الملتقى الدولي الثاني حول مناهج تحقيق النصوص عند العرب والغرب

يومي 14 و 15 أبريل 2013

بجامعة الجلفة

1: مقدمة:

اشترك المعنى اللغوي للتحقيق مع المعنى الاصطلاحي القديم والحديث من جهة: **الإثبات والتصحيح والإحكام**. فهدف التحقيق هو: **تقديم نص صحيح موثق ميسَّر**.

وهذه العناصر قام عليها تحقيق النصوص وتحريرها في التراث العربي، وطبقها العلماء عمليا في المخطوطات العربية، ثم صاغوها في قواعد وردت متناثرة في كتب علم مصطلح الحديث منذ القرن الرابع الهجري. ويمكن أن نجمع ما ورد في كتبهم من قواعد في التصنيف الآتي:

أولاً: مقابلة النسخ (المعارضة، العرض): أهمية المعارضة، والنسخة التي تتم المقابلة عليها، وطريقة المقابلة ووقتها وتكرارها والتعليم على الوقوف.

ثانياً: إصلاح النص: ويشمل: علاج النقص (التخريج، الإلحاق)، وعلاج الزيادة (الحك أو المحو أو الضرب)، وعلاج المكرر، وعلاج الخطأ (التصحيح والتضبيب والتمريض)، وعلاج اللحن.

ثالثاً: ضبط النص: النقط والشكل، وضبط الحروف المهملة، وضبط الألفاظ المشكلة.

رابعاً: صنع الحواشي: ويكتب في الحاشية التنبيه والتفسير والفوائد واختلاف الضبط واختلاف النسخ، ولا يخرّج له خط لئلا يشتبه باللّحَق ويُظن أنه من الأصل نفسه، ولا يكتب في آخر ذلك (صح).

وقد أكد علماؤنا قديما أهمية العزو الذي نحرص عليه اليوم. قال السيوطي: "ولذلك لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفًا إلا معزوًّا إلى قائله من العلماء، مبينًا كتابه الذي ذكره فيه".

خامساً: اصطلاحات الكتابة: ويشمل: الفصل بين الحديثين أو الكلامين، والرمز للألفاظ المكررة في الإسناد، والفصل بين الإسنادين، والتحويل، ورموز مصنَّفات الحديث، والإشارة إليها في فاتحة الكتاب، وبيان نهاية الاقتباس.

سادساً: قواعد الكتابة: أكّد أهل هذا الفن أنه على المشتغل بالكتابة أن يُعنى بتقويم الحروف على أشكالها الموضوعة لها، وأن يضبط ما اشتبه منها بالنقط والأشكال المميّزة لها. ومن القواعد التي نصوا عليها في الكتابة: عدم المبالغة بحسن الخط فقط، بل توجيه العناية إلى صحّته وتصحيحه، وتجنّب الكتابة الدقيقة حتى ينتفع

بكتابه وقت الحاجة عند الكبر وضعف البصر، وتجنّب التعليق الذي هو خلط الحروف التي ينبغي التفريق بينها، وتجنّب المشق الذي هو سرعة الكتابة مع بعثرة الحروف، وتحدثوا عن النوعية المناسبة للأقلام والأحبار والكتابة بالألوان للأبواب والفصول....

سابعاً: آداب الكِتاب والكتابة: وتشمل: آداب البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ❐ كلما مرّ ذكره، وإعارة الكتاب، والتحذير من غلول الكتاب، والنسخ من الكتاب، وطريقة إنهاء الأسطر، وذكر اسم الشيخ والسماع والتاريخ، وعدم الاصطلاح بما لا يعرفه الآخرون، وحفظ الكتاب، وعدم جواز إصلاح كتاب غيره دون إذنه....

2: التأثير المتبادل بين مناهج التحقيق العربية والاستشراقية:

1:2: التأثر الأولي للمستشرقين بمناهج القدماء:

ظهرت معظم المطابع العربية في أوربة في لندن وباريس وليبزج وليدن وجوتنجن وروما وفينا وبرلين وبطرسبورج، وأشهرها مطبعة بريل في ليدن. ويقول الأستاذ المنجد: "طبّق المستشرقون في نشرهم النصوص العربية القواعد التي تتبع في أوربة لنشر النصوص الكلاسيكيّة: اليونانيّة واللاتينيّة". غير أن الباحث المدقق يتبين له أن تحقيق المخطوطات اليونانية واللاتينية كان متواضعا جدا، فهو يقتصر على نقل النص مع بعض التصحيحات البسيطة، ولم تكن هناك نسخ كافية للمقابلة وتصحيح النص أصلا عند العمل بالمخطوطات اليونانية واللاتينية، ولم تكن هناك خدمة للنص من حيث تقريبه وتيسيره للقارئ. وعندما بدأ تدفق المخطوطات العربية إلى أوربا في القرن التاسع عشر وجدوا في نسخ الكتب التطبيق العملي لتحقيق النصوص، كما وجدوا القواعد النظرية في التي أشرنا إليها في كتب المحدثين. فكان منهج التحقيق الذي اتبعه المستشرقون هو صورة معبرة إلى حد كبير عن منهج التحقيق عند العلماء العرب القدامى، إذ كان هدف التحقيق الخروج بنصٍّ صحيح ميسَّر، من خلال خطوات رئيسة أخذها المستشرقون عن العرب عند اطلاعهم على المخطوطات العربية التي تمّ تنفيذ قواعد التحقيق فيها، واطلاعهم على ما كُتب من القواعد في كتب مصطلح الحديث كما ذكرنا، إلا أنهم نفذوا ذلك باجتهادات خاصة سنشير إليها، إضافة إلى أن شكلية الإخراج الطباعي جعلتهم يطورون بعض الأساليب المستعملة في التحقيق. وتجب الإشارة إلى ثُغُرات التطبيق الكثيرة في تحقيقاتهم، التي هي نتيجة طبيعية لاستعصاء العربية وأساليبها عليهم.

ثم كان من الطبيعي أن يستفيد جيل الرواد من المحققين العرب من تجارب المستشرقين، بعد أن ردّت بضاعتنا إلينا، فمنهم من أخذ أسلوبهم كما هو، والتزم به، ومنهم من قوّم بعض الأمور المنهجيّة، وأخذ من مكملات التحقيق، لاسيما ما يتعلق بالإخراج الطباعي مما هو مناسبٌ للتراث العربي، دون التقيّد الحرفي بأساليب المستشرقين، فكان عمله أصلح وأحكم. وقد استقرت اليوم قواعد التحقيق عند العرب، ورجحت كفة نشر المخطوطات عند العرب منذ النصف الثاني من القرن العشرين، حتى إن إنتاج المستشرقين اليوم من تحقيق المخطوطات لا يتعدى 10%، من مجموع ما ينشر. غير أن المشكلة الرئيسة اليوم هي تزايد النشرات الخالية من أصول التحقيق والتي تسير على غير هدى.

وكان ظهور المنهج الاستشراقي لنشر النصوص في القرن التاسع عشر، من خلال المطبوعات الأولى: ((كتاب الفلاحة)) لابن العوام الإشبيلي بتحقيق بانكري، و((المنتخب في تاريخ حلب)) وهو منتخب من ((زبدة الحلب في تاريخ حلب)) لابن العديم في بون سنة 1819م بتحقيق فريتاغ، و((تقويم البلدان)) لأبي الفداء في باريس سنة 1840 بتحقيق دي سلان، و((الكامل)) للمبرد بتحقيق رايت عام 1860، و((معجم البلدان)) للحموي 1866 بتحقيق وستنفلد، و((الفهرست)) للنديم سنة 1871م بتحقيق فلوجل، و((كتاب سيبويه)) سنة 1881م بتحقيق هرتويغ، وغير ذلك من الكتب الكثيرة. ثم إن القرن العشرين طالعنا بأعمال أكثر نضجا وإتقانا مثل ((ديوان المفضّليّات)) للأنباري الذي نشره ببيروت شارل ليال سنة 1920.

وفي مجال قواعد التحقيق ظهرت في القرن العشرين محاضرات برجستراسر التي ألقاها عام 1932م تحت عنوان ((أصول نقد النصوص ونشر الكتب))، وهو يمثل وجهة نظر الاستشراق الألماني خاصة، وظهر كتاب بلاشير وسوفاجيه عام 1945 بعنوان ((قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها))، وهو يمثل وجهة نظر الاستشراق الفرنسي خاصة.

3: تأثير المستشرقين بقواعد التحقيق عند المحدَثين:

كان **تأثير** المستشرقين في جيل الرواد من المحققين العرب متفاوتا، فمنهم من قدّس مناهجهم الخاصة بالتحقيق، التي هي صورة مضطربة لما أخذوه من مناهج قدماء العلماء العرب، فضلا عن الاضطراب في تطبيق المنهج المتأتي عن الضعف باللغة العربية وأساليبها كما أشرنا، ومنهم من قوّمها اعتمادا على المناهج الأصيلة في تراثنا، وأضاف إليها متطلبات الإخراج الطباعي ومكملات التحقيق.

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن اهتمام المستشرقين الجاد بنشر التراث العربي وفق منهج علمي منذ بداية القرن التاسع عشر تزامن مع النشر الغزير لمطبعة بولاق لمئات الكتب التراثية المهمة التي تعدّ من الأمهات والأصول للعلوم[1]، وكان يقوم على تصحيح الكتب فيها فضلاء علماء الأزهر[2]، ثم تلتها المطابع في مصر وبلدان العالم الإسلامي[3]، فكان في ذلك مجاراة للنشر الاستشراقي في ذلك القرن، ثم بلغ تحقيق المخطوطات ونشرها ذروته في منتصف الثمانينات من القرن العشرين.

وعندما بدأ أحمد زكي باشا –في مرحلة لاحقة– بنقل هذا الفن عن المستشرقين ليعيده مرة أخرى إلى العرب، قام بنشر استعمال علامات الترقيم الحديثة التي كان لها الأثر البعيد في تيسير قراءة النصوص، كما أشاع

---

[1] انظر بعض تلك العناوين في كتاب مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي لمحمود الطناحي 35. غير أنه كان يؤخذ عليهم عدم ذكر المخطوطات التي اعتمدوا عليها ووصفها في الأغلب، وكذلك عدم العناية بالفهارس الفنية.

[2] انظر أسماء بعضهم في كتاب مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي لمحمود الطناحي 55.

[3] سبقت مطبعة بولاق مطابع كلكتا وبمباي في الهند (في أواخر القرن الثامن عشر)، إلى أن ازدهار الطباعة فيها تأخر بداية القرن العشرين بظهور مطبعة حيدرآباد الدكن، وظهرت في وقت مبكر أيضًا مطابع استانبول.

معها مكملات النشر العلمي الحديث من العناية بتقديم النص ووصف مخطوطاته والعناية بالإخراج الطباعي وصنع الفهارس الحديثة والاستدراكات والتذييلات[1].

وكانت مطبوعات الجامعة المصرية نموذجًا للتأثر بمنهج النشر الاستشراقي، والارتباط بالكلاسيكية الأوربية في إحياء التراث، فقد اكتفوا بتأدية النص تأدية صحيحة وذكر فروق النسخ وتقديم الكتاب وفهرسته، دون زيادة أو نقصان، وقريب منها مجمع اللغة العربية بدمشق[2].

إن ما كتبه عبد السلام هارون عام 1953 بعنوان ((تحقيق النصوص ونشرها))، وما كتبه صلاح الدين المنجد عام 195 بعنوان ((قواعد تحقيق المخطوطات))، كان أكثر تفصيلًا وأكثر دقة مما كتبه بلاشير وسوفاجيه عام 1945 بعنوان ((قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها))، مع تميُّز كتابي الأستاذين هارون والمنجد بذكر النماذج والتمثيل لما عرضوه من قواعد من خلال التراث ومن خلال تجربتيهما في التحقيق، وقد كان كتاب الأستاذ هارون أكثر تفصيلًا وأغزر أمثلةً، وفي حين كان كتاب برجستراسر الذي ألفه عام 1932م تحت عنوان ((أصول نقد النصوص ونشر الكتب)) مدعما بأمثلة موسعة من تحقيقات المستشرقين، فقد خلا كتاب بلاشير وسوفاجيه من الأمثلة، وجاء على شكل قواعد مقننة[3].

2: نماذج من إشكاليات التحقيق:

سوف نعرض إلى بعض الإشكاليات التي ظهرت من خلال خلل المنهج أحيانا، ومن خلال الافتراق بين النظرية والتطبيق أحيانا أخرى. وسوف نشير إلى تأثير التحقيق الاستشراقي في مناهج المحققين العرب على شكل ملاحظات نسردها وفق الخطوات الأساسية المعتمدة في التحقيق، ونشير في بعض المواضع إلى ما يقابل إجراءات التحقيق تلك عند علمائنا القدامى.

1:2: اختيار الكتاب وتوثيقه:

– انصب اهتمام المستشرقين على نشر نصوص التاريخ والجغرافيا والبلدان والتراجم والطبقات والأدب والمجموعات الشعرية، بصورة تفوق اهتمامهم بباقي فروع العلوم والفنون. وجاء بالدرجة الثانية اهتمامهم بالفلسفة

---

[1] تحقيق النصوص ونشرها، لهارون 77، وكان تحقيقه لكتابيّ ابن الكلبي: أنساب الخيل والأصنام، وكتاب التاج للجاحظ، أول المطبوعات العربية التي صدّرت بكلمة تحقيق.

[2] انظر مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي للطناحي 123.

[3] وكان قد كتب الدكتور محمد مندور مقالين في قواعد نشر النصوص في العددين 277 و 280 من مجلة الثقافة سنة 1944م، ثم نشر مجمع المجمع العلمي بدمشق قواعد موجزة لنشر النصوص في مقدمة الجزء الأول من (تاريخ مدينة دمشق) سنة 1951م، وفي عام 1953 ذكر الدكتور إبراهيم مدكور بعض قواعد النشر في مقدمته لكتاب الشفا لابن سينا،، وفي عامي 1964،1965 أملى الدكتور مصطفى جواد على طلبة الدراسات العليا بجامعة بغداد محاضرات في أصول تحقيق النصوص، وفي عام 1972م ألف الدكتور شوقي ضيف كتابه البحث الأدبي، وفيه فصل خاص بتوثيق النصوص وتحقيقها، ثم توالت المؤلفات في ذلك.

والكلام والفرق والعلوم الكونية كالطب والكيمياء والفلاحة والفلك والهندسة والبصريات. وقلّ اهتمامهم بنشر كتب التفسير والحديث والفقه والأصول نسبيًّا.

– كانت اختيارات المستشرقين موفقة إلى حد ما في نشر النصوص المتعلقة بأصول العلوم التي توجّهوا إليها كما في نشر ديرنبورغ لـ (الكتاب) لسيبويه 1881م، ونشر رايت للكامل للمبرد 1864م، ونشر سترستين لألفية ابن المعطي 1900م، ونشر المجموعات الشعرية القديمة، مثل المفضليات والأصمعيات والنقائض وأدب الكاتب لابن قتيبة.

– ولعل من القواعد المتفق عليها في اختيار الموضوع اليوم أن يكون العلم الذي يُراد التحقيق فيه وثيق الصلة بتخصص المحقق. وإن نشر التراث على أيدي مستشرقين يبعد تخصصهم عن موضوع الكتاب المحقق جعلهم يقعون في مزالق كثيرة، فهذه الإسبانية دي بنتوو مثلا تنشر مجموعة من الأعمال الطبية للسان الدين ابن الخطيب، منها عمل من طب لمن حب، والوصول لحفظ الصحة في الفصول، فنرى كتابها يعج بالوهم والتصحيف والتحريف، ولا يسلم من ذلك صفحة من صفحات الكتاب.

– حشد المستشرقون أكبر عدد من مخطوطات الكتاب الذي يريدون تحقيقه، وحصلوا عليها من شتى بقاع العالم بأساليب شرعيّة أحيانًا وغير شرعيّة أحيانًا أخرى، وأعانهم على ذلك سفراؤهم وقناصلهم، وكذلك المعاهد العلمية التي أنشئوها في العالم الإسلامي، مثل المعهد الفرنسي في القاهرة ودمشق والمعهد الألماني للآثار في استانبول والقاهرة وبيروت، والجامعة الأمريكية في القاهرة وبيروت.

– في حال وجود نسخ كثيرة من الكتاب جعل المستشرقون النسخ المتشابهة (التي يتوقع أنها منقولة عن أصل واحد) ضمن فئات، ورمزوا لكل فئة بحرف، وهذا فيه إشكال يؤدي إلى إنتاج نسخ ملفقة، بينما اختار المنجد أن يكون لكل فئة نسخة واحدة تمثلها عند إثبات اختلاف النسخ، وهذا الاختيار جيّد. وقد اختار بعض المستشرقين التحقيق على كل نسخة تتوفر عندهم، وتبعهم في ذلك بعض العرب، فمنهم من يفتخر أنه حقق كتابه على سبع عشرة نسخة مثلا.

– إن جمع النسخ واختيار الأهم أُخذ من صنع العلماء العرب القدامى، إذ فاضلوا بين النسخ وقدموا نسخة المؤلف أو النسخة التي عليها قراءة أو سماع أو إجازة من المؤلف، أو من أحد العلماء، ويتجلى الاهتمام بقرب النسخة من المؤلف واضحًا في حرص المحدثين على ما يسمونه بالإسناد العالي. وقد ذكر برجستراسر أن علماء العرب كانوا أكثر تقديرًا لقيمة المخطوطات المكتوبة بخط مؤلفيها من علماء الغرب[1].

– كانوا يرمّزون لكل نسخة برمز يعبر عن النسخة، وليس بحسب تسلسل الأبجدية، كما يفعل بعض المحققين اليوم سواء من بعض المستشرقين أو بعض العرب. فكان اليونيني يرمز في تحقيقه للبخاري لنسخة أبي ذر الهروي بـ (هـ)، ولنسخة الأصيلي بـ (ص)، ولنسخة الدمشقي بـ (ش)... . وكانوا يكتبون في الحاشية أو في آخر

[1] انظر أصول نقد النصوص ونشر الكتب 17.

الكتاب (بلغ مقابلة) تعبيرا عن إتمامهم لعملية المقابلة حتى هذا الموضع، كذلك استعملوا التنقيط في الدارة الفاصلة بين الأحاديث للتعبير عن موضع بلوغ المقابلة، وجعلوا عدد النقط فيها بعدد المقابلات.

– وقد أعاد بعض المحققين العرب تحقيق كتب نشرها المستشرقون لم تستوف شروط التحقيق من جهة العمل على مخطوط يوجد ما هو أهم منه، ومثال ذلك نشر المستشرق سالفردادي غرافة لكتاب ((الجبال والأمكنة والمياه)) للزمخشري (ت538هـ) سنة 1856م، فقد أعاد نشره الدكتور إبراهيم السامرائي معتمدا على مخطوطتي خزانة أحمد الثالث، وقد نقلت إحداهما عن أصل المؤلف، وهي منسوخة سنة 622هـ، وكانت الثانية مقاربة لها في التاريخ[1]. وكذلك فإن الدكتور صلاح الدين المنجد حقق كتاب اللغات في القرآن اعتمادا على مخطوط الظاهرية ، دون الرجوع إلى مخطوطي مكتبة شستربتي ومكتبة أسعد في استانبول، ودون الرجوع إلى النص المطبوع سابقا، فجاء تحقيقه ناقصًا ومشحونًا بالأخطاء[2].

2:2: قراءة النص:

– ذكر علماء الحديث في كتبهم تفسير الرموز المستعملة في النسخ المخطوطة لتنضبط قراء النص على الوجه الصحيح، ومنها: اللحق، والحاشية والضرب والإبطال والتصحيح والتضبيب وعلامات إهمال الحروف...

– وقد اعتمد المستشرقون في قراءة النص ونسخه وتحريره على كثير من الخبرات العربية، لضعف تمرسهم في قراءة المخطوط العربي. وحرصوا على ذكر مساعدة هؤلاء لهم في مقدمات تحقيقاتهم، وهذه منقبة تحمد لهم. ومنهم رزق الله حسون والشيخ عيّاد الطنطاوي وحسن توفيق العدل وإبراهيم طوقان وأحمد يتمور باشا وأحمد زكي باشا ومحمد التركزي وطاهر الجزائري وحسن حسني عبد الوهاب وابن أبي شنب وعبد الحي الكتاني وفؤاد السيد وكوركيس عواد وأحمد عبيد وحمد الجاسر والقاضي إسماعيل الأكوع وإحسان عباس وصلاح الدين المنجد وإبراهيم شبّوح والشيخ حسن زيدان ومحمود الطناحي[3].

3:2: العمل بالمخطوط (نقل النص، المقابلة، تقويم النص بعلاج التصحيف والتحريف والخطأ):

– إن الدقة والأمانة العلمية التي اشتهر بها المستشرقون كان يتحلى بها العلماء العرب القدامى في تحريهم للنص الصحيح على وجه أكمل وأكثر عمقًا، وكذلك شوامخ المحققين العرب المحدَثين. ففي حال وجود الخطأ المحَقق من المؤلف بسبق قلم أو خيانة ذاكرة أو غير ذلك يرى برجستراسر ترك الخطأ في المتن ووضع التصحيح في الحاشية، فهم يحافظون في هذه الحالة على تصحيف الناسخ وتحريفه ليس إلا، بحجة أن نص المؤلف جزء من

---

[1] انظر أمثلة مشابهة ذكرها الدكتور صلاح الدين المنجد في مقاله ((من مشكلات التراث العربي)) المنشور في العدد الثاني من المجلد الأول من مجلة ((عالم الكتب)).

[2] انظر تحقيق التراث، للفضلي 100.

[3] انظر مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، للطناحي 223.

ثقافته وشخصيته العلمية، وتبعهم في ذلك بعض المحققين العرب[1]. والحقيقة أن المسألة مبحوثةٌ منذ القديم، فقد ذكر ابن كثير في كتابه اختصار علوم الحديث ما نصّه: "وأما لحن الشيخ فالصواب أن يرويه السامع على الصواب، وهو محكي عن الأوزاعي والجمهور، وحُكي عن محمد بن سيرين وأبي معمر عبد الله بن سخبرة أنهما قالا: يرويه كما سمعه من الشيخ ملحونًا. قال ابن الصلاح: وهذا غلوٌّ في مذهب اتباع اللفظ[2]. فكيف إذا كان الخطأ في نص قرآني أو نص آخر ظهر فيه عبث النساخ بما لا يقبل الشك!".

– وقع المستشرقون بأخطاء فاحشة فيما يتعلق بضبط ألفاظ العربية ودلالاتها ومصطلحات علومها وفنونها، ولم يسلم من هذا أكثرهم تمكنًا من العربية، وقد جاء الأستاذ الطناحي بأمثلة كثيرة عن تصحيفاتهم وتحريفاتهم في كتابه (مدخل إلى تاريخ النشر التراثي)، وكذلك الدكتور فخر الدين قباوة في كتابه علم التحقيق، وغيرهم. كما جاؤوا بأمثلة تبين عدم قدرتهم على توجيه النصوص العربية وفهمها فهما صحيحا.

– أفرط المستشرقون في إثبات الفروق بين النسخ —وربما من باب الأمانة العلمية أيضًا– فنقلوا كل فرق طرأ على رسم الكلمة، ولو لم يمثل قراءة أخرى للنص، وهو بسبب سهو الناسخ أو جهله[3]، وتبعهم في ذلك بعض المحققين العرب، إلا أن معظم المحققين العرب خالفوهم فيه. وفرّط بعضهم في المقابل فزعموا أنه يشار في الحاشية إلى اختلاف النسخ، أي اختلاف الروايات في كلّ لفظة، إذا كان ثمّة اختلاف يبدّل المعنى[4].

– لم يعتمد المحدثون التلفيق بن النسخ، وكانوا يرون عدم الخلط بين الروايات، ويرى بعض المستشرقين، وتبعهم بعض المحققين العرب جواز ذلك، معللين بإثبات النص الأصح والأكمل، وطريقة المحققين أسلم، حتى لا يخضع النص لاجتهاد من يرى أنه اختار الصواب، وربما أخطأ في ذلك.

– وقد عمد بعض المحققين من العرب إلى المقارنة بالمطبوع أحيانًا إذا لم تكن النسخ المخطوطة كافية، غير أن هذا لا يجدي في حال كون الطبعة رديئة، فيزيد من اضطراب النص وخلله[5].

– قرر برجستراسر أن النص الأقصر هو الصحيح، وهذه القاعدة ليست مطردة، كما هو معلوم، فهناك سقط بسبب فعل النساخ، وهناك حالات أخرى كإعادة تأليف الكتاب، أو تعديله بقراءته على مؤلفه لاحقًا.

– ركّز المحققون العرب على إلمام المحقق بالموضوع الذي يعالجه الكتاب واعتبروه أساسيًّا في عملية إقامة النص، لأن هذا مما يعين على فهم النص، والحفظ من الخطأ في الوقوع فيه[1].

---

[1] انظر أصول نقد النصوص ونشر الكتب 43، وانظر قواعد تحقيق المخطوطات 16، وبحث الدكتور بشار عواد معروف (ضبط النصوص والتحقيق عليها)، في مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد الرابع، المجلد الحادي والثلاثين 247.

[2] الباعث الحثيث 162،163.

[3] كأن يثبت الفرق بين (رمى)،(ورما)، و (هذا) وهدا)، و (والعجب) و (فالعجب)...

[4] كما قرره صاحب قواعد تحقيق المخطوطات 16.

[5] انظر بحث الدكتور بشار عواد معروف (ضبط النصوص والتحقيق عليها)، في مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد الرابع، المجلد الحادي والثلاثين 253.

4:2: إثبات النص وترميمه:

– يجب مراعاة الإملاء الحديث في جميع الحالات، خلافا لما فضّل المنجد من إثبات الألف في الألفاظ التي حذفت ألفها، مثل: لاكن، وهاذا...، وإن الإبقاء على الرسم في النسخ المخطوطة تؤدي إلى التباس شديد، فلا يُفرَّق بين المقصور والممدود، والمقصور والياء مثلًا.

– زعم بعض المستشرقين، مثل برجستراسر أن إضافة علامات الترقيم إلى النص العربي لا فائدة فيه بسبب احتمال الخطأ، وهذا غير مقبول لأنه يفترض أن يقوم بذلك المحققون المتقنون الذين تمرسوا بقراءة النصوص، في حين اهتم آخرون منهم بعلامات الترقيم، ووافقهم على ذلك المحققون العرب، إلا أن العرب كانوا أكثر توفيقا في استعمالها، لارتباط ذلك بفهم النص ارتباطا وثيقا، ونُرجع هنا أصل صنع علامات الترقيم إلى الدارة التي كان يضعها العلماء العرب القدامى للفصل بين الحديثَين أو الفصل بين الكلامَين، وكذلك إلى ضوابط الوقف والابتداء التي وضعها علماء القراءات، ومباحث البلاغيين في الفصل والوصل.

– وزعموا بأنه إذا كان الأصل مشكولا حوفظ عليه تماما بنفس نسبة التشكيل[2].

5:3: مكملات التحقيق (التخريج والتعليق والضبط والترقيم والتهميش والتكشيف...):

– تنبه بعض المستشرقين إلى أهمية تخريج النصوص من المصادر الأصلية، غير أن المحققين العرب كانوا أكثر التزامًا بهذا. ومن العجيب أن يؤكد المستشرقون أهمية تخريج النصوص، ومقارنتها بالأصل الذي أخذ عنه صاحب الكتاب، وإثبات العزو، ثم يصرحون بصرف النظر عن تخريج الأحاديث، وهي نصوص لها أهميّة خاصة كما هو معلوم، والأعجب أن يتبعهم في ذلك بعض المحققين العرب، كما فعل الأستاذ المنجّد[3]. مع أن كلمة التخريج كانت تستعمل أصلا في التراث لتخريج الحديث أي: ذكر الحديث مسندا إلى رسول الله ❐، ثم اصطلح على التوسع بها لتشمل أي نص. غير أنه ينبغي عدم المبالغة بتخريج الأحاديث، ويجب الاهتمام بالحكم على الحديث، لخطر انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة. وقد رأى برجستراسر أن الأحاديث الموجودة في المعجم المفهرِس لألفاظ الحديث لا تعزى إلى مصدر آخر، ولا يخفى ما في هذا من القصور في التحقيق، لعدم الرجوع إلى المصادر الأصلية لمقارنة النصوص.

– وقد خلت معظم تحقيقات المستشرقين من التعليقات، التي تتضمن: شرح الغريب، وتفسير المصطلحات العلمية وترجمة الأعلام والأماكن الغامضة والإشارة إلى المواضع التي يحيل إليها المؤلف، وإكمال بعض عبارات الكتاب، وربط ما انفصل من الكلام بجمل طويلة، وبيان أوهام المؤلف أو خطئه، وكل ما يؤدي إلى تقريب النص وتيسيره، وكان برجستراسر ممن دعا إلى عدم إعطاء أهمية للتعليقات على النص. وقد استعمل ذلك

---

[1] تحقيق النصوص ونشرها لهارون 55.

[2] قواعد تحقيق المخطوطات 21.

[3] قواعد تحقيق المخطوطات 9، 15، بخلاف صاحب "تحقيق النصوص ونشرها" (انظر ص 47، 76).

علماؤنا القدامى في حواشي المخطوطات. ومن المحققين المحدَثين من تبع المستشرقين في ذلك كالأستاذ المنجد، ومنهم من مشى مع منطق التحقيق الذي يهدف إلى تيسير الكتاب وتقريبه فضلا عن تصحيحه، ونهج نهج الأسلاف في زيادة البيان والإيضاح، إذ كانت الحواشي عندهم لشرح الغريب والتعقبات وإصلاح الوهم وتوضيح المشكل والتخريج وترجمة الأعلام وإتمام النصوص[1]. ومن هؤلاء الأستاذ هارون. غير أن كثيرا من المحققين المحدَثين ساروا على غير هدى في ذلك فبالغوا بالتعليقات، وتصنعوا تعليقات ليست في محلّها.

– كان العلماء القدامى يرجعون إلى النسخ الصحيحة في ضبط أسماء الناس وكناهم وألقابهم وأسماء المواضع وغير ذلك، وينبهون على أن ما نقلوه إنما هو من خط المؤلف أو من عالم ثقة متقن، فيقولون مثلا: قرأت بخط فلان، ووجدته بخط فلان، وقابلته على نسخ[2].

– انساق بعض المحققين العرب وراء التعقيدات الطباعية التي توجد في كتب المستشرقين. فمثلا للتعبير عن أن كلمة (نعم) الموجودة في المتن هي عن نسخة (م) وساقطة من نسخة (ن)، يقولون : (م: [نعم] ن). ومثال ذلك الإشارة إلى الأرقام بحروف تحاكي الحروف الرومانية المستعملة في الترقيم. فالحرف أ = 1، و هـ = 5، و ي = 10، و ن = 50... [3].

– غالى بعض المحققين في تقسيم النص إلى إلى فقرات مرقمة، كما فعل شاكر في ترقيم نص كتاب (الرسالة) للشافعي.

– وقد اعتمد بلاشير وسوفاجيه الاختصار في ذكر العناوين والإحالات والألفاظ مما يترتب عليه الاشتباه، واحتمال القراءة على صورة خاطئة.

– تبع كثير من المحققين العرب المستشرقين في وضع الهوامش آخر الكتاب أو وضع هوامش الفروق بين النسخ أسفل الصفحة وهوامش التخريج والتعليق آخر الكتاب أو وضع الجميع أسفل الصفحة ويفصل بين هوامش الفروق والهوامش الأخرى، غير أن معظم المحققين اعتمدوا أن تكون الهوامش أسفل الصفحة مع الدمج بين هوامش الفروق وهوامش التعليقات، ولا يخفى ما في الطريقة الأخيرة من تيسير على القارئ، فما سبق من الطرق يتعب القارئ أو يجعله يعرض عن قراءة الهوامش.

---

[1] من النماذج الجيدة في ذلك شرح الخفاجي (نسيم الرياض) على (الشفاء) للقاضي عياض، فهو على الرغم من أنه يحمل كلمة شرح فإنه احتوى على كل ما يلزم المحقق فعله (انظر تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث للغرياني 33). وانظر بحث الدكتور بشار عواد معروف (ضبط النصوص والتحقيق عليها)، في مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد الرابع، المجلد الحادي والثلاثين 247.

[2] انظر بحث الدكتور بشار عواد معروف (ضبط النصوص والتحقيق عليها)، في مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد الرابع، المجلد الحادي والثلاثين 255.

[3] تحقيق النصوص ونشرها لهارون 83.

– يفضل الاختصار في تهميش تخريج الآيات فيوضع اسم السورة وبحذائه رقم الآية، إلا أنه لا يُكتفى برقم السورة ورقم الآية.

– اعتمد كثير من المستشرقين في تخريج النصوص كتابة اسم المؤلف قبل اسم الكتاب، وكذلك في الفهارس، وتبعهم بعض المحققين العرب، واعتمد فريق ذكر اسم الكتاب أولا، وهو الأنسب لأنه أهم في التمييز، فقد نستعمل أكثر من كتاب للمؤلف نفسه، وكذلك لأن عنوان الكتاب يكون أشهر من اسم المؤلف غالبًا.

– اعتمد كثير من المستشرقين ذكر البيانات الكاملة للكتاب المخرّج منه في الهامش، وتبعهم في ذلك فريق من المحققين العرب، وذهب فريق آخر إلى تأجيل ذلك إلى فهرس المصادر والمراجع، وهو الأفضل لتخفيف مساحة الهوامش.

– درس المستشرقون في كثير من الأحيان الكتاب المحقق في سياقه التاريخي لبيان تاريخ النص وموقعه في العلم الذي ينتمي إليه، وتأثره بمن سبقه وتأثيره على من بعده، وكذلك المؤلف وعصره، ووضعوا ذلك في مقدمة الكتاب، وتحدثوا عن نسخ الكتاب، وقد سبقهم علماؤنا في ذلك، ومن الأمثلة النموذجية العالية ما فعله ابن حجر في مقدمته لكتابه (فتح الباري شرح صحيح البخاري) المسماة بـ (هدي الساري) [1]، وإن قلّ هذا في كتب التراث.

– للفهارس الحديثة التي توسّع فيها المستشرقون نموذج سابق من عمل العلماء العرب في كتب الرجال والتراجم والبلدان ومعاجم اللغة وكتب الأطراف، وكذلك الإحالات، كما فعل ابن حجر في آخر تهذيب التهذيب عند ذكر الكُنى والألقاب. وكانت كلمة الفهرسة مستخدمة بمعنى الكتاب الذي تجمع فيه الكتب، كما في القاموس المحيط، لذلك أسمى النديم كتابه بالفهرست، واستعملت كلمة (ثبت) قديما بالمعنى الذي نعرفه حاليا للفهرس، ومثال ذلك ما جاء في فهرست النديم في ترجمة النضْر بن شُمَيْل: قرأت بخط أبي الحسن ابن الكوفي ثبت كتاب الصفات، ثم ذكره، فقال: الجزء الأول يحتوي على كذا، وهكذا عدد محتويات الأجزاء جميعًا[2]. وكذلك فعل ابن حجر في (هدي الساري) فقد وضع فهرسًا للبخاري، وذكر أسماء الصحابة الذين اشتمل عليهم الكتاب مرتبة على حروف المعجم، وعدة ما لكل واحد منهم من الأحاديث في الكتاب.

– غير أن المحققين العرب المحدَثين أضافوا إلى ما وجد في كتب المستشرقين من فهارس الأعلام والقبائل والبلدان والشعر والأيام والأمثال والكتب، أنواعًا أخرى بحسب موضوعات الكتب المحققة، مثل فهرس أنواع الحيوان الذي وضعه محقق كتاب الحيوان، وفهرس المباحث الكلامية والقضايا البلاغية وغيرها[3]، لأن الغاية من الفهارس أن تسهّل للقارئ الإفادة من علوم الكتاب المحقق فمن الطبيعي أن تختلف باختلاف الكتب. ونذكر من

---

[1] انظر تحقيق نصوص التراث للغرياني 36.

[2] الفهرست للنديم 76. واستعملت حديثا ألفاظ: الكشاف والمحتوى والمِسرد.

[3] انظر تحقيق النصوص ونشرها لهارون 87.

فهارس الكتب التراثية التي عني المستشرقون بها عناية فائقة فهرس أمالي أبي علي القالي الذي صنعه المستشرقان بيفان وكرنكو. ومن الفهرس العربية مثلا الفهارس التي وضعها الدكتور صبحي الصالح لكتاب نهج البلاغة، وقد بلغت عشرين فهرسًا[1].

– وقد دعا بعض المستشرقين كبرجستراسر إلى ضم فهرس أعلام الأشخاص والأماكن وغيرها في فهرس واحد، ولم يوافقه كثير من المحققين العرب.

– ومن ابتكارات المحققين العرب في مجال الفهارس ترتيبهم لفهارس الآيات والأحاديث حسب المواد اللغوية المتعلقة ببعض الألفاظ البارزة في الآية والحديث[2].

– وقد جرت العادة في النظام الإنجليزي بوضع الفهرس الخاص بمحتويات الكتاب في أول الكتاب، وفي النظام الفرنسي في آخر الكتاب، وتوضع الفهارس في الكتب العربية تارة في أوله، وتارة في آخره[3].

– أما حرص المستشرقين على ذكر المصادر والمراجع فقد عرفه علماؤنا، وأشاروا إليه في مقدمات كتبهم وحتى في أخرها، مثل فعل الفيومي في المصباح المنير والعَيني في المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية.

4: خاتمة:

إن ما تقدم ذكره من إشكاليات تخضع اليوم إلى اجتهادات فردية في حلها، وترجيح الأقوى من الاقتراحات ليكون معتمدا. ونحن بحاجة شديدة إلى اجتهادات جماعية من أصحاب الاختصاص تبلور القضايا المختلفة وتوحد النظرة إليها، وتتبنى بشأنها ما يمكن أن يكون أقرب إلى الصواب، لاسيما مع تطور الوسائل المساعدة على التحقيق وإدخال المكتبات الرقمية في خدمة الباحث والمحقق، مما يفتح المجال واسعا أمام التقدم بخطى سريعة في تحقيق التراث.

وكذلك فإنه يمكن الانطلاق لتشكيل بنك معلومات أو قاعدة بيانات شاملة يتبنى تغذيتها مركز علمي أو ثقافي أو تراثي قوي، تجمع التراث المحقق، وتعرف به، وتضع الخطط لتحقيق المهم منه مما لم يتحقق بعد حصره وفق معايير يضعها أهل الاختصاص في كل علم وفن، ثم توزيعه على الجامعات والمراكز العلمية التراثية لإيجاد شركاء فاعلين في تحقيق التراث، كل حسب تخصصه واهتمامه.

ونود الإشارة هنا إلى أن "أسس تحقيق التراث العربي" التي نشرها معهد المخطوطات العربية سنة 1980م، هي قواعد رئيسة مهمة، لكنها مختصرة جدا بحاجة إلى تفصيل، وبحاجة إلى تفعيل طريقة للالتزام بها من خلال التواصل العلمي المثمر بين كل من يقوم على نشر التراث.

---

[1] وقد اعتبر بعض المحققين أن هذا من قبيل الإفراط، كما وصف الأستاذ مصطفى جواد الفهارس التي صنعها الكرملي لكتاب (الإكليل في تاريخ اليمن) (انظر أمالي مصطفى جواد في فن تحقيق النصوص 125).

[2] تحقيق النصوص ونشرها لهارون 90.

[3] معجم المصطلحات العربية 187.

طرق ومناهج تحقيق التراث والمخطوطات التاريخية

«مخطوط رحلة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني إلى الحج (1189هـ- 1775م)» أنموذجاً

د. خيرالدين شترة جامعة المسيلة

مقدمة:

إن تحليل المخطوطات تحليلاً منهجياً نقدياً – خصوصاً المخطوطات التاريخية – هي مهمة صعبة ومعقدة وتتطلب دراية عميقة بهذا الفن، ولذا فإنه لا يتصدى لها سوى أولئك العلماء الذين لديهم دُربة وخبرة بتحقيق التراث والمخطوطات، ويُحيطون بقواعد هذا الفن وأصوله.

فالغاية القصوى لأي محقق في أي مجال تخصصي يريد التحقيق في إحدى مصادره هي أن يخرج الكتاب الذي حققه كما أراده صاحبه وتركه عليه من حيث المعلومات[1]، وكما يريده القارئ من حيث سهولة تناوله بالقراءة والتحصيل، وبما أن الكتابات التاريخية والتراثية من أصعب المجالات التخصصية من حيث الدقة والتثبت والأمانة والتمحيص فالواجب على المهتم بالتحقيق في هذا المجال أن يكون على قدر كبير من الإحاطة بهذه الخصال البحثية المتميزة، ولا يتأتى له ذلك إلا إذا كان ملماً بالعلم الذي حوته هذه المخطوطة أو تلك.

إن المخطوط يمثل مصدراً مهماً من مصادر البحث العلمي عموماً والبحث في التراث خصوصاً واستفادة الباحث من المخطوط تكون إما بالاستعمال المباشر لمحتويات مادته في مختلف البحوث أو باتخاذه محور دراسة في بحث أكاديمي قصد تحقيقه أو دراسته. وليس من المبالغة في شيء إذا قلنا أن المخطوطات العربية هي من أقدم الآثار الفكرية والإنسانية التي وصلتنا سالمة حتى هذا العصر، وليس من المبالغة في شيء كذلك إذا قلنا أن المخطوطات العربية قد فاقت في عددها وتنوعها أي تراث فكري عالمي آخر. لكن مع كل هذا فقد استطاع العدد القليل من هذا الإرث أن يفلت من قبضة الزمن وظل هذا القليل ولفترة طويلة مجهولاً عن عامة الباحثين لعدم وجود فهارس تذكره[2].

ورغم ما شهدته الحقبة العباسية من تفوق في مجال صناعة الفهارس وتحقيق النصوص إلا أن بداية موجة التحقيقات حديثاً في هذا الإرث ظلت ولفترة طويلة حبيسة أيدي المستشرقين. قبل أن يتنبه إليه بعد ذلك عموم الباحثين العرب وأصبح فيه ما نراه الآن من معاهد خاصة ونشريات متخصصة إلى ما هنالك. ومعلوم أن عملية فهرسة وتحقيق المخطوطات تقتضي من الدقة والأمانة ما يصعب على الكثير من الباحثين التقيد به وهو ما تنبه له الجاحظ منذ القديم حين قال: «ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفاً أو كلمة ساقطة فيكون إنشاء عشر

---

[1] – المعموري الطاهر، منهج إعداد البحوث في الدراسات والتراث، تونس: سراس للنشر، 2001، ص80.

[2] – عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004، ص239.

ورقات من حر اللفظ أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام»[1]. بل الأكثر من هذا أن عملية فهرسة وتحقيق النصوص ليست في متناول الجميع كغيرها من الموضوعات لأنها كما يقول عبد السلام هارون: «نتاج خلقي لا يقوى عليه إلا من وهب خُلتين شديدتين: الأمانة والصبر وهما ما هما»[2].

ومن هنا تأتي هذه المداخلة بإذن الله لتبحث في طرق ومناهج تحقيق التراث والمخطوطات التاريخية، كما تحاول أن تجمع شتات آخر ما وقفت عليه جهود المختصين في ضبط وتحديد قواعد وأصول هذا الباب، وسنحاول إجراء بعض التطبيقات النظرية من خلال مخطوطة قمنا بتحقيقها ونشرها من قبل وهي «رحلة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني إلى الحج (1189هـ- 1775م)»

فما هي الطرق التي يجب عليه أن يتبعها الباحث، والمناهج التي من الضروري التقيد بها، وهو ما سنحاول – بإذن الله – الإجابة عليه استنادًا إلى تجربتنا المتواضعة في هذا المجال.

1. أهمية تحقيق النص التراثي وكتب المخطوطات:

1-1 المخطوط «مدخل مفاهيمي»:

يقول عبد السلام هارون[3] في بيان معنى تحقيق متن الكتاب: «ومعناه أن يؤدي الكتاب أداءً صادقاً، كما وضعه مؤلفه، كمّاً وكيفاً، بقدر الإمكان، فليس معنى تحقيق الكتاب أن نلتمسَ للأسلوب النازل أسلوباً هو أعلى منه أو نُحِلَّ كلمةً صحيحة على أخرى صحيحة بدعوى أن أولاهما أولى بمكانها، أو أجمل، أو أوفق، أو ينسب صاحب الكتاب نصاً من النصوص إلى قائل وهو مخطئ في هذه النسبة، فيبدل المحقق ذلك الخطأ ويحل محله الصواب أو أن يخطئ في عبارة خطأً نحوياً دقيقاً فيصحح خطأه في ذلك، أو أن يوجز عباراته إيجازاً مخلاً فيبسط المحقق عبارته بما يدفع الإخلال، أو أن يخطئ المؤلف في ذكر عَلَم من الأعلام فيأتي به المحقق على صوابه.

ليس تحقيق المتن تحسيناً أو تصحيحاً، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ، فإنَّ متن الكتاب حكمٌ على المؤلف، وحكمٌ على عصره وبيئته، وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها، كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوانٌ على حق المؤلف الذي له وحده حق التبديل والتغيير. وإذا كان المحقق موسوماً بصفة الجُرأة فأجْدِرْ به أن يتنحى عن مثل هذا العمل، وليدعْه لغيره ممن هو موسوم بالإشفاق والحذر.

وعلم المخطوطات (بالإنجليزية: Codicology) هو دراسة الكتب كأشياء مادية. وخاصة المخطوطات المكتوبة على الرق فعلى شكل المخطوطات المأثورة أو الأسفار القديمة Codex وغالبًا ما يشار إليها باسم علم آثار الكتاب حيث يهتم هذا العلم بالمواد والطرق المستخدمة في صناعة الكتب وتجليدها. يدرس هذا العلم

---

[1] – الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ؛ «البيان والتبيين»، تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/1998م.ص 53

[2] – عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها،ط7، القاهرة:مكتبة الخانجي، 1418هـ/1998م. ص 77

[3] – نفسه، ص.ص (46-48)

المخطوطات في مظهرها المادي. وقد نشأ في فرنسا، وتحديدًا في مدينة باريس خلال العقدَين الثالث والرابع من القرن العشرين.

ويعود تأسيسه إلى كلّ من شارل سارامن (Charles Samaran) وألفونس دان (Alphonse Dain). فابتكر الأوّل مصطلح كوديغرافيّا "Codigraphie" بدون أن يحدّد بشكل دقيق معناه. أمّا "دان" فابتكر المصطلح الثاني "Codicologie" (علم المخطوطات) واستعمله أوّل مرّة سنة 1944، خلال إعطائه دروسًا في مادّة علم اللغة اليونانيّة (Philologie grecque)، وبقي المصطلح غير متداول إلى سنة 1949، حيث نشر كتابه الشهير الذي حمل عنوان "المخطوطات" (Les manuscrits)، وأعلن فيه ابتكاره لهذا المصطلح. وحدّد معنى المصطلح الجديد.

ويشتقّ مصطلح كوديكولوجيّا من الكلمتَين: كودكس "Codex" اللاتينيّة التي تعني مجموعة كرّاسات مجموعة في مجلّد واحد ولها غلاف خارجيّ. ولوغيّا "Logia" اليونانيّة وتعني بالمعنى الضيّق "الكلام" وبالمعنى الواسع "علم". وللكوديكولوجيّا تحديدان: الأوّل ضيّق (stricto sensu) ويُعرف بعلم آثار الكتاب، واختصاصه دراسة المخطوطات من النواحي الخارجيّة كالشكل ونوع الورق ونوع الحبر وطريق التجليد، الخ. والثاني أوسع (lato sensu) يدرس تاريخ المخطوط ومحتواه وأهميّته الواقعيّة بالنسبة إلى الناس. أمّا الاهتمام بهذا النوع من الدراسة والعلم فقد ظهر في ألمانيا وعُرف باسم "علم المخطوطات"أو"فنّ المخطوطات" andschriftenkunde). وبعد ذلك، ظهرت في أوروبّا مجلاّت متخصّصة بهذا النوع من العلم، أهمّها:

1- ‘‘Scriptorium’’ الفرنسيّة التي تأسّست في بلجيكا سنة 1946، وكانت فصليّة وتجمع أقوالاً مأثورة من هذا المخطوط أو ذاك، وبالتالي لم تكون مجلّة كوديكولوجيّا بالمعنى الحقيقيّ للكلمة.

2- ‘‘Codicologica’’ الهولّنديّة، وقد تأسّست سنة 1976، وكانت تُعنى بالقضايا المنهجيّة في دراسة علم المخطوطات.

3- "Gazette du liver medieval’’ الفرنسيّة، وقد تأسّست سنة 1982، بهدف الدفاع عن الباحثين في علم المخطوطات، ولأجل نشر كلّ معلومات تُفيد في هذا العلم.

4- ‘‘Scrittura e civiltà’’ الإيطاليّة، وهدفها دراسة النصوص من الزاوية التاريخيّة.

وسنة 1985 أصدر دونيز موزيريلّ (Denis Muzerelle) كتابًا باللغة الفرنسيّة حمل عنوان "المعجم اللغوي لعلم المخطوطات" (Vocabulaire codicologique) وفيه وضع شرحًا للكلمات المستعملة في هذا العلم. إعداد مكاريوس جبّور.

لكن الحقيقة ليست كما تقول الموسوعة أن علم المخطوطات نشأ في فرنسا بل أن أصول فن التحقيق عربية إسلامية محضة، قال الدكتور رمضان عبد التواب[1] :«يظن بعض الباحثين المحْدثين من العرب، أن فن تحقيق النصوص فن حديث ابتدعه المعاصرون من المحققين العرب، أو استقوه من المستشرقين، الذين سبقونا في العصر الحاضر بعض الوقت في تحقيق شيء من تراثنا ونشره بين الناس. ولكن الحقيقة بخلاف ذلك، فقد قام فن تحقيق النصوص عند العرب مع فجر التاريخ الإسلامي، وكان لعلماء الحديث اليد الطولى في إرساء قواعد هذا الفن في تراثنا العربي وتأثر بمنهجهم هذا أصحاب العلوم المختلفة؛ وإنَّ كثيراً مما نقوم به اليوم من خطوات في فن تحقيق النصوص ونشرها، بدءاً من جمع المخطوطات والمقابلة بينها ومروراً بضبط عباراتها وتخريج نصوصها، وانتهاءً بفهرسة محتوياتها، لما سبقَنا به أسلافنا العظام من علماء العربية الخالدة».

ولقد عرف أسلافنا المتقدمون قواعد التحقيق والتوثيق وتقييد العلم، وكان لعلماء الحديث النصيب الأكبر في إرساء هذه القواعد؛ حتى قال الدكتور شوقي ضيف: إنهم «لم يبقوا لنا ولا للمستشرقين شيئاً مما يمكن أن يضاف بوضوح في عالم تحقيق النصوص»[2]، وفي أوائل القرن الماضي نشط تحقيق النصوص التراثية ونشرها، فكان لزاماً على العلماء وأئمة التحقيق أن يجمعوا قواعد التحقيق ويضعوها لتكون نبراسا وتذكارا لكل من يتصدى لهذا العمل الجليل، ولكي لا يدعوا عذرا لكل منتحل علما يعبث بالتراث ويتكسب به

أ. التحقيق في اللغة: لفظة التحقيق جاءت مصدراً من الفعل"حقق يحقق تحقيقاً " وأصل مادته الفعل المضعف العين (حقّ)، وقد تولدت عنه معان عديدة يرى ابن فارس أنها تدور حول إحكام الشيء وصحته قال صاحب اللسان[3]: «حقَّ الأمرُ يَحِقُّ ويَحُقُّ حقاً وحقوقاً :صار حقاً وثَبَتَ، وحَقّه وأحقّه: أثبته وصار عنده حقاً لا يُشك فيه، وحَقَّهُ وحَقَّقَهُ :صَدَّقَهُ، وحَقَّقَ الرَّجُلُ إذا قال: هذا الشيءُ هو الحقُّ؛ كقولك :صَدَّقَ، وأحقَقْتُ الأمرَ إحقاقاً: إذا أحكمتُه وصحّحتُه»، ومن هذا النص نأخذ أن المادة تدل على المفاهيم التالية: الإثبات. التصديق الإحكام. والتصحيح، وكلمة «تحقيق»: مصدر حقّق ؛ لأن (فَعَّلَ) مصدرُها القياسي «تَفعِيل» ومن خلال هذه المعاني يتبين لنا أن كلمة تحقيق تدور حول: إحكام الشيء وصحته والتيقن والتثبت. إذن فالتحقيق في اللغة هو العلم بالشيء، ومعرفة حقيقته على وجه اليقين.والكلام المحقَّق: المحكَم الصَّنعة الرصين. وقد تعني كلمة تحقيق التصحيح والإحكام، قال ابن الأعرابي : أحققت الأمر إحقاقًا: إذا أحكمته، وصححته.

---

[1] – مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1406هـ – 1986م. ص11. وهي في الأصل عبارة عن محاضرات ألقاها في مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية عام 1980م.

[2] – محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، القاهرة: مكتبة الخانجي 1405هـ – 1984م. ص35. للتوسع يراجع: – عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، جدة: مكتبة العلم، 1402هـ – 1982م

[3] – ابن منظور، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، ب.ت.

التحقيق في الاصطلاح: عرفه الدكتور عبد الله عسيلان بأنه: « إخراج الكتاب على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي في عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبته إليه، وتحريره من التصحيف والتحريف والخطأ، النقص والزيادة»[1] بقراءته قراءة صحيحة يكون فيها متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تمت على يد مؤلفه، أو «إخراجه بصوره مطابقة لأصل المؤلف، أو الأصل الصحيح الموثوق إذا فقدت نسخة المؤلف»، يقول الدكتور عبد السلام هارون هو: «بذل عناية خاصةٍ بالمخطوطات حتى يمكنَ التّثبُّتُ من استيفائها لشرائطَ معينة»، والكتاب المحقق هو: «الذي صحَّ عنوانه، واسم مؤلِّفه، ونسبة الكتابِ إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تَرَكها مؤلفُها»[2]، ومن هذين التعريفين وغيرهما نخرج بأن التحقيق: «هو تقديم النص المخطوط كما يريده مؤلفه»[3]. إن علم التحقيق فن خفي المسالك، عظيم المزالق، كثير المضائق، والتحقيق في اللغة: الإثبات والإحكام، وقد قيل: كلام محقق أي محكم الصنعة رصين، ثم أصبح "التحقيق" مصطلحاً يطلق على ما يقوم به العالم من إخراج النص المخطوط في صورة صحيحة متقَنة، ضبطاً وتشكيلاً، وشرحاً وتعليقاً، وفق أصول متبَعة معروفة لدى الذين يتعاطون هذا العلم.

يعنى فن تحقيق المخطوطات بإظهار الكتب المخطوطة مطبوعة، مضبوطة، خالية نصوصها من التصحيف والتحريف، مخدومة في حلة قشِيبة، تُيَسِّرُ سبل الانتفاع بها وذلك على الصورة التي أرادها مؤلفوها أو أقرب ما تكون إلى ذلك ولا يُدرَكُ هذا المعنى إلا بعناء وصبر على البحث والتمحيص، وأصل التحقيق كما قال أهل اللغةً: تحقق عنده الخبر أي صحَّ، وحقَّق قوله وظنه تحقيقًا أي صدَّقه، وكلام مُحقق أي رصين. وحققتُ الشيء تحقيقاً إذا صدَّقت قائله، ومن هنا يمكن وضع مفهوم لمصطلح التحقيق من معناه اللغوي بقولنا: إثبات الشيء وإحكامه وتصحيحه، والتيقن من مصدره، وهذا ما يصدق عليه قوله تعالى : ﴿يَا أيُها الذِينَ آمنُوا إنْ جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبأٍ فَتبَيِّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوماً بجَهَالَة فتُصْبحُوا عَلَى مَا فَعلْتُم نَادِمينَ﴾[4]، وكلمة تبينوا التي جاءت في الآية الكريمة تعني التحقق من صحة الخبر سواءً كان مكتوباً أو رواية شفوية، أما التحقق في المخطوط فهو إثبات صحته من حيث عنوانه واسم مؤلفه ومتنه (مادته العلمية) وتقديمه للمطبعة بعد ذلك لنشره ليطلع عليه عامة الناس. وعمل المحقق رد النص إلى أصله الذي أصدره المؤلف وتصحيح ما أصابه من تحريف وتصحيف ومما زيد عليه أو أنقص منه. وجاء في المعجم الوسيط: أن المخطوط هو الكتاب المكتوب بالخط لا بالمطبعة وجمعه مخطوطات[5].

وبالتالي فهو الفحص العلمي للنصوص، من حيث مصدرها، وصحة نصها، وإنشائها، وصفاتها، وتاريخها، وبعبارة أخرى: «أن يؤدَّى الكتاب أداءً صادقًا كما وضَعَه مؤلِّفُه كمًّا وكيفًا بقدر الإمكان». أما موضوعه، فهو

---

[1] – فوزي سالم عفيفي، نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية، الكويت: وكالة المطبوعات ، 1400هـ – 1980م. ص121.

[2] – عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها،ص 77.

[3] – نفسه.

[4] – سورة الحجرات آيه 6.

5 – غازي حسين عناية، إعداد البحث العلمي، بيروت: دار الجليل، 1992م، ص95.

المخطوطات العربية القديمة، على اختلاف علومها وفنونها، وهي التي تشكل تراثَنا العربي، وهدفُه الوصول إلى الكتاب المحقق، وهو الكتاب الذي صحَّ عنوانُه، واسمُ مؤلِّفِه، ونسبةُ الكتاب إليه، وكان متنُه أقربَ ما يكون إلى الصورة التي تركَها مؤلفُه[1].

وحسب ما جاء في الويكبيديا: فيعرَّف تحقيق المخطوط بما يقوم به طالب العلم من إخراج نصوص المخطوطات القديمة في صورة صحيحة متقَنة، ضبطاً وتشكيلاً، وشرحاً وتعليقاً، وفق أصول متبَعة معروفة لدى الذين يتعاطون هذا العلم، وعرَّفه بعضهم بالقول: «علم بأصول لإخراج النص المخطوط على الصورة التي أرادها صاحبها من حيث اللفظ والمعنى، فإن تعذّر هذا كانت عبارات النص على أقرب ما يمكن من ذلك»، ويُقابل المخطوط المطبوعُ ، وهو الكتابُ المنسوخ بالمطبعة.

عرّفه الدكتور عبد الهادي الفضلي بقوله: «إخراج الكتاب بصورة مطابقة لأصل المؤلف أو الأصل الصحيح الموثوق إذا فقدت نسخة المؤلف»[2]. وعرّفه محمد آل شاكر بأنه: «بذل عناية خاصة بالمخطوط لتقديمه صحيحاً كما وضعه مؤلفه». أما محمد السيد علي البلاسي فقد عرّفه في مقاله " أصول تحقيق المخطوطات" بأنه: «إخراج الكتاب على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي في عنوانه واسم مؤلفه ونسبته إليه، وتحريره من التصحيف والتحريف والخطأ والنقص والزيادة». ويقول الدكتور عبد الإله نبهان: «يعني التحقيق: إخراج نصّ معيّن في شكل أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه اعتماداً على المقارنة بين كلّ النسخ التي بقيت من الكتاب، وهو مصطلح حديث»[3]. وحتى الآن لا نجد للتحقيق تعريفًا واضحًا وافيًا موجزًا إلا ما جاء به حديثًا الدكتور فخر الدين قباوة حين عرّف التحقيق اصطلاحًا بأنه: «علم بأصول لإخراج النص المخطوط على الصورة التي أرادها صاحبها من حيث اللفظ والمعنى، فإن تعذّر هذا كانت عبارات النص على أقرب ما يمكن من ذلك»[4]. ولعل أوفاها ما ذكره عبد السلام هارون رحمه الله يقوله: «بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة , فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه, وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه»[5]

---

1 – الكمالي عبد الله، كتابة البحث وتحقيق المخطوطة، خطوة بخطوة، بيروت: دار ابن حزم، 2001م، ص91.

[2] – عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، ، ط1، جدة، مكتبة العلم ، 1402هـ، ص66.

[3] – أحمد مطلوب؛ «نظرة في تحقيق الكتب.. علوم اللغة والأدب»، مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، مج1، ج1، ربيع الأول- شعبان 1402هـ، يناير- يونيو 1982م.

[4] – فخر الدين قباوة، علم التحقيق للمخطوطات العربية بحث تأسيسي للتأصيل: ، حلب: دار الملتقى، 2005م. ص121.

[5] – عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ص 42

والتُراث كما جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب هو ما خلّفه السلف من آثار عليمة وفنية وأدبية ممّا يُعتبر نفيساً بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه، فإذا قلنا: تحقيق التراث فيُراد من كلمة "التراث" في هذه العبارة: الكُتُب المخطوطة التي ورّثها السلف للخلف[1].

ج- **كلمة مخطوط تعني في اللغة:** كل ما كتب بخط اليد سواء كان كتابا أو وثيقة* أو نقشاً على حجر.

د- و**كلمة مخطوط في الاصطلاح:** تقتصر على الكتاب المكتوب بخط اليد لا يتجاوزه إلى غيره من الأشكال المخطوطة. ويسمى المخطوط تمييزاً له عن الكتاب المطبوع، وقد ظهر هذا المصطلح متأخرًا.

هـ- **الوثيقة** : ما تناولت موضوعاً واحداً. أما الكتاب فإنه يتناول موضوعا أو أكثر[2] .

لم ينشأ علم التحقيق دفعة واحدة، بل إنه قد مر بمراحل، وكانت كلّ مرحلة تتمم سابقتها، وتضيف إليها فقد قام أجدادنا العرب والمسلمون بجهود كبيرة في تحقيق النصوص وتوثيقها وفق قواعد وضوابط مقررة لإثبات صحة النص ومعرفة صاحبه وتاريخ نسخه وناسخه، وغير ذلك من الأمور التي تنتهي بإخراج النص كما وضعه صاحبه على قدر المستطاع. يقول الدكتور شوقي ضيف مؤكداً هذه الحقيقة: « لقد كانوا يعرفون كل القواعد العلمية التي نتبعها في إخراج كتاب لا من حيث رموز المخطوطات فحسب، بل أيضاً من حيث اختيار أوثق النسخ لاستخلاص أدق صورة للنص، ولعل خير ما يمثل عملهم في هذا الجانب إخراج اليونيني، حافظ دمشق المشهور في القرن السابع الهجري، لصحيح البخاري»[3].

لكن ما قاموا به لم يشكل قواعد علم مستقلّ بذاته كغيره من العلوم، حتى جاء عصر المطبوعات وهو أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إذ انصرف عدد من رجال العلم والمعرفة إلى تحقيق التراث والإقبال على نشره، وبعد انتشار دور الطباعة والنشر لمس بعضها اهتمام العلماء بنشر التراث وتحقيق المخطوطات فراحت تتتبّع مصادر التراث في الدين واللغة والأدب والعلوم والفنون تصدرها وتشرف على نشرها. وفي ذلك العصر أصبح

---

[1] -http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title. " &تحقيق_المخطوطات

[2] – محمد قاسم الشوم، منهجية البحث وعلم المكتبات والمخطوطات، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007م، ص181.للتوسع يُراجع: – الطباع إياد خالد، منهج تحقيق المخطوطات، دمشق: دار الفكر، 2003.

[3] – عبد السلام محمد هارون؛ «قطوف أدبية.. دراسات نقدية في التراث العربي، حول تحقيق التراث»، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 1409هـ/1988م.– راجع أكثر: – شوقي ضيف: البحث الأدبي مناهجه وأصوله ومصادره، مصر: دار المعارف، 1979م.

من الضروري التعريف بهذا العلم وتقعيده بشكل علمي دقيق، فقام بعض العلماء بتأليف الكتب التي تتناول علم التحقيق تعريفاً وتقعيداً وشرحاً وتمثيلاً، ولا ننكر أن هذه الكتب قد استفادت من جهود المستشرقين وأعمالهم في هذا المجال، إلا أنها قبل ذلك قد نقلت الكثير من مؤلفات أجدادنا العلماء التي قد تناولت هذا العلم، فقد تضمنت كتبهم بعضاً من قواعد التحقيق والتوثيق وطرائقهما، **ومن هذه الكتب:** ▯ مقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري. ▯ تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة. ▯ المعيد في أدب المفيد والمستفيد للعلموي. ▯ أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني. ▯ التعريف بآداب التأليف للسيوطي.

كما استمد مؤلّفو كتب علم تحقيق المخطوطات قواعدهم من تجارب العلماء الذين ولجوا في عالم التحقيق وتمثّلت بكثير منها. ويمكن القول بثقة إن علم التحقيق قد أصبح علمًا قائمًا بذاته، له مناهجه وطرائقه وقواعده ومؤلفاته، حتى رأينا بزوغ علم آخر جديد من هذا العلم، وهو علم المخطوطات (الكوديكولوجيا)[1].

1-2 الصفات الواجب توافرها في المحقق:

يحتاج التحقيق إلى أمور علمية عديدة بعضها يتعلق بالمحقق ذاته وبعضها يتعلق بالمخطوط وأسلوب التحقيق، ومن الصفات التي يجب أن تتوفر في المحقق:

---

[1] – وهذه بعض الكتب الغنية التي تناولت علم التحقيق، أو ما يمت بصلة إليه من الاعتناء بالمخطوطات ونشرها:▯ أُسس تحقيق التراث العربي ومناهجه، لجنة مختصة في بغداد، معهد المخطوطات العربية في الكويت، 1400هـ.▯ أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، 1424هـ-2004م.▯ أضواء على البحث والمصادر، د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، 1426هـ- 2005م.▯ تحقيق التراث العربي.. منهجه وتطوره، د.عبد المجيد دياب، منشورات المركز العربي للصحافة، القاهرة، 1983م.▯ تحقيق التراث، د.عبد الهادي الفضلي، ط1، مكتبة العلم بجدة، 1402هـ.▯ تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، د.عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1415هـ.▯ تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، القاهرة، 1374هـ-1954م. وهو أول كتاب عربي في هذا الفن يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته، ثم تتابعت بعده الكتب التي تعالج هذا الموضوع.▯ تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية: يحيى هلال السرحان، بغداد، 1404هـ.▯ تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، د.الصادق عبد الرحمن الغرياني، ليبيا، 1989م.▯ تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب: أحمد شاكر، باعتناء عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1414-1993.▯ علم التحقيق للمخطوطات العربية بحث تأسيسي للتأصيل: فخر الدين قباوة، دار الملتقى، حلب، 2005. وهو أحدث وأشمل كتاب تناول علم التحقيق أصولاً وتاريخاً وممارسةً.▯ عناية المحدّثين بتوثيق المرويات وأثر ذلك في تحقيق المخطوطات، أحمد نور سيف، دمشق، 1407.▯ فهرسة المخطوط العربي، ميري عبودي فتوحي، من منشورات دار الرشيد بغداد، 1980م▯. في منهج تحقيق المخطوطات، مطاع الطرابيشي، دار الفكر بدمشق، 1403هـ.

- الالتزام والرغبة بتحقيق المخطوط الذي ينوي القيام بتحقيقه لأن عدم الرغبة وعدم الاقتناع، لن يؤديا إلى تحقيق دقيق بل إلى تحقيق هامشي . ثم إن الالتزام الحضاري بالتراث، هو من العوامل الهامة في التحقيق.
- أن هدف التحقيق لا يكمن فقط في نشر المخطوطات أو لنيل درجة علمية (ماجستير أو دكتوراه) على عمل التحقيق، وإنما يهدف أيضاً لإحياء هذا التراث ونشره والاستفادة من علومه ودرجاته. واختيار الصالح منه ولنشره.
- دقة الملاحظة وامتلاك علوم أخرى وسعة المعارف، فمن الصفات الواجبة في المحقق، أن يكون دقيق الملاحظة، دقيق المعرفة، يمتلك علوماً أخرى في غير موضوع المخطوط، كي يساعده ذلك على التحقيق ثم إن سعة معارفه وعلومه تسهل له مهمته، لأن تحقيق المخطوطات يحتاج إلى علوم عديدة تؤدي إلى تحقيق متكامل، ولا بد من أن يمتلك ملكة النقد.
- الاطلاع على أعمال المحققين السابقين للاستفادة من تجاربهم، وأساليبهم العلمية في عملية التحقيق كما سبق توضيحه. ولا مانع مطلقاً، بل من واجب المحقق أن يستعين– إذا اضطر –بذوي الخبرة والاختصاص فيسأل عن بعض الأمور الغامضة، أو التي تحتاج إلى توضيح أو تفسير لم يستطع المحقق أن يصل إليها.
- الصبر والأمانة، وهما صفتان لازمتان للمحقق على غرار بقية الصفات. فمن المعروف أن التحقيق يحتاج إلى جهد علمي متواصل، وإلى وقت طويل وإلى بحث وتنقيب وجمع للمعلومات. وإذا لم تتوفر هذه الصفة فإن المحقق لا يستطيع أن يتابع مشواره العلمي. أما الأمانة فهي صفة دينية وعلمية للمحقق، لأن فقدان الأمانة العلمية تؤدي إلى التزوير والسرقة العلمية وإلى الغش العلمي[1].
- اقتناع المحقق بضرورة الاطلاع على مصادر متنوعة وعلوم ومعارف في موضوع التحقيق وفي غيرها من الموضوعات المساعدة على التحقيق, وأن المقصود من ذلك تحقيق وثيقة لا تحتاج إلى كتب لغوية تاريخية فحسب، وإنما قد تحتاج إلى كتب جغرافية واقتصادية وأنتروبولوجية وقانونية وقواميس لغوية لتفسير ما غمض من كلمات وألفاظ عثمانية أو فارسية، وهكذا بالنسبة لبقية الموضوعات وبقية المخطوطات.
- ضرورة عودة المحقق إلى الفهارس – وهي كثيرة – وهي فهارس للمخطوطات وللكتب الموجودة في المكتبات العامة. والفائدة من ذلك قد يجد المحقق نسخة أخرى من المخطوط الذي يقوم بتحقيقه.

[1] – محمد قاسم الشوم، منهجية البحث وعلم المكتبات، ص181

- والإجراء المتبع طلب نسخة من المخطوط الثاني بداعي المقارنة العلمية والمقارنة في مجال قضية هامة وأساسية.
- وضرورة العودة إلى الكتب والمصادر العربية المتخصصة في علوم متنوعة تفيد الباحث والمحقق.
- المؤهلات العلمية : ذلك بالتمكن من العلم الذي يخوض غماره والخبرة بالعمل الذي يمارسه وحُسن الفهم لما يقرؤه، لذلك على صاحب كل تخصص معين أن يفتش عما يخدم تخصصه ليبدع في تحقيقه.
- التواضع واستعداده للحوار والمناقشة والبعد عن التمسك بالرأي والوقوف عليه، والتزمت لرأي هو مقتنع به.
- أن يكون عارفاً بأنواع الخطوط العربية وتاريخ تطورها، أو على الأقل أن يكون عنده حسٌ مرهفٌ بهذه الخطوط عن طريق الاطلاع عليها أو على أغلبها.
- أن يتبع القواعد الأساسية لتحقيق المخطوطات وأصول نشر الكتب[1].

1-3 خطوات تحقيق المخطوط:

يتفق الباحثون على ضرورة المحافظة على النص القديم كما وصلنا، فليست الغاية من التحقيق تحسين أسلوب المؤلف وتصحيح أخطائه أو أخطاء عصره، وإنما الغاية عرض الكتاب كما يريده مؤلفه ثم خدمة نصه بشرح غامضه والتعريف به وتخريجه وفهرسته[2].

ومعظم المخطوطات القديمة يحتاج إلى مراس طويل، وذلك لأن كثيراً منها يخلو من النقط والإعجام، وقد تكون منقوطة غير أنها تنتمي إلى النوع الأندلسي الذي يسير على طريقه معينة في التنقيط، وينبغي أن يتعرف الباحث على طريقة الناسخ في شطب بعض الكلمات وفي إشارة الإضافة، وثمة اختصارات درج عليها كثير من النساخ ينبغي أن نعرف دلالاتها، وعليه أن يلاحظ اختلاف الخطوط في النسخة الواحدة، وقد يغير حكمه على النسخة من حيث منزلتها بعد الخط الجديد، ومما يتصل بمقدمات التحقيق اللازمة، التمرس العميق بأسلوب المؤلف، ومن الضروري أن يتمرس المحقق أيضاً بطريقة كشف مصادر المؤلف إن لم ينص عليها.[3]

---

[1] – للتوسع أنظر: – عبد السلام محمد هارون؛ «قطوف أدبية.. دراسات نقدية في التراث العربي، حول تحقيق التراث».

[2] –المعموري الطاهر، منهج إعداد البحوث، ص80.

[3] –عصام محمد الشنطي؛ «صلاح الدين المنجد والمخطوطات والتغريب»، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج35، ج1، 2، جمادى الآخرة- ذو الحجة 1412هـ/جانفي- جويلية 1991م. ص45.

وهناك عشر نقاط على الباحث أن يتبعها لتقديم ما عنده من مخطوطات يضع المخطوطات أمامه ويعطيها درجة أو لا يعطيها حسب ما لديه من هذه النقاط لكل منها وهي[1]:

1-القدم.

2-الكمال.

3-خلوها من العيوب (الطمس أو التآكل أو سوء التصوير).

4-الوضوح وحسن الخط.

5-مقروءة على أحد العلماء -بمعنى أنها صوبت-[2].

6-إذا كان عليها إجازة. (شهادة للمخطوطة بأن القارئ عرضها على عالم وتم تقويمها). يقول الإمام المزني: قرأنا كتاب الأم على الشافعي ثمانين مرة وما من مرة إلا ووقفنا فيه على خطأ، فقال الشافعي: «إيه أبى الله أن لا يكون فيه كتاب صحيح غير كتابه».

7- وجود التملكات عليها.

8- أن يكون الناسخ معلوماً.

9-أن يكون تاريخ النسخ معلوماً.

10- خلوها من الأخطاء الإملائية. النسخة التي لها درجات أكثر تقدم وتعتمد وتتخذ أصلاً[3].

وقبل البدء بذكر الخطوات التي ينبغي سلوكها والأخذ بها في تحقيق المخطوط, ينبغي التنبيه على أمور هامة في كيفية الحصول على المخطوط: فإذا عزم الشخص على تحقيق مخطوط معين فليتنبه إلى أمور مهمة منها:

أولا: لابد لمن عزم على تحقيق مخطوط, أن يكون هذا المخطوط الذي عزم على إخراجه ذا أهمية, بحيث لا تضيع الأوقات عليه في عمل لا جدوى منه, ولهذا الأمر صور:

---

[1] - الكمالي، كتابة البحث، ص.ص(92-93)- للتوسع يراجع: -ثريا عبد الفتاح ملحس، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982، ص.ص (122- 134).

[2] - محمد قاسم الشوم، منهجية البحث وعلم المكتبات، ص182.

3 - أشار إلى ذلك: هلال ناجي؛ «من قواعد التحقيق العلمي: توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه»، مجلة المورد، مج21، ع1، 1993م، ص41.ومصطفى يعقوب عبد النبي؛ «التعليق على النص في التراث العلمي.. الكيفية والضرورة»، مجلة الأحمدية، ع12، رمضان 1423هـ، ص267. وأحمد مطلوب؛ «نظرة في تحقيق الكتب.. علوم اللغة والأدب»، مرجع سابق، ص15.

- أن يحقق مخطوطاً قد خدم نصّه خدمة جليلة, ولا حاجة لإعادة تحقيقه وقضاء الأوقات فيه, فبذل الوقت في غيره مما له فائدة أولى وألزم.
- المخطوط الذي لم يتحقق نسبته للمؤلف, ولم يوجد ما يدل على هذه النسبة, ولا يكفى في هذا غلبة الظن التي لم تكن مبنية على علم وتحقيق ونظر, فإن تساهله في ذلك قد يؤدي فيما بعد ربما إلى نفي نسبة هذا الكتاب عمن ألفه.
- كتب أهل البدع والأهواء وعلى رأس هؤلاء كتب الروافض أو الجهمية أو غيرها من كتب أهل الضلال والانحراف, فحقّ هذه الكتب الكتمان لما فيها من شر وضلال, ومن دلّ على شر كان عليه وزره ووزر من عمل به.
- الكتب التي يكون فيها الخرم كبير بحيث لا يفيد الكتاب إذا خرج على هذه الحالة, فالمحقق هنا يتأنى حتى يُيسر الله له الحصول على النقص.

ثانيا: لابد متى عزم على التحقيق, أن يبذل وسعه في البحث عن نسخ أخرى, لهذا المخطوط, وله في ذلك طرق كثيرة منها ومما ذكر في ذلك:

- الكتب الموسوعية التي اعتنت بذكر أماكن المخطوطات , ككتاب بروكلمان وهو مستشرق, وكذا كتاب سيزكين " تأريخ التراث العربي", وغيرها من الكتب الموسوعية. مع الحذر في التعامل معهما.
- فهارس المكتبات, كفهرس المخطوطات في المكتبات المركزية, وغيرها من الفهارس في مكتبات العالم.
- النظر في المجلات التي تعنى بجمع أسماء المخطوطات ونشرها.
- المكتبات الخاصة.«أرباب الخزائن»
- سؤال المتخصصين في جمع المخطوطات والاعتناء بها, والحرص على تتبع أماكنها.
- مراسلة المراكز المتخصصة في جمع المخطوطات, ومن أشهرها مركز الملك فيصل، الخزانة الحسنية الملكية[1].....الخ.

ومن متممات التحقيق أن يتأكد أن للكتاب نسخاً أو نسخةً – فريدةً – على الأقل مخطوطة متوافرة يسهل الحصول عليها وألا يكون من الكتب المفقودة وأن يأخذ فكرة عنه من الكتب التي أشارت إليه أو ذكرته.

وإذا ما استقر الباحث على مخطوط معين وأحب أن يعمل على تحقيقه، فعليه أن يفتش عنها في المضان التي من المرجح العثور عليها كفهارس المخطوطات الموجودة في كثير من المكتبات، بل هناك مراكز ومعاهد

[1] – الكمالي، كتابة البحث، ص106.

خدمت هذا الجانب يمكن الرجوع إليها للوصول إلى المخطوط، كمركز الملك فيصل في السعودية، ومكتبة اسطنبول المركزية ومركز جمعة الماجد في دبي، ومكتبة الوقف السني ببغداد، ومكتبة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني.

والحقيقة أن هناك من التسهيلات الكبيرة في زماننا ما لم تكن متوافراً في السابق، حيث يمكن للباحث أن يدخل إلى عالم الأنترنيت ويصل إلى المراكز والمعاهد المتخصصة والمنتشرة في أنحاء العالم ويمكنه في بعض الأحيان مراسلة تلك المراكز والاستعانة بها وهو جالس في بيته. وبعد الانتهاء من جمع ما تيسر للمحقق تحصيله من النسخ فإن المرحلة التالية المتوجبة عليه هي قيامه بدراسة هذه النسخ وتقوم هذه الدراسة على معرفة ما في النسخ من تباين في الخط والعصر الذي كتبت فيه وتوثيق هذه النسخ لمعرفة تباينها واختلافها.

ولا بد من الإشارة إلى وجوب الاستفادة من فهارس المخطوطات التي تبين الناسخ وتاريخ النسخ إذ إن دراستها دراسة أولية يمكّن الباحث من اختيار النسخ التي يحتاج إلى تصويرها وإن كان الشك يتطرق في كثير من الأحيان إلى صحة الوارد فيها سواء بأسماء النساخ أو تاريخ النسخ أو مكانه أو نحو ذلك من المعلومات التي توصف بها المخطوطة. وبعد أن يقوم المحقق بجمع النسخ الخطية ودراستها يقوم بعملية ترتيب أفضلي للنسخ[1] وذلك حسب الترتيب الآتي:

- . نسخة المؤلف – إن وجدت – والتي نسميها (النسخة الأم) أو (النسخة الأصلية) ويجب ملاحظة اعتماد آخر نسخة كتبها المؤلف فقد يكتب المؤلف كتابه ثم يضيف إليه في ضوء قراءته له وتدريسه لغيره ومراجعته إياه .
- . تلي نسخة المؤلف نسخة قرأها المؤلف أو قرئت عليه وأثبت بخطه أنه قرأها أو قرئت عليه، أو أثبت الناسخ أنها مقروءة على المؤلف .
- . تليها النسخة التي نقلت عن نسخة المصنف أو قوبلت عليها
- . ثم نسخة كتبت في عصر المصنف مقروءة على عالم متقن ضابط.
- . ثم نسخة كتبت في عصر المصنف غير مقروءة على أي من العلماء[2].

وفي هاتين الحالتين تُقَدَّمُ النسخة الأقدم بالنظر إلى قِدَمِ العالم الذي كتبها أو قرأها أو قُرِئت عليه، وربما نجد نسخةً متأخرةً لكنها مضبوطة الشكل كاملة ليس فيها أي سقط أو نقص، فهذه تُقَدَّمُ على النسخة التي يعتريها تصحيف أو تحريف أو سقط. وأما كيفية التعرف على النسخة الأقدم: فعن طريق معرفة تاريخ النسخ المثبت على المخطوط فغالباً ما يختم النساخ كلامهم بعد انتهاء المخطوط بذكر تاريخ النسخ واسم الناسخ.

---

[1] – محمد قاسم الشوم، منهجية البحث وعلم المكتبات، ص182

[2] – صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، ط3، بيروت:، دار الكتاب الجديد، 1396هـ - 1976م، ص115.

2- أسس التحقيق وقواعده:

ولتحقيق أي كتاب أو رسالة مخطوطة أربعة أمور هامة لابد من التأكد منها, والجزم بها وهي:

- **تحقيق العنوان:** يُعد هذا الأمر من أهم الأمور التي ينبغي على المحقق الاهتمام بها وبذل الجهد فيها, وذلك لأن بعض النسخ قد لا يكتب عليها العنوان, وبعضها يحرف أو يصحّف فيها, وأخرى يلفق فيها اسم كتابٍ على غير مادته.[1] ولإثبات عنوان الكتاب طرق كثيرة[2] , منها:

✓ أن يذكر المؤلف ذلك العنوان في مقدمة كتابه المراد تحقيقه.

✓ أن يذكر المؤلف ذلك العنوان في كتاب آخر له.

✓ أن يذكر ذلك العنوان بعض العلماء في ثنايا كتبهم مع نقل ما يدل أن مرادهم به الكتاب المعين, كأن ينقلوا شيئًا من الكتاب ويذكرون عنوانه.

✓ الرجوع إلى كتب التراجم, والكتب التي اعتنت بذكر أسماء الكتب, كالفهرس لابن نديم, وكشف الظنون, وغيرهما.

وعلى المحقق أن يتثبت من العنوان بصورة صحيحة لا تقبل الشك، وذلك بالتفتيش عن ذات العنوان الذي وضعه المؤلف نفسه، ولا يجوز له التصرف بأي نوع من أنواع التحريف أو التصحيف على عنوان المخطوط. وقد يجد الباحث المحقق أن هناك أكثر من عنوان للكتاب المراد تحقيقه، وفي هذه الحالة عليه إجهاد نفسه وفكره للوصول إلى العنوان الصحيح الذي أراده مؤلفه، وذلك من المقارنة والمفاضلة بين النسخ التي حصل عليها واعتمدها في تحقيقه، ومما ذكره المؤرخون والمترجمون له ولمؤلَّفه.

- **تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه:**

تُعد الاعتبارات التاريخية من أقوى المقاييس التي يكتشف بها صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه، فالكتاب الذي فيه أخبار تاريخية تالية لعصر المؤلف تنفي صحة نسبة ذلك الكتاب إليه، وينبغي على المحقق البحث والتأكد من نسبة الكتاب إلى صاحبه, وذلك حتى لا يلفّق كتابُ على عالم، والناظر في عمل كثير من المحققين يجد هذا جلياً واضحاً ولمعرفة نسبة الكتاب إلى مؤلفه, طرق منها:

✓ ذكر المؤلف لهذا الكتاب في بعض مؤلفاته.

✓ ذكر نسبة الكتاب من جهة من ترجم للمصنف.

---

[1] - عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، ص241.

[2] - محمد قاسم الشوم، منهجية البحث وعلم المكتبات، ص184

- ✓ أن لا يوجد في الكتاب ما يخالف هذه النسبة, كأن يوجد كتاب ينصر مذهباً من مذاهب أهل الضلال ونسبته تكون إلى عالم معروف بسلامة عقيدته, أو يكون في هذا الكتاب نقولا عن علماء إنما هم من بعد عصر المصنف, ومن الأمثلة على ذلك, ما ذكره عبد السلام هارون[1] عن الكتاب المنسوب إلى الجاحظ والذي هو بعنوان «تنبيه الملوك والمكايد» فإن فيه باب بعنوان: «نكت من مكايد كافور الإخشيدي» وبين الجاحظ والإخشيدي عشرات السنين, فالجاحظ توفي سنة 255هـ, وكافور توفي سنة 357هـ. ومما سبق يتبين أنه لا يكفي وجود اسم المؤلف على الصفحة الأولى من المخطوط في نسبة ذلك الكتاب له, بل لابد من التنقيب والنظر, لئلا ينسب كتاب إلى عالم, فيُنسب علم ليس بعلمه, لربما ضرّ أكثر مما نفع[2].

✓ أن ينسب موضوع الكتاب وعنوانه إلى أكثر من مؤلف فتتنازع المصادر وتتردد في نسبة الكتاب لمصنف معين، أو أن لا يذكر للكتاب مؤلفٌ، كأن يكون مجهولاً، وفي هذه الحالة هناك خطوات على المحقق أن يتبعها كي يصل إلى حقيقة مؤلف المخطوط الذي بين يديه.

✓ معرفة تاريخ النسخ سواء عن طريق ما هو مثبت على المخطوط أو من الخط إذ يعين ذلك الباحث على معرفة الفترة التي تلت حياة المؤلف أو عاش فيها وليحذر من أمارات التزوير في الخط التي من الممكن الوقوع فيها نتيجة فعل تجار المخطوطات والآثار.

✓ معرفة نوع الورق والحبر المستخدمين في المخطوط؛ لأنها تُيَسِّرُ له معاينة المخطوط مادياً.

✓ قراءة المخطوط قراءة متأنية للوقوف على شواهد وقرائن تساعد المحقق على معرفة المؤلف، فهناك من الوقائع ربما تذكر في المخطوط يفهم منها زمن تأليفه أو نسخه.

- **التحقق من اسم المؤلف:**

قد يقف الباحث أحياناً أثناء اطلاعه في مكتبات المخطوطات على كثير من المخطوطات كتب على أولى صفحاتها (المؤلف مجهول) وقد لا يجد هذا التنبيه, وليس هناك ما يدل على نسبة هذا المخطوط إلى المؤلف, فليس من السلامة في التحقيق الإسراع إلى إخراج المخطوط – مهما كانت أهميته– دون النسبة إلى مؤلفه والتحقق من ذلك, اكتفاء بالتنبيه الذي وجده وهو جهالة المؤلف, أو عدم حصوله على ما يدل على النسبة, بل عليه أن يستفرغ جهده في التنقيب والسؤال عن صاحب هذا الكتاب، وكذا لابد أن يتنبه الباحث إلى عدم العجلة في

[1] – عبد السلام هارون، تحقيق النصوص، ص46.

[2] – محمد قاسم الشوم، منهجية البحث وعلم المكتبات، ص184،

نسبة المخطوط إلى أسماء مؤلفين كتبت عليها, وذلك خشية الوقوع في التصحيف أو التحريف, ما لم يكن قد وقف على ما يبرهن عدم حصول ذلك[1]. ومن الأمور التي تساعد البحث في التحقق من اسم المؤلف:

- ✓ البحث عن عنوان المخطوطة التي وقف عليها في الكتب المتخصصة, كفهارس المكتبات أو كتب المؤلفين, أو غيرها من المصادر.
- ✓ وجود هذا العنوان منسوبًا إلى مؤلفه سواءً في كتب هذا المؤلف الأخرى, أو في كتب غيره من أهل العلم.
- ✓ معرفة الزمن الذي وجد فيه هذا التصنيف, مما يسهل الوقوف على اسم المؤلف بعد ذلك ويعرف زمن التأليف من خلال ذكر سنة التأليف, أو ذكر اسم النساخ مع وجود ما يدل على قرب عهدهم من المصنف.

- **تحقيق متن الكتاب ليظهر بصورة جيدة:**

ومعناه أن يؤدى الكتاب أداءً صادقاً كما وضعه مؤلفه كمًا وكيفاً بقدر الإمكان. وهذا القسم من أهم أقسام تحقيق المخطوط, وذلك لأن تحقيق المتن هو حكم على المؤلف, وعلى أسلوبه وتقريراته, وعلمه, وليس معنى التحقيق التصرف في متن المخطوط والجراءة على إدخال تعليقات عليه هي في الحقيقة تشوهه أكثر مما تخدمه, ولذا فإن المحقق يشترط في حقه أن يتسم بصفتين عظيمتين هما: الأمانة والصبر. ووجه اتصافه بالأمانة, كونه يحسن الرجوع إلى المصادر التي تخدم الكتاب, وقبل ذلك يسعى في جمع ما أمكنه من نسخ للكتاب تذهب معها الشكوك في نسبة الكتاب أو المؤلف, وكذا الأمانة في قراءة المخطوط, وفي معالجة الأخطاء الموجودة في المتن دون تعدٍ, أو إضافة, أو نقصان[2].

وأما اتسامه بالصبر, وذلك لما سيصادفه من كلمات غير مفهومة أو مطموسة, أو تخريجات حديثية, وتحرير مسألة أجملها المؤلف, أو جانبَ الصواب فيها, أو غير ذلك, مما يستدعي من المحقق جهداً بارعاً ووقتاً واسعاً, مع تأني وروية. ولابد من تنبيه مهم, يقع فيه كثير من المحققين, وهو إدخالهم عبارات في متن المؤلف, وهذا من الخطأ الذي لا يُقبل, بل الواجب على المحقق أن لا يتعدى على المتن نهائياً, لئلا يَنسب إلى المؤلف رأياً أو ترجيحاً أو ألفاظاً ليس له فيها حظ, وإنما دوره وغاية ما عليه هو التعليق في الحاشية, وإنما هناك حالات ذكرها أهل العلم جاز فيها التصرف بالمتن[3].

- **خطة التحقيق العامة وإعداد التقرير**: تنقسم الخطة في التحقيق إلى قسمين:

---

[1] – عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، ص245.

[2] – نفسه، ص.ص(245- 246).

[3] – محمد قاسم الشوم، منهجية البحث وعلم المكتبات، ص186

القسم الأول: الدراسة: « المقدمة – الفصل الأول: المؤلف وحياته العلمية– [اسمه وكنيته ونسبته، رحلته، شيوخه، تلاميذه]، [مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه: مذهبه، آثاره، وفاته. (ويدخل فيه ما قيل فيه من رثاء)][1].الفصل الثاني: دراسة الكتاب: [توثيق العنوان، توثيق نسبة الكتاب للمؤلف، قيمة الكتاب العلمية. «ما قيل عنه»] [مصادر المؤلف في الكتاب(المواضع والكتب التي أخذ منها)، منهج المؤلف(الخطة التي سار عليها وبعض المؤلفين يبين في مقدمة كتابه)، لمصطلحات والرموز. (سواء التي استخدمها المؤلف أو التي استخدمها المحقق)]، [منهج التحقيق، والأصل أن تكون مناهج التحقيق موحدة ولكن كل كتاب تفرض عليك طبيعة تحقيقه أن نحو منحى معينا لكن ضمن إطار التحقيق العام، المصطلحات المعتمدة في التحقيق. كرموز النسخ، المصادر، وصف النسخ ونماذج من المخطوطة].

القسم الثاني : النص المحقق.

ملاحظة هامة: ترجأ الدراسة (القسم الأول) إلى ما بعد عملية التحقيق لأن الأمور تكون قد نضجت عنده وسيسجل ملاحظات أثناء التحقيق يحتاجها في موضوع الدراسة. أما لو بدأ الدراسة وهو لم يطلع على التحقيق ستكون هناك ثغرات كبيرة في موضوع الدراسة لأنه لم يكن على علم بها قبل موضوع التحقيق. فأولاً التحقيق ثم الدراسة من حيث العمل.

- **ضبط النص والتعليق عليه:**

1- **النسخ والترقيم والتفصيل**: يتم النَّسْخ عن النُّسخة الأم المعتمدة أصلاً، بخطٍّ واضح، وترتيب حسن، ولعل من أكثر الأمور أهميةً في تنظيم النص: تعيينَ بداية الفقرة؛ حيث تقدِّم انطباعًا بأن المادة التي تتضمنها تكوِّن وحدة مستقلة، مرتبطة في الوقت نفسه بالسياق العام لمجموع النص، ولا شك أن لعلامات الترقيم أثرًا كبيرًا في وضوح النص وترتيبه، وينبغي العناية بضبط النص بالشكل، ولا سيما الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والشعر، والأعلام المشتبهة، ويلتزم به – أي بالشكل – في المواضع التي يؤدِّي فيها تَرْكُه إلى الْتباس المعنى أو انغلاقه.

2- **المقابلة**: على المحقِّق أن يرمز لنسخ المخطوطة المختلفة برموز معينة، يشير إليها عند مقابلة النسخ، حيث يثبت اختلافاتها مع نسخة الأصل في الهامش، ولا ينبغي إثقال الحواشي بفروقات ضئيلة، واختلافاتٍ يسيرة، لا يتوقَّف عليها أيُّ معنى، ولا يتحصل منها أيُّ فائدة، كاختلاف النسخ بحرف المضارعة (يفعل – تفعل) وما شابه ذلك، وهكذا يُثبت المحقِّقُ نصَّ نسخة الأصل في المتن، ما لم تجانِبِ الصوابَ، فإذا تبين له أنها صُحِّفتْ، أو حُرِّفتْ، أو جانبَتِ الصوابَ بوجه من الوجوه – تعيَّنَ عليه أن يثبت ما يراه صوابًا مما تتضمنه بقيةُ النسخ، إلا إذا كانت نسخة الأصل بخط المؤلف، فيثبت عندئذٍ الخطأَ في المتن ويصحِّحه في الهامش،

[1] – عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، ص245. – راجع: الكمالي، كتابة البحث، ص.ص(1206-109).

ويحسن أن يعلل المحقِّق ما يذهب إلى ترجيحه من عبارات وألفاظ تُخالِفُ ما عليه نسخةُ الأصل، وإذا احتاج النص إلى زيادة ليست في الأصول، فعليه أن يجعلها بين معقوفين [ ].

3- **التعليق والشرح**: لا ريب أن الكتب القديمة – بما تضمنتْ من معارفَ قديمةٍ – محتاجةٌ إلى توضيحٍ يخفِّف ما فيها من غموض، ويحمل إلى القارئ الثقةَ بما يقرأ، والاطمئنانَ إليه، ومن هنا كان من المستحسَن ألاَّ يترك المحقِّقُ الكتابَ غُفْلاً من التعليقات الضرورية اللازمة لفهم النص، دون شطط أو تزيُّد يؤدِّي إلى إثقال الحواشي وتحميل الكتاب ما لا طاقة له به.

4- **متممات لابد منها**: قبل ختام البحث، لا بد لنا من ذِكر أمورٍ تحتاج إليها كلُّ مخطوطةٍ محقَّقة، تريد أن تأخذ طريقَها إلى النشر العلمي الصحيح:

1- **المقدمة**: تتضمن كلامًا حول موضوع الكتاب، وأهميته، وموقعه بين ما أُلِّفَ قبله وبعده في فنه، وقيمة مؤلِّفِه وشأنه، وترجمته مع ذكر المصادر التي ترجمتْ له[1]، ثم وصف المخطوط الذي اعتَمَد عليه النشرُ وصفًا كاملاً يذكر فيه عدد أوراقه، وتاريخ نسخه، ومقاسه، ونوع خطه، والإجازات والتملُّكات إن وجدت، ثم تثبت صورة الورقة الأولى والأخيرة من المخطوط، ولا بد من بيان المنهج المتبَع في التحقيق[2].

2- **الفهارس**: وهي مفتاح الكتاب، والغاية منها تيسيرُ الإفادة من كلِّ ما اشتمل عليه الكتابُ المنشور، وجعْل ما فيه في متناول كل باحث، وهي تختلف باختلاف موضوع الكتاب، على أن هناك فهارسَ تكاد تكون ثابتة في الكتب الأدبية والتاريخية واللغوية، وهي: فهارس الأعلام، وفهارس الأماكن والبلدان، وفهارس الشعر... إلخ[3].

3- **قائمة المصادر والمراجع**: آخر ما يَختتم به المحقِّقُ كتابَه ذِكرُ المراجع التي اعتمد عليها في تحقيقه، ضمن مسرد يبين فيه كل المعلومات المتعلقة بهذه المراجع[4]

وبهذا يكون قد أتى على جميع مراحل التحقيق.

3- أساليب ومناهج تحقيق المخطوط:

على المحقق إتباع أساليب للتحقق من صحة المخطوط أو الوثائق ومن بين هذه الأساليب نقد الأصول نقداً علمياً بهدف الوصول إلى الحقيقة، فالنقد الإيجابي عامل أساسي من عوامل التحقيق، ومن صفات المحقق، والسبيل العلمي للوصول إلى الحقيقة. وتتم عملية النقد الخارجي من خلال:

---

[1] – عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، ص253.

[2] – المعموري الطاهر، منهج إعداد البحوث، ص96.

[3] – عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، ص251.

[4] – نفسه، ص255.

- الاهتمام بمعرفة المخطوط.
- ومؤلفه، وتاريخ تأليفه، ومكانه.
- ثم ما هي الموضوعات التي يتناولها المخطوط.
- وما علاقته بنسخة أخرى للمخطوط نفسه ؟

والفائدة من الإجابات عن هذه التساؤلات والتحقق منها؟ تقودنا إلى وضعية الوثيقة فيما إذا كانت صحيحة أو مزورة[1]. ونقد الأصول يهتم أيضاً بدراسة التزييف والانتحال، وفيما إذا كان الأصل بخط المؤلف أم لا. وقد قسم حسن عثمان النقد الباطني إلى قسمين : النقد الباطني الإيجابي ويهدف إلى التحقيق من معنى الألفاظ ومن قصد المؤلف بما كتبه، والعناية التامة إلى قراءة النص التاريخي ومحتوياته، وعدم تسخير النص لآراء واتجاهات المحقق . وأما النقد الباطني السلبي، فعلى المحقق أن يعي حقيقة أن المؤرخين يخطئون ويصيبون كسواهم. ومن الخطأ الاعتقاد بأن كل المعلومات الواردة في جميع الأصول صحيحة. فالنقد الباطني السلبي من حيث هو عملية ضرورية لتصفية الحقائق واستبعاد الزائف منها، ووضع الشك للوصول إلى الحقيقة التاريخية[2].

وعلى المحقق أن يعمد إلى المقارنة لتقييم أصالة الوثيقة أو المخطوط مثل التحليل الكيمائي والطبيعي للمادة التي كتبت عليها. ويمكن للمحقق مثلاً أن يحدد تاريخ الوثيقة بمعرفة مكان وزمان صناعة الورق. وينطبق هذا التحليل الكيمائي على الحبر المستخدم، فضلاً عن طريقة الإخراج وشكل الحروف والطبعة وحجمها. وقد بدأ البحاثة في التاريخ المعاصر بالاعتماد على المختبرات الكيمائية وعلى العدسات المكبرة والميكروسوب والكاميرا، وطريقة الأشعة فوق البنفسجية والتصوير بالفلورسنت.

ونظراً للأهمية التي تحتلها المخطوطات في إحياء التراث، فقد ارتأت مناهج البحث التاريخي والأدبي والعلمي أن لا يعمد إلى نشر المخطوط –كما هو – دون تقديم وتعريف به وبمؤلفه ودون دراسته، وبالتالي دون تحقيق ما غمض فيه. فأهمية نشر المخطوط هي في ضبطه وتحقيقه حتى تتم الاستفادة منه كما يجب، وعلى هذا فقد وضعت أساليب ومناهج لضبط وتحقيق المخطوطات ومنها ما سبق ذكره حول منهج التحقيق من الوثائق ويمكن الإضافة إليها ما يلي:

أ. استنساخ المخطوط أو تفريغه على صفحات خاصة. وعلى المحقق أن يقسم الصفحات إلى قسمين: القسم الأعلى يخصص لاستنساخ المخطوط، بينما يخصص القسم الثاني للهوامش والتعليقات . غير أن

---

[1] – حلاق حسان، سعد الدين محمد منير، المناهج العلمية في كتابة الرسائل الجامعية، ط2، بيروت: دار بيروت المحروسة، 1994 ص.ص(149- 150)

[2] – حلاق حسان، سعد الدين محمد منير، المناهج العلمية؛ ص 151

هذه الهوامش تكتب بعد الانتهاء نهائياً من عملية الاستنساخ . وتكتب عادة على بطاقات خاصة، ثم تفرغ في أماكنها وهوامشها وصفحاتها الخاصة بها.

ب. التعريف بمؤلف المخطوط ؛ ولادته ووفاته، عائلته أساتذته وشيوخه، مؤلفات الأخرى والتعريف بها، العصر الذي كان يحياه، المناصب التي تولاها، دوره في الحياة الأدبية والثقافية والاجتماعية. ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ إذا وجد.

ت. تقطيع النص وتوزيع فقراته . فبعد تفريغ النص وقراءته قراءة دقيقة، يوزع النص إلى فقرات والفقرات إلى جمل. ويضع المحقق ما يحتاجه النص من علامات الترقيم الحديثة المعروفة تبعاً للحاجة والموقع.

4. مقدمات تحقيق المتن:

هناك مقدمات رئيسة لإقامة النص، منها:

1- **التمرس بقراءة النسخة:** فإن القراءة الخاطئة لا تنتج إلا خطأً، وبعض الكتابات يحتاج إلى مراسٍ طويل وخبرةٍ مديدة، ولا سيما تلك المخطوطات التي لا يطَّرد فيها النقْط والإعجام، وكذلك تلك التي كُتبتْ بقلم أندلسي أو مغربي، حيث تنقط الفاء من أسفلها، وتنقط القاف بنقطة واحدة من فوقها (ف)، أما الكاف فكثيرًا ما ترسم هكذا (ك) في نهاية الكلمة، فتلتبس بالدال، والتشديد يرسم كالعدد (7) فوق الحرف، وقد يوضع تحت الحرف إذا كان مكسورًا، ولكن بشكل مقلوب (8).

هذه بعض اصطلاحات الخط المغربي، على أن الخط المشرقي لا يقلُّ عنه غرابة من بعض الوجوه؛ فالهمزة الواقعة في آخر الكلمة بعد الألف، قد لا ترسم البتة، وهكذا، فتلتبس كلمة (ماء) بكلمة (ما)، و(سماء) بالفعل (سما)، وقد تعوض بالمدة فوق الألف نحو (مآ) و(سمآ)، وهناك حروف تلتبس بحروف أخرى؛ لتقارب رسمها في بعض الخطوط: كالدال واللام، والغين والفاء، أما إعجام الحروف وإهمالها – أي: تنقيطها وعدمه – فله اصطلاحات خاصة، فمِن علامات الإهمال وضعُ ثلاث نقاط تحت السين، أو رسم رأس سين صغيرة تحت السين، وحاء صغيرة تحت الحاء، وصاد صغيرة تحت الصاد، أو رسم خط أفقي (–) أو هلال () فوق الحرف.

وقد تختلف كتابة الأرقام في بعض المخطوطات القديمة عما هي عليه اليوم، هذا وإن هناك رموزًا واختصاراتٍ لبعض الكلمات أو العبارات نجدها في المخطوطات القديمة، ولا سيما في كتب الحديث: نا وثنا = حدثنا، أنا وأرنا وأبنا = أخبرنا.

2- **التمرس بأسلوب المؤلف:** وأدنى صُوَرِه أن يقرأ المحقِّقُ المخطوطةَ المرةَ تلو المرة، حتى يخبر الاتجاه الأسلوبي للمؤلف، ويتعرَّفَ خصائصه ولوازمه، وأعلى صور التمرس أن يَرجِعَ المحقق إلى أكبر قدرٍ مستطاع من كُتُبِ المؤلف؛ ليزداد خبرةً بأسلوبه، ويتمكَّن من عباراته وألفاظه.

3- **الإلمام بالموضوع الذي يعالجه الكتاب:** حتى يمكن المحقِّق أن يفهم النصَّ فهمًا سليمًا، يجنبه الوقوعَ في الخطأ حين يظن الصوابَ خطأً فيحاول إصلاحه؛ أي: يحاول إفساد الصواب، ويتم ذلك بدراسة بعض الكتب التي تعالج الموضوع نفسه أو قريبًا منه.

4- **الاستعانة بالمراجع العلمية اللازمة:** ويمكن تصنيفها على الوجه الآتي:

- كتب المؤلف نفسه مخطوطها ومطبوعها.
- الكتب التي لها علاقة مباشرة بالكتاب، كالشروح، والمختصرات، والتهذيبات.
  - الكتب التي اعتمدتْ في تأليفها اعتمادًا كبيرًا على الكتاب.
  - الكتب التي استقى منها المؤلف.
- المراجع اللغوية، وهي القياس الأول الذي نسبر به صحة النص، ونستوثق به من صحة قراءتنا له.
- المراجع العلمية الخاصة بكل كتاب حسب موضعه وفنه.

و يدخل في عمل المحقق دراسة الزيادات التي يجدها:

إذا كان المحقق يعمل على نسخة المؤلف فإن عليه إن يلتزم بها ويثبت نصها في المتن . وقد يجد زيادات في النسخ الأخرى، وهذا أمر نادر جداً، ويرجح أنها من ثقافة النساخ . أما إذا غابت نسخة المؤلف فإن الزيادات التي يلتقي بها في النسخ التي بين يديه على أنواع، ويختلف الحكم في إثباتها متناً أو الحاشية حسب كل نوع منها:

أ . فإن انفردت بها الأم أثبتها في المتن وأشار إلى ذلك في الحاشية إلا إذا كانت تعليقاً أو إضافة من صنع مالك النسخة فلا لزوم لإضافتها ن ولا للإشارة إليها.

ب . وإن لم ترد الزيادة في الأم وردت في النسخ الأخرى أو في واحده منها، نظر المحقق في هذه الزيادة : فإن غلب على ظنه أنها من الأصل أضافها إلى المتن ووضعها بين معقوفين [ ] وأشار إلى ذلك في الحاشية، وإن غلب على ظنه أنها من زيادة النساخ أضافها إلى الحاشية، وإن كانت بخط مالك النسخة وهو عادة يغاير خط الناسخ أهمل المحقق هذه الإشارة ولم يشر إليها في الحاشية. أما طريقة الإشارة : فإذا كانت الزيادة في الأم لم يضعها بين معقوفين وإنما يضع إشارة رقمية عند أول الزيادة.

- **دراسة الخروم:** الخروم ظاهرة واردة في المخطوطات القديمة، ولا تؤلف كثرتها وقلتها علامة على قِدم الخطوط وحداثته، وذلك لأن كثيراً من المخطوطات القديمة تحفظ من الحشرات والرطوبة والمسح، وفي المقابل يتعرض كثير من المخطوطات الحديثة لآفات كثيرة تؤدي على مسح كلماتها، كما أن تصوير المخطوط قد يؤدي على غياب بعض الجوانب من اللوحة فيصير الأمر قريباً من الخروم. ويعالج المحقق هذه الظاهرة بالترميم:

- يستعين بالنصوص التي نقلت عن المؤلف أو نقل المؤلف عنها فتكون هذه النصوص بمثابة النسخة الثانية فيُرمم منها الخرم ويضعه بين قوسين ويشير في الحاشية إلى ذلك.
- فإن لم يجد النص الذي أصاب بعض كلماته الخرم استعان بالمراجع التي تدور في فلك الموضوع نفسه ووضع عدة نقاط في مواضع الخرم .. ورمَّم من هذه المراجع في الحاشية، ويجتهد أن يكون الترميم في

مساحة كلمات المخروم وذلك على الصورة التالية: والعامل في المبتدأ .....، والعامل في الخبر .....خرم في الأصل بمقدار كلمة لعلها الابتداء، وإن لم يهتد إلى ترميم الخرم أشار في الحاشية إلى ذلك . وقد يستطيع أن يحل المشكلة بالنسخ الأخرى التي لم يصبها خرم.

- **دراسة السقط**: وقد يحدث أن تسقط ورقة أو أكثر من المخطوط:

- فإن كان الباحث يعتمد على نسخة المؤلف استعان بالنسخ الأخرى وأشار إلى اختلافها.
- وإن لم يكن يعتمد على نسخة المؤلف وحدث سقط من الأم اعتمد على النسخ الأخرى
- وإن أجمعت النسخ على هذا السقط كأن تنقل عن بعضها أشار المحقق إلى ذلك في الحاشية، اجتهد في معرفة مضمون السقط بمثابة الإشارة إلى عنوان في أسطر محدودة يبدؤه بقوله : «لعله كان.....».

5- **التقنيات المتبعة في الحواشي والتعليقات**: وتحقيق المتن النظر فيه من نواحي عدة:

❖ **نسبة الآيات القرآنية**: أما الشواهد القرآنية فلا بد أن توضع في نصابها، وينبغي أن يستشعر المحقق الحذر في تحقيق الآيات، وإبقاء النص القرآني محرفاً كما هو فيه مزلة للأقدام، وخطر القرآن أعظم من أن يجامل فيه مخطئ، وهي مسألة قديمة، وقد سمى ابن الصلاح ترك التحريف في القرآن غلوا في إتباع اللفظ[1]. ولتحقيق الآيات لا يكتفي بالمصحف المتداول، بل لا بد من الرجوع إلى كتب القراءات المتواترة والشاذة وكتب التفسير خاصة ما يعنى منها بذكر القراءات، ويجوز ترك الواو أو الفاء من أول الآية أو من أول موضع الاستشهاد اكتفاء به، ويكون ذلك بذكر السورة ورقم الآية فيها, وأما إذا كان هناك تصحيف في الآية في المتن فله في هذه الحالة التعديل في الآية, مع الإشارة إلى وجود الخطأ في الحاشية بعد التأكد من كونه خطأ[2].

❖ **تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب**: أما نصوص الحديث النبوي فتختبر بعرضها على كتب الحديث وتخريجه، ولتعدد روايات الحديث يتحمل المؤلف أمانة روايته فنبقيها كما هي، ثم نبين في الحاشية ضعف روايته أو قوتها، ويكون ذلك بنسبة الحديث إلى مصدر تخريجه مع العناية بأن يكون هذا التخريج سهل الرجوع إليه, كأن يذكر رقم الحديث مع الكتاب والباب, وهذا كما في الصحيحين وغيرهما من الكتب

[1] – المعموري الطاهر، منهج إعداد البحوث، ص81.

[2] – عبد السلام هارون، تحقيق النصوص، ص49.

المبوبة, وكذا بذكر رقم الحديث وصحابيه, كما في المسانيد, وجامع هذا كله, هو صحة التخريج, مع تحديد الطبعة التي اعتمد عليها في تخريجه تجنبا لاختلاف النسخ[1].

وتثبت الأحاديث الواردة في الأصل الخطي كما هي ويشار إلى الخطأ المحتمل فيها بالهامش كي لا يُفتَحَ هذا البابُ فيأتي منه التحريف بإنكار الصواب وتخطئة الصحيح من الحديث. وعلى المحقق أن يركز في تخريجه للأحاديث على الكتب المعتمدة عند أهل المصطلح كالصحاح والسنن وغيرها، فعليه ألا يُسرف في ذكر مصادر السنن والمتون فيكتفي بالصحيحين فإن لم يكن فبالكتب الستة ومسند الإمام أحمد وموطأ الإمام مالك لتقدمهما ويبدأ بترتيب المصادر حسب أهميتها من حيث الصحة والترتيب التاريخي لوفاة مؤلفيها ويتم العزو إلى رقم الحديث إن كان موجوداً، وأن يُشفع بذكر الباب وراويه من الصحابة، ونقل حكم الحفاظ عليه من صحة أو تحسين أو ضعف أو وضع من كتب التخريج كـ (تلخيص الحبير، ونصب الراية). إلا أنه في حال عدم وجود المصدر الأساسي مطبوعاً فإنه يُخَرِّجُ الحديث من الكتب المعروفة عند المحدثين بكتب الجوامع مثل (الجامع الكبير للسيوطي) و(كنز العمال) للمتقي الهندي، أما إذا تطلب شرحٌ للحديث فهناك كمٌ هائلٌ من الكتب التي تبين غريب الحديث ففي كتاب ابن الأثير (النهاية في غريب الحديث) كفاية له ومن أراد التوسع في ذلك ففي كتب شروح الحديث ما يشفي غليل الباحث مثل فتح الباري وعمدة القاري وشرح النووي على صحيح مسلم وغيرها.

❖ **تخريج النصوص المقتبسة** :فقد ينقل المؤلف نصاً أو يذكر رأياً من كتب مطبوعة أو مخطوطة فإن كانت مطبوعة وجب الرجوع إليها ومقابلتها مع نص المؤلف للتوثق من سلامة النص فقد يكون في أحدهما تحريف أو تصحيف أو سقط. وإذا كان المصدر المنقول عنه مخطوطاً فإن أمكنه الرجوع إليه رجع وقابل عليه وإن لم يستطع الوصول إليه فليبذل وسعه في العودة إلى المراجع الثانوية التي تعينه على الضبط قدر الإمكان.

وفي جميع الأحوال فإن الإشارة إلى الجزء والصفحة إن كان مطبوعاً ورقم الورقة أو اللوحة إن كان مخطوطاً أمرٌ من واجبات التحقيق فضلاً عن ذكر الفروق في هامش التحقيق، ولابد من التنبيه إلى أن الواجب على المحقق عند توثيقه لأي قول أو رأي نقله صاحب المخطوط أن يرجع إلى المصادر التي سبقت وفاة مؤلفه حتى وان ذكِرَ المصدر بمتن المخطوط، وكذلك تخرج بقية النصوص المضمنة في الكتاب؛ كالأشعار والأمثال ونحوها، من مراجعها، وتلتزم رواية المؤلف خاصة إذا بنى عليها حكما.

- إذا كان النص مقتبسًا حرفياً من مصدر معين يحصر بين علامتي تنصيص « » ويخرج في الهامش من المصدر نفسه.
- إذا كان النص المقتبس معلوم القائل وغير معلوم المصدر يخرج من كتب القائل إذا كان من أهل التأليف ومن المصادر المختصة في الفن نفسه إذا كان من غير أهل التأليف.

[1] – المعموري الطاهر، منهج إعداد البحوث، ص81.

- إذا كان النص المنقول منقولاً بالنص من غير تصرف يذكر اسم المصدر في الهامش مع رقم الجزء والصفحة.
- أما إذا كان النص منقولاً بتصرف يوضع هامش في نهايته ويشار إليه في الهامش ويكتب قبل اسم المصدر ينظر: .
- إذا كان الكتاب مفقوداً يدخل نص العبارة في الموسوعات الإلكترونية فربما يجدها في كتب أخرى يخرجها منها. كذا إذا سبقت العبارة بـ(قيل، قال بعضهم، قال أحدهم) يبحث بالطريقة نفسها فقد يصل لقائل النص ومصدره، ولابد أن يرجع بعدها للكتاب نفسه.وإذا لم يجد؛ يقول: لم أجد.
- **تخريج الشعر** : فإذا ورد في الكتاب المحقق شعرٌ أو كان الكتاب في الشعر والأدب فإنه يتطلب من المحقق أن يخرّج الأشعار ويعزوها إلى مصادرها المعتمدة، فإذا كان لواحد من الشعراء الذين وصلت إلينا دواوينهم اكتفينا بالعزو إلى ديوانه ولا ضرورة للاستكثار من المصادر في مثل هذه الحالة إلا إذا اقتضى الأمر ذلك. وعلى المحقق أن يحاول الوصول إلى قائله إذا لم يكن مذكوراً في الأصل وقد يزيد بعض المحققين فيسرد القصيدة أو يكمل الأبيات الشعرية التي قد يكتفي منها المؤلف ببيت أو أكثر. فلابد أن:
  - تضبط بالشكل، وإذا ورد صدر البيت أو عجزه فقط يتمم في الهامش، ولا بأس إذا ورد الصدر أن يضع نقاط مكان العجز في المتن وكذا إذا ورد العجز فقط. ويشير في الهامش إلى قائل البيت، وتمام البيت كذا. أنظر ديوانه ص كذا.
  - تنسب الأشعار إلى قائليها إن لم ينسبها المؤلف كما سبق.
  - تخرج من ديوان الشاعر أولا- ويحاسب الطالب إذا كان للشاعر ديوان ولم يخرجه منه وخرجه من كتب أخرى.، وإذا كان غير مذكور في الديوان يقال في الهامش: أخل به ديوانه- أي لم يُذكر فيه – ثم يخرج البيت من المصادر الأخرى مصدرين أو أكثر، ويجب عدم الإكثار من ذلك.
  - إذا نسب البيت لأكثر من شاعر في أكثر من كتاب يقول: نسب لفلان في كتاب كذا، ونسب لفلان في كتاب كذا.
  - تُشرح الألفاظ الغريبة من غير إطالة.
  - ويتنبه أن بعض النساخ يدرج الشعر مع الكلام ولا يفرده في سطر، ولذا بعض المحققين المبتدئين لا يتنبه أنه شعر. وعلى المحقق أن يجعله في سطر مستقل بعد قول الشاعر: ويفصل بين الصدر والعجز بمسافة، ويجعله متوسطاً[1].

[1] – للتوسع: – محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، دار الملاح للطباعة والنشر، 1406هـ-1986م.

❖ **الأقوال المأثورة** : إذا أورد المؤلف أقوالا مأثورة عن الصحابة رضي الله عنهم أو التابعين ولم يسمها فإن المحقق يذكر قائلها ويخرجها من الكتب، ويجعل القول بين قوسين على أنه نص.

❖ **التعريف بالأعلام والأماكن والمواضع والبلدان والمصادر**[1]: التي يذكرها المؤلف في مخطوطه، وتكون الترجمة للأعلام المغمورين دون المشهورين فالاشتغال بترجمة الصحابة رضي الله عنهم والأئمة الأربعة ونحوهم من المشهورين تطويل لا داعي له وتحشية لا فائدة منها وإثقال للحواشي، على أنه لو ترجم للكل لا يعد نقصا أو زيادة على التحقيق. ويكون ذلك باختصار وفق معايير تراجم الأعلام يعني أن تكون الترجمة مختصرة لا تزيد عن سطرين إذا كان المكان غير معروف، أما البلدان المشهورة فلا يُعرَّف بها. ويحيل على مصدر من مصادر البلدان كمعجم البلدان لياقوت الحموي. ويوجد منهجان في الترجمة لكل علم في الكتاب:

1- هناك من يترجم لكل علم يمر في الكتاب سواءً كان مشهوراً أو مغموراً.

2- وهناك من يعرّف بالأسماء المغمورة فقط.

التعريف بالمصطلحات والرموز: كالمصطلحات التي ترد في كتب القراءات والنحو والفقه والكتب العلمية من ذلك : المد والإدغام والروم والإشمام, ورموز القراء عند الشاطبي س، ش،ن، وإطلاق مصطلح العماد على ضمير الفصل عند أهل الكوفة فعلى القارئ أن يعرف بها بما لا يزيد عن سطرين من مظانها كالتعريفات للجرجاني، ومعجم المصطلحات البلاغية لأحمد مطلوب وغيرهما من كتب التعريف.

والمصطلحات يجب أن تفسر في موضعها حتى لا يضطر القارئ الرجوع إلى كل مصطلح في آخر الكتاب أو أوله ليرى تفسيره. وللمحقق أن يضع المصطلحات والرموز التي استخدمها المؤلف في باب الدراسة، أما إذا كانت كثيرة وليست خاصة بالمؤلف إنما لهذا العلم فمن الممكن أن تفهرس في نهاية الكتاب.

وعلى المحقق أن يختصر بعض المصطلحات الخاصة به، بحيث توضع في باب الدراسة الرموز والمصطلحات المستخدمة في التحقيق كبعض العلامات أو اختصار أسماء بعض الكتب، المهم أن لا يُبقِي شيئًا مبهمًا ولا يُغْرِق في توضيح المبهم.

❖ **ضبط الكلمات المشكلة:** كأسماء الأعلام ونسبهم، وأسماء البلدان، وبعض المصطلحات التي تحتمل أكثر من وجه. أيضا التعريف بالكتب الواردة في النص إلا أن تكون مشهورة، ويبين المطبوع منها ويشير إلى محققه ويذكر المخطوط والمفقود. كذلك التعليق على أقوال المؤلف إذا كان فيها رأي جديد أو خلاف لما هو معروف، كأن تناقش أو تؤيد حججًا اعتمد عليها أو تكون له آراء تخالف أهل السنة والجماعة تبين الحق بأدلته وتقوّم النص بطريقة رصينة فالمحقق كالقاضي في هذا، وعلى المحقق أن يُعَرِّفَ بما يحسبه أنه مُستَغلَقٌ ومبهم لا يفهمه

[1] – المعموري الطاهر، منهج إعداد البحوث، ص82.

القارئ، كشرحِ للكلمات الغريبة؛ لتفاوت فَهمِها عند القراء، لذلك فالمطلوب من المحقق شرح الكلمات بحسب مستوى القارئ، ويعتمد في ذلك على المعجمات العربية المعتمدة مثل (لسان العرب) لابن منظور و(تاج العروس) للزبيدي و(المصباح المنير) للرافعي، وغيرها من كتب التعريف بالمصطلحات.

❖ **تصحيح الأخطاء:** فإن كثيرًا من المخطوطات يجد المحقق فيها أخطاء كثيرة سواء تصحيفات أو تحريفات في النسخ التي بين يديه, وواجبه هنا الإشارة إلى الخطأ في الحاشية دون المتن لئلا يتصرف في متن المؤلف والذي ربما يكون هو الصحيح ويكون تعليق المحقق هو الخطأ وعلى هذا أمثلة كثيرة عند كثير من محققي المخطوطات.

❖ **الزيادة والحذف:** فقد يجد المحقق أثناء تحقيقه عبارات ناقصة في المتن, سواءً في آية أو حديث أو قول صحابي, أو كلام لا يقوم إلا بزيادة حرف فيه, ربما سقط هذا الحرف على المؤلف أو الناسخ, فالواجب حينئذ زيادة هذا الحرف أو الكلمة ووضعها بين قوسين معكوفين [ ], دلالة منه على زيادة هذا الحرف في المتن. وهذا طبعاً بخلاف الزيادة التي فيها توضيح لأمر في المتن أو هي لإزالة إبهام, فهذه تكون في الحاشية.

5. **علامات الترقيم:** وهذه العلامات من الأهمية بمكان وذلك لما فيها من إعانة على استقامة المتن المراد تحقيقه,[1]:

- **النقطة** (.): ووضعتها في نهاية الجملة التامة المعنى، المستوفية كل مكملاتها اللفظية.

- **الفاصلة**(،): ووضعتها في الأحوال الآتية: بعد لفظ المنادى. – بين الجملتين المرتبطتين في المعنى والإعراب مثل:– خير الكلام ما قلّ ودلّ، ولم يطل فيُمل. – بين الشرط والجزاء، وبين القسم والجواب إذا طالت جملة الشرط أو القسم. – بين المفردات المعطوفة إذا تعلّق بها ما يطيل المسافة بينهما فيجعلها شبيهة بالجملة في طولها.

- **الفاصلة المنقوطة**(؛): ووضعتها في الأحوال الآتية: – جملة ما بعدها سبب فيها. – الجملتين المرتبطتين في المعنى دون الإعراب. —

- **النقطتان** (:): ووضعتهما في المواضع الآتية:– بين القول والمقول (أي الكلام . المتكلم به). – بين الشيء وأقسامه وأنواعه[2]. – قبل الأمثلة التي توضح قاعدة كما وضعنا ونضع بعد كلمة "مثل" في الأمثلة الواردة هنا.

---

[1] – المعموري الطاهر، منهج إعداد البحوث، ص99.

[2] – عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، ص258.

- **علامات الاستفهام** (؟) : ووضعتها عقب جملة الاستفهام سواء كانت أدلته ظاهرة أم مقدرة والأمثلة عليها معروفة.
- **علاما ت الانفعال**(!): وتُوضع في آخر جملة يُعبر بها عن فرح أو حزن أو تعجب أو استغاثة.
- **الشرطة المائلة**(/): **Slant Line** وُتستخدم للتعبير عن علاقة تناسب بين ما قبل الشرطة المائلة وما بعدها.
- **– الأقواس المعقوفة المربعة[ ]** **Square** brackets وتستعمل في الحالات التالية: – في الإضافات والتصحيحات داخل النص الأصلي، حفاظاً عليه. –بينهما الأقواس الصغيرة بمحتوياتها، وذلك عند تعددها بالجملة الواحدة.

o **علامة الملكية (فصلة عليا)** (،) **Apostrophe** وتُستعمل في الحالات التالية: لإيضاح معنى التملك. –للتعبير عن حرف محذوف من حروف الكلمة.

o **علامتا التنصيص**(" "): **Parenthèses** : ووضعتهما بين كل ما هو منقول بنصه وحرفه من كلام الغير وذلك لتمييزه عن كلام الباحث نفسه. –وللأسماء والمصطلحات التي قد تختلط على القارئ فيفهمها مدمجة في سياق النص.

o **القوسان الدائريان** ( ): ويُستعملان في الحالات التالية: – عند ذكر مصادره ومراجعه سواءً في الهامش أو المتن. –.

o **المزدوجتان الصغيرتان** « »: ويُستعملان في الحالات التالية: – عند ذكر الكتب والمؤلفات في المتن تمييزاً لها عن باقي المحتوى.– عند الأقوال والأمثلة والنصوص المنقولة حرفياً عن أصحابها. –عند الخطاب والقصة المراد ذكرها، وكل ما يدخل في هذا السياق.

o **هلالين بخط أرابيسك** ﴿ ﴾ ☎ :بقصد إدراج الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بداخلها تمييزاً لها.

o **علامة التابعية (=)**: وتوضعان في آخر التهميش بالصفحة التي لم يكتمل بها النص المهمش بها. كما وضع نفس العلامة ثانية في أول الهامش بالصفحة التالية إشارة إلى بداية حاشية الصفحة الجديدة، تابع لنهاية حاشية الصفحة السابقة[1].

o **الخطان القصيران (– –)**: تكتب بينهما الجمل المعترضة[2]

[1] – عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، ص260.

[2] – نفسه، ص259.

o **علامتي الاستفهام والتعجب معاً (؟!)**: وتكون في نهاية جملة أو فقرة وعنيت بها: -وجود تناقض بين فكرتين أو رأيين.- عدم اقتناعي بالرأي الوارد. وهي في الأصل توضع للسخرية من رأي مكتوب.

- وهذه الاستعمالات لعلامات الترقيم لا تعد من التصرف في المتن؛ لأنه يسهل بسببها قراءته, وفهمه.

o **استخدام الفصلة وواو العطف**: وتستخدم في الأشياء المعدودة كما يلي: -في الجمل التي يُفيد سياقها التعداد. -في الجمل التي يفيد سياقها استمرار المعنى نستعمل الواو وحدها أي بدون فصلة[1].

o **استعمال كلمة(كذا) أو كلمة (Sic) مع الاقتباس**: وهي في الأصل تستعمل للفت نظر القارئ إلى أن الكلمة أو الجملة السابقة لها منقولة من الأصل المقتبس كما وردت وبدون تعديل رغم ما بها من خطأ إملائي أو لغوي أو نحوي.

- **وفيما يتعلق بالتفريع**: فقد اتبعت طريقاً واضحاً منظماً كلما استدعتني الضرورة أن أفرع فروعاً متعددة لأصل واحد والتفريع المنظم والمدروس ذوت أهمية كبيرة في كتابة البحوث فإذا قسمنا المسألة إلى ثلاثة أقسام مثلاً ويصبح من الأكيد تقسيم أحد هذه الأقسام إلى فرعين فإن ذلك يتطلب:

1- أن تبدأ أسطر الفروع داخلة قليلة عند بدء أسطر الأصول.
2- أن توضع الأسطر ذات الرتبة الواحدة أحدها تحت الآخر بكل ضبط وعناية.
3- أن يلاحظ الدقة في الأرقام أو الحروف التي يضعها للتعريف بالأقسام والفروع.

وكمثال على ذلك: الأرقام الرومانية: (I-II.....)؛ ثم العربية(1- 2- 3 ....10)؛ ثم الأحرف العربية (أ، ب، ج.....ض). ثم إذا أراد تفريعات أخرى يكتب : (1- أ) أو (I -2- أ)

●**وفيما يخص الرموز والاختصارات Abréviations** : إن الاختصار هو ما يشير بحجم أصغر إلى ما هو أكبر منه أما الرمز؛ فإما أن يكون حروفًا (مثل"ص" التي تعني الصفحة) أو إشارات مثل(X) التي تعني إشارة الضرب،.وغيرها. وكلاهما يدل على بعض الكلمات أو الاصطلاحات أو وحدات القياس. ويتكون الاختصار أو الرمز عادة من حرف إلى أربعة حروف من حروف الكلمة أو المصطلح، وعادة ما يحتوي الاختصار على الحرفين أو الثلاثة أحرف الأولى من الكلمة. وقد استعملت عدة اختصارات للميزات التالية: تسهيل الكتابة.، تقليل الحيز في النص والاقتصاد في عدد الكلمات والأسطر.

[1] - للتوسع يراجع: - محمد قاسم الشوم، منهجية البحث وعلم المكتبات، ص.ص(190- 191).

وجرى المؤلفون والكتاب على اختصار كلمات خاصة يكثر تكرارها في البحث وفي كل مادة من المواد كلمة أو جملة تتردد كثيراً وقد اصطلح العرف على قبول اختصارها، وعلى أن الرمز يؤدي مؤداها، منها ما يستعمل في الحاشية أو المتن فقط ومنها ما يستعمل فيهما معاً.

أ/ اختصارات الحاشية:[1]

العبارة كاملة	مختصرة بالعربية
حين لا يكون تاريخ النشر مثبتا على الكتاب	**ب.ت**
في حالة تعدد المؤلفين يذكر اسم الأول ويتبع بـ	**آخرون**
مرجع أو مصدر سبق ذكر معلوماته بفاصل بيبولوغرافي	**مرجع / مصدر سابق**
مرجع أو مصدر سبق ذكره بدون فاصل بيبلوغرافي	**نفسه**
الصفحة	**ص**

الجزء	**ج**
مترجم	**تر**
المجلد	**مج**
تحقيق	**تح**
بدون مكان	**ب.م**
بدون تاريخ	**ب.ت**
لا ناشرون	**لا.ن**
طبعة	**ط**
مخطوط	**مخ**
مطبعة	**مط**
الهامش	**ها**

ب/ اختصارات الحاشية والمضمون معاً: أمثلة:

[1] – المعموري الطاهر، منهج إعداد البحوث، ص99. للتوسع يُراجع: – عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، ص265.

الله	**الله**
التاريخ الميلادي	**م**
التاريخ الهجري	**هـ**
صلى الله عليه وسلم	❐
رضي الله عنه	♦
عليه السلام	◆
إشارات الوفاة	**ت**
إلى آخره	**....الخ**
سورة – آية	**س– آ**
انتهى	**ا.هـ**

7. النموذج المعتمد في الدراسة «رحلة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني إلى الحج (1189هـ)»

أ. المدخل:

انطلاقاً من المبدأ الذي صَاغه حكيمُ الصوفية ابن عطاء الله السكندرى بقوله : لا تصحُّ النهايات إلا بتصحيح البدايات .. يأتي هذا البحث الموجز، كمحاولة لتأسيس العمل التراثى على قواعد راسخة، هي بمثابة البدايات التي نرى وجوبَ تصحيحها، بغية ترشيد خُطانا عند الشروع في خطةٍ شاملة لتطوير العمل في مجال التراث العربي.

على أنَّ هناك مبدأً صوفياً آخر لا يقلُّ أهميةً عن السابق، يقول: «لا يجب الكلام إلا فيما تحته عملٌ .. ومن ثم، فقد خصَّصتُ القسم الثاني من البحث، للكلام عن تطبيقات عملية في ميدان العمل التراثي – قمتُ بها منفرداً – في محاولة متواضعة لتطوير العمل في مجال التراث العربي (المخطوط منه بخاصة) والانتقال به من النصِّ إلى الخطاب. غير أن الكلام في التطبيقات لابد وأن يسبقه إلماحٌ إلى الأسس النظرية التي نفترض أن تحدِّد ملامح مشروع خطتنا الشاملة، الرامية للعناية والارتقاء بتراثنا العربي المخطوط

للتحقيق منهجية خاصة تعارف عليها أهل هذا الفن، وتميّزوا بها عن باقي فنون التأليف فاعتمدوا ثلاث طرق رئيسية في تقسيم مواد فهارسهم على أساس العناصر المكونة لها وهي الشيوخ والمصنفات (المرويات) والإجازات، إن الغاية من التحقيق هي تقديم النص كما وضعه مؤلفه الذي انصرفت واتجهت إرادته إلى إفادتنا به. لأنه أحسّ بحاجة الناس إليه، ورغبتهم فيه فأقدم على تأليفه، والأمانة العلمية تقتضي منَّا نقل النص كما هو بدون

تغيير أو تبديل أو حذف أو اختصار، فعرض النص صحيحًا كما أراده المؤلف بدون تجاوزات النسّاخ أو اجتهاداتهم أو جهلهم في بعض الأحيان هو عمل المحقِّق، الذي لابد أن يستعين في تقويم النص بمقارنة النُسخ واستلهام إرادة وقصد المؤلف، وفهم السياق الذي يسير فيه واضع الكتاب.

هذا وإن هناك أشياء أخرى هي من باب البحث، تُعين على فهم النص ووضعه في قالب عصري، يُواكب حركة تطوّر البحث العلمي ويستجيب لمتطلبات الباحثين. وهذه الأشياء إما عامة تتفق فيها كل النصوص مهما كان الفن الذي تنتمي إليه، أو خاصة وهي تختلف باختلاف موضوع فن الكتاب المحقَّق.

ب. منهجنا في تحقيق مخطوطة رحلة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني إلى الحج (1189هـ)»

ولما كان الغرض من تحقيق النصوص إظهارها سليمة وصحيحة كما أراد لها مؤلفها، فقد اتّبعت من أجل ذلك منهجاً علميًا تعارف عليه من يقومون بهذه المهمة الممتعة والخطيرة في الآن نفسه، ملتزماً بالدقة والأمانة والحيطة والحذر، إذ ليس من المبالغة في شيء الجزم بأن إعادة النصوص إلى أصلها أصعب من وضع نصوص جديدة ومما أعانني على تحقيق هذا الكتاب هو أنني ظفرت بعدة نسخ أصلية (ورقية) وأخرى مصوّرة.

وقد قابلت بين كل هذه النسخ في كل مراحل التحقيق، وهو ما أعانني على الاقتراب أكثر من النسخة الأصلية من حيث التصحيف الوارد فيها، أو التعليق والإضافة، وتأويل الناقص فيها والغامض (ما عليه بياض) وفقاً للقواعد الصحيحة وضبطته ضبطا كاملاً، وأصلحت بعض الخلل الواقع فيه، والناجم عن سهو المؤلف في بعض المواضع، والتي لم يتداركها في الهامش وهي قليلة ولم أتدخل في النص الأصلي إلا بالقدر الذي يُصلحه وفق الطرق المنهجية المعروفة كالإحالة على الهامش أو وضع المصحح بين معقوفتين [ ]، أو إدراج الحالات التقنية في الكتابة المنظمة كإشارات الوقف: النقطة، إشارة الاستفهام، إشارة التعجب الشولتان المزدوجتان، الشرطتان، النقط الأفقية..، أو كالرموز والإشارات: القوسان المعقوفان من أجل إكمال الناقص من نسخ أخرى أو وضع مقترحنا لاستقامة الجملة، الهلالين للآيات القرآنية، قوسان بينهما نقط أفقية (...) من أجل نقص وارد في النسخة الأصلية..، بالإضافة إلى تعديل التواريخ، كإضافة (هـ) للدلالة على اعتماد المؤلف على التقويم الهجري وفي كثير من الأحيان نلحق بها ما يوافقها بالميلادي للضرورة العلمية والمنهجية، وكل ما امتدت إليه يدي بالإصلاح أشرتُ إليه في الهامش محافظةً عليه والتزاماً بالأمانة العلمية، وللتقليل من احتمالات الزلل، أشركت في ذلك بعض الزملاء المختصين.

- **المرحلة الأولى:**

في البداية وبعد التصحيح والمقابلة اللغوية والأسلوبية بين النسخة الأصلية الورقية وحتى المصورة إمعانًا في الدقة، مع النسخة المكتوبة بالطريقة الحديثة (WORD) قمت بثلاثة أمور أولية هي:

1. تحقيق وتشكيل وتصحيح الآيات القرآنية الواردة في والنص لأن القرآن يجب أن يقدم مشكولاً محققًا وهي أولى الواجبات التي يقوم بها الباحث المحقِّق بهدف تعويد القارئ على النطق الصحيح للآيات القرآنية بدون دفعه إلى التفتيش عن مكانها من السورة، مع المحافظة على القرآن الكريم بجعله أول عمل يقوم به المحقِّق للنصوص الإسلامية القديمة.

2. ثم تخريج الأحاديث؛ وهي عملية أساسية في كل نص عربي مهما كان الفن الذي ينتمي إليه، بهدف التأكد من صحة الحديث المستشهد به وابتعاده عن الوضع أو الضعف، وهذا باستعمال المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الذي فهَّرس لتسعة كتب وهي الصحيحان، والسنن الأربعة، والدّارمي، وموطأ مالك، ومسند أحمد بن حنبل. وقد عثرت على عدد من الأحاديث الموضوعة التي دوّنها الحفناوي في كتابه وقد أشرت إليها في مبحث نقد الكتاب، زيادة على ذلك فإن تخريج الحديث هو زاد آخر يضعه المحقق للباحثين، فيُقدم لهم الحديث برواياته المختلفة ومكان تواجده في كتب الحديث المعروفة.

3. الترجمة للأعلام والأماكن والمصطلحات الغريبة أو الغير معروفة بالرجوع لأقدم المصادر التي شرحتها أو ترجمت لها أو عرَّفت بها، ثم الاستعانة بمصادر أخرى حسب التسلسل الزمني.

- **المرحلة الثانية:**

قمت بتقويم ما وجدته في النص من كلام سقط سهوًا، أو أحسست أنه غير مستقيم مع المحتوى بما يُلائم السياق من زيادة حرف أو كلمة بأن وضعت الزائد بين معقوفتين [ ] مشيرًا إلى ذلك في الهامش، ويتجلى ذلك في نسخة المؤلف لأنه كثير السهو فقد يُعيد كتابة بعض الكلام، أو ينسى كتابته، كما تتبعت مسائل المخطوطة المبسوطة فيه، بما له إشارة عن عصره أو حياته العلمية أو الاجتماعية أو الثقافية كي أدرجها في قسم الدراسة، والأمر نفسه ينسحب على قسم التحقيق.

لقد ظهر لي بعد هذه التجربة أن دراسة وتحقيق النص التاريخي هو محاولة لإعادة تقييم العصر، ومحاولة عرضه عرضًا موضوعيًا وهي فرصة لنفض الغبار عن جذورنا بإبعاد الخرافات عنها والترهات التي ألصقت بها، وفي هذه المرحلة أيضًا قمت بتعريف الأماكن الجغرافية الواردة في المتن، إضافة إلى عدد من المسميات والمصطلحات المنبثقة من اللهجة الجزائرية والمرتبطة بعاداتها وتقاليدها ... بأن وضعت لها شرحًا مختصرًا في الهامش.

كما تتبعت مسائل الكتاب المبسوطة فيه، وأرجعت الأصول التي نقلها إلى أصحابها ما استطعت إلى ذلك سبيلا؛ لكن بعد أن قمت بوضع البيبليوغرافيا لمجمل الكتب الواردة في مخطوطته (المعتمدة عليها) توقفت عن ذلك وتراجعت عن هذه العملية لاعتبارين مهمين هما:

- بالنظر إلى الكم المعتبر من الكتب القديمة التي اعتمد عليها الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني في رحلته فإنني لم أُوَفق في الحصول إلا على عدد قليل منهما سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة، وبدا لي أن التجربة فاشلة كون أن الأمر لا يستقيم إلا بإيراد الكل، خصوصًا إذا علمنا أن هناك من مصادره المعتمدة من أضحى في حكم المفقود.
- إن عملية الإحالة الهامشية لمصادر الرحلة المعتمدة سيزيد من الحجم الكلي للعمل، خصوصًا إذا علمنا أن إدراجها كلها سيضاعف حجم الهامش على حساب المتن، والأمر نفسه فيما يتعلق بإحالة التصحيحات اللغوية والنحوية إلى الهامش على كثرتها، كما أن الاعتبارات المادية والتقنية لها دورها هي الأخرى.

وخلال هذه المرحلة أيضا أدرجت إلى جانب السنوات التي احتواها كتابه؛ نوعية تقويمها (الهجري) وفي كثير من الأحيان ونظرًا لأهمية بعض الأحداث وضعت لها ما يوافقها بالتقويم الميلادي.

وعندما حاولت ما أمكنني الإحالة إلى تراجم الشيوخ الذين ترجم لهم المؤلف وكذا الأعلام الواردة في النصوص المقتبسة والتي تعج بها مادة المخطوط. ونظرًا لكثرة هؤلاء الأعلام راعيت عدم إيراد هذه التراجم، بل اقتصرت في بعض الأحايين على الاكتفاء بالإشارة إلى اسم العلَم وتاريخ وفاته وبعض آثاره، وأحلتُ إلى ما استطعت الوقوف عليه من مصادر ترجمته، وتحاشيت الترجمة لمشاهير الأعلام الغامضة كالمشار إليها بالكنية أو باسم واحد لأني رأيت أن ذلك أسلم، كما تجنبتُ الترجمة لبعض الأعلام المبسوطة تراجمهم في كتب التراجم تجنبًا لإثقال الحواشي، وخشية الوقوع في المطبّات لم أترجم لبعض الشخصيات التي وردت متشابهة أو بها غموض، كما حاولت التعريف ببعض المصنّفات الواردة في المتن والتعليق عليها باقتضاب وهي حالات قليلة جدًا للمبرر ذاته فيما يتعلق بوضع بيبلوغرافيا عن مصادر الكتاب.

●**المرحلة الثالثة**: وهي مرحلة تحقيق متن المخطوط، فعملية تحقيق المخطوط ليس بالأمر اليسير، بل لابد للمحقِّق من خبرة في هذا الميدان وعلى قدر خبرته يكون نجاحه في عملية التحقيق، ويمكن للمحقق أن يكتسب هذه الخبرة من خلال:

- تكرار قراءة المخطوط لفك خطوطه، فاختلاف الخطوط من عهد إلى عهد، ومن مشرق إلى مغرب، بالإضافة إلى الرموز التي استخدمها المؤلفون، كل ذلك يجعل الأمر عسيرًا في القراءة الصحيحة، كما أن لكل مؤلف في ذلك العصر طريقة خاصة ينبغي أن يفك المحقق رموزها ويكشف كنهها، وذلك بالرجوع إلى الكتب التي بينتها ووضحتها.
- التمرس بأسلوب المؤلف بتكرار قراءة المخطوطة.

- الإلمام بالموضوع الذي تدرسه المخطوطة لمعرفة مفرداته ومصطلحاته وعباراته، حتى لا يقع في أخطاء أثناء التحقيق أو يُغيّر صحيحا ويُثبت خطأً، كحالات التصحيف أو التحريف أو أخطاء المؤلف نفسه، بالإضافة إلى الأخطاء المطبعية، وعدم دقة بعض خطوطها.

وفي هذه المرحلة قمت بتصحيح الأخطاء اللغوية والإملائية والنحوية الموجودة في النص الأصلي، وحالات التصحيح شملت الزيادة والحذف مع الإشارة إليها في الهامش، بالإضافة إلى التغيير والتبديل والذي لم ألجأ إليه إلا في حالات قليلة الحدوث حتّمها النص.

أما حالات الضبط فقد شملت ضبط الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأشعار والأمثال التي تصعُب قراءتها بالإضافة إلى الألفاظ التي يلتبس معناها، إذا أهمل شكلها؛ زيادة على ذلك لجأنا إلى التعليق نظرًا لصعوبة الخط المغربي في بعض حركاته أو اعتبارًا لتعقّد أسلوب الشيخ عبد الرحمان بن عمر وعدم فهم الغاية منه، لخصوصية الزمان والمكان اللذيْن ألفا فيهما رحلته، وقد شمل التعليق أمورًا كثيرة منها:

- تفسير آراء المؤلف وشرح الغامض من النصوص.
- شرح بعض المسميات والمصطلحات التي يصعب على القارئ غير ابن المنطقة فهمها (المغرب الأوسط)، والإشارة لمعنى المفردات الصعبة.
- ربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض بالإشارة إلى صفحات سابقة.
- تخريج آراء الفقهاء في قضايا تناولها الشيخ عبد الرحمان بن عمر في رحلته وإرجاعها إلى مصادرها.
- تخريج البلدان والأماكن الواردة في الكتاب (تحديد المسافات والمواقع والمسميات).
- وكانت التقنيات الفنية في هذا العمل مضبوطة وفق الشكل التالي:

- **الحاشية:** الحواشي أو الهامش هو كل ما خرج عن المتن من شرح أو إشارة أو تعليق، ويفصل عن النص أو المتن بخط طويل يَنصفُ الورقة عرضياً من الأسفل وعلى جهة اليمين بالنسبة للمراجع العربية وعلى جهة اليسار إذا كانت كل الحواشي باللغة الأجنبية. لقد استخدمتُ الهامش لإثبات مبدأ الأمانة في الإشارة إلى المراجع والمصادر والشروح والتفسيرات والإيضاحات وكيف تم استخدامها من قبله، واستخدمته أيضاً للأغراض التالية:

- لتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.
- للإشارة إلى مصدر بعض الاقتباسات المباشرة وإسنادها بشكل صحيح لصاحبها الأصلي.
- لاقتباس النص بشكل مباشر إذا تبين لي أنه مبتور وناقص في المحتوى مع عدم إمكانية وضعه داخل النص.
- ذكر الآراء والتفسيرات والشروح ووجهات النظر لنظرية أو حادثة ما لا يمكن ذكره في المتن.

- شرح بعض الكلمات الغامضة والاصطلاحات الفنية والعلمية واللغوية والتاريخية.....
- الترجمة والتعريف ببعض الأعلام والأماكن والكتب والهيئات خاصة الذين يذكرون لأول مرة وغير مشهورين أو لهم خصوصية وارتباط بالمنطقة الأصل. بمعنى أن القارئ من غير سكان المغرب الأوسط قد يصعب عليه فهمها.
- وفي حالات قليلة جداً استعملنا الهامش للإحالة إلى المصادر والمراجع الأخرى من أجل الحصول على مزيد من التفاصيل لبعض ما ورد في المحتوى.

ج. دراسة الرحلة المحققة .

أولاً: وصف النُّسخ وترجمة النُّساخ

إن البحث والتنقيب في ميدان المخطوطات أصبح من الأمور المهمة التي تستهوي العديد من المؤرخين والباحثين والدارسين للمراحل التاريخية, خاصة الحضارية منها، وذلك قصد تعزيز انتماءات شعوبهم الحاضرة ومعرفة المستويات الإنسانية التي كانت تعيشها أممهم السالفة، من هذا المنطلق كان تفكيري في موضوعٍ يخدم مثل هذه القضايا لأنها الخطوة الممتدة إلى الخلف قبل الانطلاق نحو آفاق مستقبلية، فبحثت مع بعض المهتمين في إيجاد مخطوط يعالج جوانب ثقافية وحضارية دون غيرها من الجوانب الأخرى، فوقع اختياري على الرحلة الحجازية، بعد ما اكتشفت القيمة التاريخية والحضارية التي يمكن إضافتها في سجل الإنسانية وخدمة للعلم والتاريخ.

توفرت لدينا نسختان من الرحلة المدروسة وهذا بعد البحث في معظم الخزائن التواتية التي تحتوي على مخطوطات الشيخ، أو التي اهتم أربابها بجمع مؤلفات الشيخ وعلى رأسهم خزانة مولاي علي سليماني "الادغاغي"[1] ذلك أن الشيخ كان يدرس في أدغا وخزانة الشيخ باي بلعالم-رحمه الله-[2] الذي اهتم بالمخطوطات التواتية عامة ومخطوطات عبد الرحمان بن عمر التنيلاني التواتي خاصة[3].

كما أني وإلى اللحظة الراهنة لم أعثر على نسخة مغايرة لهذين النسختين، مع العلم أنه قد جزم لي بعض المهتمين بمجال المخطوطات التواتية أن الرحلة لا تتوفر إلا على نسختين فقط، ولم أقف عند هذا الحد بل تتبعتُ فهارس المؤلفات التي اعتمدت الرحلة كمصدر لها، يذكرون فقط النسختين المتحصل عليهما ويبقى كل ذلك حسب ما اطلعت عليه وتجنباً للالتباس بينهما في إطار البحث، رمزت للأولى وهي الأقدم والأكثر اعتماداً في الدراسة بالرمز(ن1) أما الثانية وضعتُ لها (ن2)

---

[1] – خزانة مولاي سليمان بن علي بقصر ادغا بلدية تيمي أدرار المشرف عليها هو السيد مولاي علي سليماني الادغاغي .

[2] – خزانة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم بمدرسته بضاحية الركينة بمدينة أولف، أدرار.

[3] – يتجلى ذلك من خلال كتابته في التعريف الشيخ ومكانته العلمية ومؤلفاته

ثانياً: وصف النسخة الأولى وناسخها:

- **ترجمة سيد المحفوظ بن محمد بن سالم** :ولد الشيخ سيد المحفوظ بن محمد بن سالم[1] بقصر أولاد اوشن تعلم مبادئ العلم من الكتاتيب بهذا القصر فحفظ القرءان الكريم وهو ابن ثلاثة عشر سنة بمدرسة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان بن عمر[2] كان من أنجب طلبته وأفقههم وأعلمهم بحيث كان يَخلف شيخه عند غيابه وكان ذراعه الأيمن عند حضوره [3] ولما كبر سيدي محمد بن عبد الرحمان وفقد بصره كانت فتاواه تصدر عن لسانه حيث كان يقوم بدور كاتبه ونظرا للمكانة التي تمتع بها عند شيخه فقد تزوج من ابنته[4]، وحصل منه على إجازة في القرءان الكريم برواية ورش بطريق الأزرق ورواية قالون عن أبي نشيط ولازلت هذه الإجازة موجودة في خزانة مملوكة[5]، تربع على سجادة شيخه محمد بن عبد الرحمان بن عمر التينلاني بعد وفاته 1233هـ ليقوم مقامه في التدريس، فكان ماهراً في أصول الفقه والتفسير وبقي على هذا الحال إلى أن وافته المنية يوم 14ذو الحجة 1249هـ ودفن بمقبرة أولاد أوشن [6] خلّف لنا هذا الأخير العديد من المخطوطات التي دوّنها بيده باعتباره نسّاخاً متقناً منها موطأ الإمام مالك وخليل والقرءان الكريم كاملاً وغيرها من المخطوطات الأخرى[7] .

▪وصف النسخة الأولى:

حصلت على هذه النسخة في مطلع سنة 2010م بعدما كنت أتردّدُ على الخزائن التواتية واحدة تلو الأخرى ،وذلك في خزانة أبي عبد الله بأدرار[8]، وهي بخط الناسخ الأصلي.

و توجد لها نسخ مصورة في كل من خزانة تمنطيط وخزانة مولاي علي سليمان الادغاغي وقد تكون على أكثر تقدير هذه النسخة هي الأصلية، لأن المؤلف توفي وترك الرحلة دون ترتيبها وجعلها في شكل تأليف وإنما الذين اهتموا بها ورتبوها هم أبناؤه وتلامذته من بعده .

عدد أوراقها : 20 صفحة

---

[1] – الوليد (بن الوليد)، **جريدة انساب علماء توات**، مخطوط بخزانة أبا عبد الله، أدرار، ص 16.

[2] – علي (سليماني)، **الندوة الرابعة للولي الصالح العلامة الشيخ سيدي مولاي سليماني بن علي رضي الله عنه**، قصر أولاد وشن، يوم الخميس 19جمادى الأولى، 2009م، ص 06.

[3] – نفسه، ص 06

[4] – الوليد (بن الوليد)، المرجع السابق، ص 16.

[5] – نفسه، ص 16.

[6] – مولاي سليماني (بن علي)، المرجع السابق، ص 16.

[7] – توجد هذه المخطوطات المنسوخة بخط سيد المحفوظ في خزانة مولاي علي سليماني .

[8] – خزانة بن الوليد الحاج الوليد بقصر أباعبد الله بلدية تيمي أدرار، المشرف على هذه الخزانة ابنه الأستاذ الحاج عبد القادر بن الوليد.

متوسط مسطرتها: يتراوح بين (16–20) سطراً

مقياسها: الطول:يتراوح بين 17سم و16سم / العرض: بين 12سم، 11سم.

متوسط عدد الكلمات في كل سطر: ما يزيد أو ينقص عن 10 كلمات.

نوع الخط: مغربي ذو حجم كبير.

لون الخط: بني من السمخ الذي يستخدم في المدواة[1] وهو لون مداد ذلك العصر.

لون الورقة : أصفر.

وصفها : استهلها المؤلف بالحمد لله الذي فرض على المكلفين حج بيته الحرام وغفر ذنوب من حجه، ثم شكر الله على أن وفقه لأداء فريضة الحج حيث يقول «...وأشكره على ما منحنا من التوفيق...»[2] وثنى بالصلاة بالصلاة والسلام على رسول الله ❐ ثم شرع في تبيان أسباب الرحلة حيث يقول«... وذلك لما تحركت همة الإخوان...فخرجنا من بلادنا...»[3] ليسترسل في أحداث الرحلة إلى أن يصل إلى مبتغاه وهو البقاع المقدسة, وشرع في تأدية مناسك الحج وعند العودة توفاه الله في القاهرة قبل العودة إلى الديار التواتية لتنتهي النسخة بحديث شريف قال رسول الله ❐: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »[4].

ملاحظات حول النسخة النسخة غير تامة وإنما تقف« ...عند أعمدة مبنية علامة على الطريق بين كل عمودين فرسخ...»[5] وتوجد بها صفحتين, المكتوب فيهما يدل على أنهما عند العودة وعباراتهما مبهمة وغير واضحة لعدم وجود الربط بينهما.

1- كتابة النسخة سليمة من حيث الأخطاء اللغوية عدا بعض الألفاظ القليلة والتي في أغلبها هي مصطلحات بالرسم القرآني وليست أخطاء.

2- النسخة جوانبها متآكلة وممزقة ولهذا لم أعتمد عليها بشكل تام على الرغم من أنها الأقدم والأقرب إلى عصر المؤلف وهي محفوظة داخل حاوية مع بعض المخطوطات الأخرى.

ب– وصف النسخة الثانية وناسخها:

- **ترجمة الوليد بن الوليد:**

1- المدواة: تستعمل من مادة السمخ التي تحافظ على شكلها لمدة طويلة في الورق وكانت تستخدم في حقب تاريخية مكان الأقلام

2- عبد الرحمان (بن عمر التنيلاني)، المرجع السابق، ص 01

3- نفسه، ص01.

4- قد سبق تخريج هذا الحديث .

5- نفسه ص،01

5 - عبد الرحمان (بن عمر التنيلاني)، المرجع السابق، ص18،

الوليد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن الوليد بن منصور بن القاسم بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف[1], ولد بقصر أبا عبدالله أولاد أوشن, عام 1925م, درس القرءان وأخذ مبادئ الفقه والعربية بالمدرسة البكرية بتمنطيط، وذلك بعد وفاة أبيه[2].

بعد أن أتم رحلته التعليمية سافر إلى مدينة البيض، ثم إلى عين الصفراء حيث درّس بها القرءان والفقه واللغة العربية، ثم اشتغل إماماً بقصر الشلاّلة القبلية من عام 1915م-1955م ثم عاد بعدها إلى أدرار حيث اشتغل كاتباً لدى القياد، ثم كاتباً في بلدية تيمي وأدرار في مصلحة الحالة المدنية، وفي عام 1965م دخل ميدان التعليم كمعلم بالمدرسة الابتدائية بكلٍ من قصر تنيلان وأولاد إبراهيم، ثم أستقرّ بأولاد أحمد، وتقلّد منصب مدير المدرسة الابتدائية أواسط السبعينات إلى أن بلغ سن التقاعد سنة 1994م ليتفرغ بعدها إلى ترميم وجمع المخطوطات التواتية

✓ **تنشئته للمكتبة الفكرية** :بعد تقاعده تفرّغ الوليد إلى خزانته حيث اعتنى بدراسته للمخطوطات وتحقيقها ،وإعادة نسخها في سجلات وفهرستها، كما اهتم بدراسة تاريخ المنطقة وعلمائها, حيث كان عضواً ومؤسساً لجمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار, وبقي فيها إلى أن توفي وعمره يناهز 80 سنة يوم 21 جانفي 2004م والموافق ل ذي الحجة 1424هـ[3].

✓ **أعماله بعد التقاعد:**

1- الاهتمام بفهرسة وترتيب وتصنيف خزانته الموجودة في قصر أبا عبد الله بأدرار.

2- تأليف كتاب قرة الأعيان في ذكر علماء تنيلان الذي لم يتم طبعه لحد الآن على الرغم من أهميته الأدبية والتاريخية.

3- ديوان شعري كبير متنوع في الشعر الملحون.

4- مخطوطات في الأنساب وسير الأعيان وعلماء المنطقة.

وله قصائد في المدح والرثاء وغيرها،[4] وله قصيدة على الثورة الجزائرية.

- **وصف النسخة الثانية**

تحصلت على هذه النسخة في بداية 2010م في خزانة أبا عبد الله بأدرار وهي بخط الناسخ وهو الوليد بن الوليد، والتصويبات والإضافات الموجودة فيها تدل على أنه نسخها من نسخة غير النسخة السابقة الذكر[1] أو

1- الوليد(أبن الوليد) **قرة الأعيان في ذكر علماء تنيلان**، مخطوط بخزانة أبا عبد الله، أدرار، ص13.

2 - سعاد (الشابي)، **دراسة وصفية لخزانة أبا عبد الله**، الملتقى الوطني الثالث البحث العالمي ودوره في خدمة التراث، محور، واقع التراث المخطوط في الخزائن التواتية 16/15 أفريل جامعة أدرار ،ص113

3 - محمد(باي بلعالم) **الرحلة العالية إلى منطقة توات**، المراجع السابق، ص410.

4 - عبد القادر (بن الوليد)، **"الوليد أبن الوليد"**، مجلة النخلة، ع54، الجزائر، أدرار، جوان 2008م، ص 22.

أو أنه اعتمد عليها وأكمل الباقي من نسخة أخرى، ومما يرجح الاحتمال الثاني هو التشابه الموجود بينهما خاصة في الحواشي.

عدد أوراقها: تسعة ورقات من الحجم الكبير العادي مثل الورق المتوفر الآن.

متوسط مسطرتها : يتراوح مابين 20 إلى 23 سطراً.

مقياسها: الطول: 28سم/ العرض: 21.5سم.

متوسط عدد الكلمات في كل سطر: يتفاوت مابين 10الى12 كلمة.

لون الورقة : أبيض من الورق المستعمل اليوم.

لون الخط: مكتوبة بقلم جاف أزرق لأن الناسخ معاصر.

نوع الخط: عادي يشبه خطوط المدرسين في الكتاتيب اليوم ويميل إلى الخط المغربي.

وصفها: افتتح الناسخ هذه الرحلة بالبسملة وعنوان الرحلة , ثم شرع في الحمد والشكر لله وثنى بالصلاة والسلام على رسول الله وبعدها بدأ في إيضاح أسباب الرحلة وانطلاقتها ليسترسل في الإحداث إلى أن وصل إلى الحج وبعد العودة وافته المنية في القاهرة .

اعتمَدتُ عليها في إتمام ما نَقُص أو ما استشكل في النسخة الأولى خاصة في الزيادة التي امتازت بها هذه النسخة عن النسخة الأولى في آخرها من قول المؤلف: «... عند أعمدة مبنية علامة على الطريق بين كل عمودين فرسخ » إلى أخر الرحلة [2].

- **ملاحظات هامة حول النسخة :**

3- النسخة بها إسقاطات كبيرة مثل: «... ماء في جنبي الجبل عن يمين الذاهب يسمى جلكم...» إلى عبارة: « ...ونزلنا بمحل الركب ظهراً وذالك ليوم السبت 16 من شعبان...»، والفاصل بين العبارتين هو ما يعادل أربعة صفحات بالنسخة الأولى[3]، وهناك إسقاط آخر بين:«...وبتنا قرية سوى ... إلى بندر عجرود... » والفاصل بينهما ما يعادل ثلاث صفحات ونصف من النسخة الأولى[4] وكل هذه الإسقاطات موضحة بشكل تام في الهوامش بالنسبة لقسم التحقيق، إلا أن هذه الإسقاطات توجد بين آخر كلمة في الصفحة التي يوجد بها

---

1 - وقد أشار إلى ذلك الشيخ باي بلعالم في إحدى محاضرته التي القها في مناسبة الأسبوع الثقافي الثاني، من أن الشيخ حمزة الفلاني كتب نسخة من هذه الرحلة حيث يقول «...ورحلته موجودة بخط الشيخ سيدي حمزة لكن مع الأسف تلاشت وتقطعت ولم يبق منها ألا القليل ...»..ينظر: محمد (باي بلعالم القبلاوي)، **لمحات من خلال المخطوطات التي لم تطبع عن علماء وآباء توات**، الأسبوع الثقافي المنعقد بادرار في 13- 20 ،1980،ص 03.

2- عبد الرحمان بن عمر التنيلاني المرجع السابق ن 2 ،ص ص 06-09 .

3 - نفسه ن1،ص ص 07- 11 ،أما ن2، ص ص 03-04 .

4 - نفسه ن1،ص ص 14-18، أما ن 2، ص ص 05-06 .

الإسقاط, وأول كلمة في الصفحة الموالية لها مما يدل على أن هذه الإسقاطات هي عبارة عن أوراق سقطت من هذه النسخة، حاولتُ إيجاد هذه الأوراق لكن تعذر ذلك وتحصلت على بعض الصور لهذه النسخة في خزانات أخرى ولكنها على نفس شاكلة النسخة الأم, مما يدل على أن هذه الإسقاطات منذ فترة بعيدة أي قبل استنساخ هذه الصور منها.

4- النسخة ليس بها أي تمزيق أو تقطيع, بل هي في شكل حسن محفوظة داخل حاوية مع مخطوطات أخرى مما يدل على أن ناسخ هذه النسخة هو الوليد ابن الوليد أنها وجدت في خزانته وبخط يديه وذلك مقارنة مع الكتابات الأخرى التي كتبها بيديه، كما أن الشيخ ليس بقديم العهد وقد اهتم في آخر حياته بنسخ الكتب المفقودة عنده أو التي خاف عليها من الضياع فكان يجمع كل ما تصل إليه يديه من مخطوطات .

ملاحظة :النص المعتمد في قسم التحقيق هو نسخة ثالثة مستخلصة من النسختين ويجوز ذلك عند المحققين والمؤرخين الأوائل والمعاصرين, ويعرف هذا في مصطلحاتهم العلمية والمنهجية باسم "التلفيق بين النُّسخ"، إلا أنهم يرجحون طريقة المحدِّثين والأكثر أماناً في التحقيق، وهي الاعتماد على النسخة الأصلية أو القريبة من عصر المؤلف[1] .

ثانياً التعريف بالرحلة (ظاهريا، وباطنيا)

أ- **النقد الظاهري للمخطوط :**

- **نسبة المخطوط إلى صاحبه :**

يتضح لنا من خلال واجهة النسختين أن المخطوط يُنسب للشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني, حيث أن كليهما في مطلعها تصرح أن هذه الرحلة لعبد الرحمان بن عمر التنيلاني, فنجد بعد البسملة عبارة «... هذه رحلة شيخنا ... سيدي عبد الرحمان التنيلاني رحمة الله عليه ورضي عنه آمين ...»[2].

ولقد حاولتُ إيجاد هذه النسبة في بعض كُتبه التي أُثبتت نسبتها إلى الشيخ مثل "الفهرسة" وغيرها من الكتب[3] ،إلا أن هذه الكتب لا تحتوي على هذه النسبة سواء في مضمونها أو في هوامشها، ويعود السبب في عدم ذكره هذه النسبة في مؤلفاته، إلى أن الرحلة هي آخر شيء ألفه الشيخ بعد وفاته، أما الذين أعادوا نسخ كتبه من بعده من أبناءه وتلامذته لم يتعرضوا لها في الكُتب التي نسخوها ولا في مؤلفاتهم، كما أني حاولتُ جاهداً أن أجدها في بعض المصادر التي يعود تاريخها إلى بعد وفاة المؤلف سواء مخطوطة أو مطبوعة, ومن أبرزها تلك المخطوطات التي ترجمت للشيخ مثل الذرة الفاخرة [4]، وجوهرة المعاني[1]، وذرة الأقلام[2]، كلها لا تشير إلى ذلك لأن

---

[1] -الصادق(بن عبد الرحمان الغرياني)، **تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث**، دار ابن جرم، لبنان، 2006م، ص 28.

[2]- يرجى الرجوع إلى الملحق رقم01 ،02

[3]- يستحسن العودة إلى الفصل الخاص بالمؤلف من أجل التعريف على مؤلفات الشيخ

4- عبد القادر (المهداوي)، المخطوط السابق، ص 05.

لأن المترجمين التواتيون لم يدرج المؤلفات ضمن الترجمة إلا نادراً ,على الرغم من ازدهارها عندهم، وتأكيداً لهذه النسبة لا وجود لأي عالم تبنى هذه الرحلة سوى عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، وهذا ما أجمعت عليه جل المؤلفات الحديثة التي ترجمت للشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني نخص منها بالذكر كتاب الغصن الدّاني في ترجمة عبد الرحمان بن عمر التنيلاني لمؤلفه الشيخ باي بلعالم[3].

- **عنوان المخطوط:**

من المعلوم أن الشيخ توفي قبل إتمام هذه الرحلة, ولهذا فإن ترتيبها وجعلها في الشكل الذي هي عليه الآن وعنونتها برحلة عبد الرحمان بن عمر التنيلاني في مطلع كل نسخة[4] , يعود ذلك في الأرجح إلى النُّساخ ولهذا اقتصروا فقط على هذا العنوان دون غيره –كما كان التواتيون يُعنونون رحلاتهم الحجازية[5]– تجنباً لإضافة أي شيء إلى المخطوط الأمر الذي يتنافى ومهنة النسخ.

أما محتوى المخطوط فإنه يؤكد ويطابق ما جاء في العنوان حيث أن وظيفة الرحلة وغرضها ومقصدها البقاع المقدسة وهو ما نلمسه من خلال دراستنا للرحلة ويتضح جلياً في معالم هذا المخطوط، ويكفي أن نطلق اسم رحلة إذا ما توفر في هذا المخطوط شرطاً واحد يوضحه لنا هذا التعريف: « إن الرحلة هي أنباء عن ذهنية الرحالة وتصوير لمكنونات الوعي الثقافي عنده أكثر مما هي حديث عن البلد موضع المشاهدة أو أخبار عن القوم ...» [6] ومن ثم فإن مستوى الوعي الثقافي للرحالة من خلال الرحلة يتجلى لنا في حرصه الشديد على ذكر المستوى الثقافي للشعوب, فلو لم يكن ذو صبغة ثقافية لما اهتم بذلك، ويتضح كذالك من خلال الانتقادات التي كان يتوجه بها إلى بعض الشعوب بحيث أنه لم يكن يتقبل كل شيء, خاصة في مجال تخصصه –المجال الديني– مثل انتقاد سكان قرية زويلة في معتقداتهم[7] .

1– محمد (ابن عبد الكريم)، المخطوط السابق، ص 38.

2– محمد (بن عبد الكريم)، ذرة الأقلام المخطوط السابق، ص 24،23.

[3]– محمد (باي بلعالم) الغصن الداني في ترجمة عبد الرحمان بن عمر التنيلاني المرجع السابق ص 60، وقد أوردها كلها معتمداً في ذلك على النسخة الثانية في شكل تعليق عليها قصد تعميم الفائدة وخوفا عليها من الاندثار، إلا أن هذه النسخة ناقصة في مضمونها .

[4] – يرجى الرجوع إلى ن1، ص01، ن2 ص01.

[5] – مثل الرحلة الشوقية، وتحفة المجتاز إلى معالم ارض الحجاز ينظر سيد عبد الكريم بن محمد البكري، المصدر السابق ص 48.

[6] – سعيد (بن سعيد العلوي)، **أوربا في مرآة الرحلة**، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، جامعة محمد الخامس ،المملكة المغربية، 1995م، ص15.

[7]– يدعي سكان قرية زويلة التي بها سبعة قباب بان هذه القباب هي قباب من افتتحها من الصحابة والتابعين لكن الشيخ انتقدهم أنهم لم يعينوا أسماء هؤلاء الصحابة والتابعين يرجع إلى عبد الرحمن، (بن عمر التنيلاني)، المصدر السابق ص 11

كما أن الرحلة التواتية في هذه الفترة –القرن الثاني عشر- شهدت تداخلاً وامتزاجاً بينها وبين الفهرسة مثل فهرسة عبد الرحمان بن عمر التنيلاني[1] ,وفهرسة عمر بن عبد القادر التواتي[2] وغيرهما كثير إلا أن هذه الرحلة خلت من كل التراجم والسير واتضحت فيها معالم الرحلة التي لم تكن في غيرها من الرحلات التواتية، واكتسبت بعداً آخر[3] , فهي رحلة بكل المواصفات كما ورد في العنوان.

- **تاريخ تأليف المخطوط:**

إن التاريخ الذي أُلفت فيه الرحلة غيرُ واضح من خلال النسختين سواءً في مطلعهما أو في أخرهما, مع العلم أن النسخة الأولى في آخر صفحة توجد بها كلمة "عام"4 وما بعدها غير موجود مما يدل على أن التاريخ التاريخ كان موجوداً بها، أما النسخة الثانية فلم يرد بها التاريخ بتاتاً, مثل عامة النّساخ التواتيين الأمر الذي يستدعي منا أن نضع الاحتمالات الممكنة قصد الوصول إلى المطلوب وهو إيجاد تاريخ افتراضي للرحلة، ومن أهم هذه الاحتمالات الممكنة: هل أن المؤلف كان كلّما مر على منطقة منذ خروجه يصفها ويدوّن كل ما شاهده من الأماكن والمناظر.. ؟ أم أنه ترك ذلك إلى غاية وصوله إلى الحج واستراحته في البقاع المقدسة، وربما قد يكون ذلك عند دخوله القاهرة...؟ وهذين الاحتمالين الأخيرين لم أوردهما اعتباطاً وإنما كثيراً ما كان الرحالة القدامى يعولون على الحفظ لذلك كانت كتاباتهم تذكراً واستيعاداً لوقائع ومشاهدات مضى عليها زمن طويل[5]، كل هذه الاحتمالات ممكنة لعدم تصريح المؤلف بالتاريخ الحقيقي لتأليفه، ومن أجل إثبات ذلك نسوق مجموعة من الأدلة والبراهين التي تثبت بأن الاحتمال الأول هو الأرجح في هذه الاحتمالات .

أولا : تؤكد كثرةُ التواريخ الموجودة في الرحلة على أن المؤلف كان يدوّن هذه التواريخ فلا يمكن استيعابها كلها واستحضارها وقت الحاجة إليها ومنها تاريخ بداية الرحلة 10جمادى الأخيرة 1188هـ مساء، ودخول الركب إلى عين صالح الذي كان يوم 1رجب 1188هـ، والنزول على ماء نكت الذي كان20 رجب 1188هـ، والدخول إلى ريف مصر في21 شوال 1188هـ وغيرها من التواريخ6.

ثانيا : وصف المناطق والمشاهد مثل قوله «...فنزلنا على عينة يوسف وهي عين في رأس كديتين طيبة وقد نبت في أصلها حشيش نخل ثم رحلنا منها ونزلنا على عين في حجر تجري ...»[7] إن هذه الأوصاف يعجز العقل عن وصفها بعد فترة طويلة لكثرتها , وإن وصفت فلن يكون ذلك بتلك الدقة المتناهية لأن الذاكرة تعترضها آفة

---

1 – عبد الرحمن (بن عمر التنيلاني)، الفهرسة كانت عبارة عن رحلات قام بها الشيخ ودون فيها الشيخ شيوخه .

2– التنيلاني (عمر بن عبد القادر)، المصدر السابق، ص 72.

3 – عبد الله (كروم)، المرجع السابق، ص 125.

4 – عبد الرحمن، (بن عمر التنيلاني)، المرجع السابق، (ن 1)، ص20.

5 – سعيد (بن سعيد العلوي)، المرجع السابق ص 15.

6 – نفسه ص ص،2، 3،7، 15.

7 – نفسه ص ،08.

النسيان فتضطرب الوقائع والأحداث في تسلسلها التاريخي، كما أن انطباعات الأمس تمتزج مع مشاهدات اليوم في الوصف.

ثالثا : تحتوي الرحلة على بعض الأحوال الجوية والمناخية التي تدل على أن أحداث الرحلة دُونت في الطريق والأكثر من ذلك أن هده الأحوال وصفت بأوقاتها حيث يقول المؤلف :«...ولما تعالى النهار وأفطر الركب غيمت السماء وأبرقت مطراً غزيراً وسارة الأرض كأنها نهر واحد...»[1] و«...وظللنا سائرين إلى العصر لأن الله أكرمنا بريح شمالية ولم يحبسنا الحر إلا قرب الزوال...» [2].

من خلال هذه الأدلة والإثباتات والبراهين يمكننا أن نصرح بأن الرحلة دُونت عبر الطريق، فبداية تأليف الرحلة هو بداية انطلاقها من مسقط رأس الشيخ " تنيلان" في10 جمادى الأخيرة 1188هـ، وإنهاء التأليف يكون عند وفاة الشيخ وهو في 29 صفر1189 أما عن المدة التي أُلفت فيها الرحلة فهي مدة سير الرحلة.

- **منهج وأسلوب المؤلف في تأليف الرحلة :**

1- منهج المؤلف:

إن المؤلف لم يشر في بداية الرحلة إلى الطريقة التي سيعتمدها في تقسيم وتبويب الرحلة ولا عن الشروط والمناهج التي يدوّن وفقها هذه المخطوطة، إلا أن الدارس والمتمعن يدرك حقيقةً أن الرحلة لم تكن في شكل سرد قصصي خالٍ من أي خطة منهجية يمكنها أن تضبط وتقيد أحداث هذه الرحلة في تسلسل وترابط حلقاتها, بل أن المؤلف اعتمد على مجموعة من القواعد والمناهج التي أضفت على أحداث ووقائع الرحلة صفة العلمية وإن لم يصرح بها في مطلع الرحلة، وأهمها :

- اعتمد المؤلف في بداية رحلته على مقدمة بيّن فيها سبب رحلته التي كانت من أجل تأدية شعيرة الحج إلى البقاع المقدسة، وكيفية التحضير للسفر وبهذا يكون قد مهّد وقدّم لما هو مُقبل عليه دون الدخول مباشرة في صلب الموضوع .
- إبراز المعالم والحدود الجغرافية الهامة والمتعارف عليها في تلك الحقبة الزمنية "القرن الثامن عشر الميلادي" التي هي بمثابة التقسيمات المنهجية المعتمدة عند المؤلف في الرحلة مثل " صحراء فزان"، "ريف مصر"، "بداية تأدية مناسك الحج" [3] وذلك بتواريخها .
- لم يتعرض المؤلف بالحديث إلى كافة المناطق والقرى وكل ما صادفه في الطريق التي مر بها وإنما اقتصر فقط على ذكر المهم والمشوق منها دون الأمور الثانوية التي لا فائدة من ذكرها, ولهذا جاءت رحلته قصيرة ومركزة دون السرد الممل والمخل للمبنى والمعنى للرحلة .

---

[1]- نفسه، ن2 ،ص 07.

[2] - نفسه ،ص 04

[3] - نفسه ،ص 09، 15،ن2 ،ص 08.

- وصف المناطق المهمة والتي أثارت إعجابه بشكل تفصيلي – وكثيراً ما كان ينبهر المؤلف بالمستوى الثقافي للشعوب سواء من الناحية الايجابية أو من الناحية السلبية – مثل قرية "سوى" و" القاهرة" و"وجلة" [1] أما المناطق العادية والمشهورة فيذكرها دون تعقيب عليها مثل "مناطق الحجاز"[2] بالإضافة إلى التركيز على منابع المياه ووصفها وصفا دقيقاً من حيث المرارة والحلوة والملوحة مثل "ماء بندر الإلزام" الذي وصفه بالقبيح، وأما " ماء القبط" و"بيرم السلطان" فهما من أطيب مياه الدرب[3] وهذا راجع إلى أهمية المياه بالنسبة للرحلة، كما أننا نلمس من خلال هذه الأوصاف وكأن المؤلف يكتب ويدوّن لقوافل الحجيج القادمة من بعده فيوضح ويشرح تفاصيل الطريق مركزاً على منابع المياه .
- يركز المؤلف في الطُرق التي يوجد بها السكان على خصائص الشعوب ومميزاتهم الثقافية والحضارية ومستوى معيشتهم وأمنهم, مثل "قرية زويلة"[4] أما المناطق الخالية من السكان فيصف فيها المظاهر الطبيعية وصفاً دقيقاً .
- مراعاة التسلسل الزمني والسرد الكرنولوجي لأحداث الرحلة مع التركيز على التواريخ دون خلط أو تقديم أو تأخير لمناطق على أخرى, أو وجود متناقضات في الأماكن الجغرافية التي يمكنها أن تفقد الرحلة مصداقيتها العلمية والمنهجية .

2- **أسلوب المؤلف** :

اعتمد المؤلف في تدوين الرحلة على لغة جميلة واضحة يفهمها العام والخاص وأسلوب بسيط يستمل القارئ دون حشو أو تكرار ممل مثل قوله : «...ولما تعالى النهار وأفطر الركب غيمت السماء وأبرقت مطراً غزيراً وصارت الأرض كأنها نهر واحد...»[5] وأما عبارات النص فتراوحت بين القصيرة والطويلة ومصطلحاته بين الجزالة والبساطة، كما أنه اقتفى أثر العلماء المغاربة في تدوّين الرحلة من الناحية الأسلوبية، ذلك أن هؤلاء العلماء لم يستخدموا أسلوبا راقياً جدا[6] مقارنة مع مؤلفاتهم الأخرى التي كانوا يستعملون فيها عبارات قوية المعنى بليغة الأسلوب، غرضهم في ذلك هو الاستمتاع بها عند العودة مع الأهل والأحباب، فلو كُتبت بلغة جزلة يفقدها ذلك عنصر التشويق والإثارة وتصبح مادة علمية جافة، وهذا التبرير هو مجرد احتمال يمكن أن نبرر به غرضهم، وقد تكون

---

[1] – القاهرة، وسوى من الناحية الايجابية أما وجلة من الناحية السلبية ،نفسه ص، 15،14،13.

[2] – نفسه ن2 ص 08-09.

[3] – نفسه ن2 ص07 .

[4] – نفسه ،ص 11.

[5] – نفسه ،ن2 ص 07.

[6] – يتضح هذا الأمر في مجمل الرحالة المغاربة وهو ما جعل المحققين لهذه الرحالة في بعض الأحيان يفردون فهرساً خاصا بالكلمات المبهمة والمستعملة باللهجة العامية :ينظر مثلا محمد (بن احمد القيسي)، المرجع السابق،ص 193.

هناك تفسيرات وتبريرات أخرى أكثر توضيحاً للسّبب الذي جعل التواتيين خصوصا والمغاربة عموماً يهتمون في تدوّين الرحلة بالمعنى دون الإطار الشكلي للمضمون، وحتى نكون أكثر موضوعية فأسلوب الرحلة لا يعكس شخصية المؤلف والمستوى الثقافي والفكري والعلمي مثلما تعكسه مؤلفاته الأخرى خاصة الفهرسة[1] التي تمتعت بأسلوب راقٍ.

ب- نقد محتوى الرحلة

استهل المؤلف رحلته بمقدمة مسجوعة حيث حمد الله في أولها على توفيقه لأداء فريضة الحج وأثنى بالصلاة على النبي ❐، اقتداءً وتيامناً بحديث الرسول ❐ عن أبي هريرة رضي الله عنه :« كل كلام لا يبدأ بالحمد لله فهو أجذم»[2] وبعدها شرع في تبيان السبب الذي كان وراء الرحلة وهما سببين مباشرين أوردهما المؤلف.

- تَحرّك همة الأخوين سيد عومر بن سيدي عبد الرحمان وابن عمه إدريس بن سيدي عومر لأداء فريضة الحج واستشارة الشيخ في ذلك فكان جوابه الجد والحرص في ذلك.
- الطلب الذي جاء من سيد عومر بن سيدي عبد الرحمان وابن عمه إدريس بن سيدي عومر إلى الشيخ وهو المرافقة إلى البقاع المقدسة.

لكن الشيخ اعتذر بسبب نقص المال وهو ما عبّر عنه بقلة ذات اليد فالتزم الأخوان بتسديد نفقات الحج فقال :«... إن وجدت سلف مائة مثقال...»[3]، ولما حان موعد الحج استأجر الأخوين، فخيره إدريس بن سيد عمر, بين أن يسلفه المبلغ كله- مائة مثقال- [4] وبين أن يعينه بنصف المبلغ تبرعاً منه، فشكره وأثنى عليه واختار الإعانة بنصفها وهذا ما يوضح لنا الحالة الميسورة التي كان يعيشها الشيخ لاختياره التبرع، ثم شرع الجميع في التجهيز للرحلة, وإعداد العدة للسفر على أمل أن يكون ذلك في الموعد المحدد للرحلة.

1- الطريق من تنيلان إلى عين صالح

كانت بداية الرحلة يوم الجمعة 10 جمادى الأخيرة 1188هـ مساءاً بعد توديع الأهل والأحباب في تنيلان, ومغادرتها ليحط الركب في تمنطيط عند الاصفرار قصد التزود وشراء مستلزمات السفر من أسواقها والمبيت فيها، وفي الصباح اتجهت الرحلة صوب الشرق الغربي لتوات الوسطى, وقبل بلوغ الحدود الشرقية من توات الوسطى انحرفت الرحلة عن مسارها وأخذت طريقها من قرية "بوعلي" الواقعة في وسط توات الوسطى إلى بلاد تدكلت(توات الشرقية) التي طال المكوث فيها أكثر من أسبوع، نظراً لحسن الضيافة وحفاوة الاستقبال من طرف

---

[1] - عبد الرحمان (بن عمر التنيلاني)، **الفهرسة**، المصدر السابق، ص77.

[2] - أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني، **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، باب استحباب خطبة النكاح، ج3، دار الكتب العلمية ،ص ص 322-323.

[3] - عبد الرحمان بن عمر التنيلاني الرحلة المرجع السابق ص 01.

[4] - يمكن أن نستنتج من هذا المبلغ تكلفة الحج وقد تزيد على ذلك آو تنقص بقليل.

أهالي تلك المناطق، ومنها "زاوية أبي نعامة" حيث أورد أنه هو من أحيا فريضة الحج من بلاد توات والتكرور[1]، فهي كانت مهجورة قبل هذا التاريخ وكذلك محطة "زاوية سيد أبي الأنوار" و"أولف الأشراف" ثم "اقبلي".

وبعد الانتهاء من بلاد توات توجه الركب إلى عين صالح عبر طريق الغابة[2] ودخلها الركب يوم 1رجب 1188هـ وأقاموا فيها إلى يوم5 رجب 1188هـ وأشار الشيخ إلى حسن الاستقبال الذي حضي به من أعيان عين صالح منهم "سيدي أحمد بن الفقيه" و"الحاج إبراهيم" و"السيد محمد بن الحاج" و"الحاج عبد الله" من أولاد الحاج .

2- الطريق من عين صالح إلى فزان :

إن الطريق الواصل بين عين صالح وصحراء فزان ركز المؤلف فيها على مجموعة من الخصائص الجغرافية فوصفها وصفاً دقيقاً، ويعود السبب في ذلك إلى عدم وجود السكان في هذه المناطق، خلافاً للطريق الواصلة بين توات الوسطى والشرقية التي كثر الحديث فيها عن تعاملات السكان وأخلاقهم ومدى استجابتهم لركب الحجيج وتقصيرهم في ذلك. وتركز وصفه على منابع المياه والوديان الجارية والجافة، والنباتات، والمرتفعات، بالإضافة إلى الأحداث التي كان يتعرض لها الركب وهي كالأتي :

- ✓ **منابع المياه** :إن مثل هذه المنابع يمكننا أن نستشف من خلالها تلك الألغاز الصحراوية التي كثيراً ما يقف العقل عاجزاً عن تصديقها، فكيف يستطيع الركب أن يستمر في رحلته من غير المنابع المائية الموجودة بين المحطتين على الرغم من بعد المسافة، ومن جملة المنابع التي أوردها المؤلف وهي على الترتيب من عين صالح إلى فزان "بئر الصم، حاسي الشب، حاسي البلي (يورث إسهالاً مفرطاً)، ماء تحجاوت، ماء جلكم، ماء تكت، ماء الجان، ماء دجن، ماء ميجور، ماء أزوا، ماء أجراشكاش، ماء البض، ماء أجيج"
- ✓ **الوديان الجارية والجافة**: أهم الوديان التي أوردها الشيخ في هذه الطريق وادي كان، واد موسى، غدير أمكيد، واد تنورت، واد تدمايت، واد أنفي، واد تنقرير
- ✓ **النباتات الموجود فيها** : شجر الحاد الأسود، الشبرق، والأرطبى، والدفلى، غرسان والغرسات المقصود منها النخيل، شجر الأثل، الحلفاء، ديس.

---

[1] – هذه المعلومة المهمة انفرد بها الشيخ في مخطوطه هذا أما المصادر الأخرى فتسميه شيخ الركب فقط .

[2] – يريد المؤلف من ذلك الطريق الجنوبي الذي يقع تحت الأقاليم التواتية وقد كان غالبية حجيج توات يمرون به وهو سهل يسير على الطريق الشمالي المار من المناطق التواتية الشمالية بحيث يبدأ من تسابيت ثم اوقروت ومنها إلى توقرت وورقلة وغير ها وقد شهد الرحالة المغربين بذلك ومنهم محمد ابن احمد القيسي في كتابه انس الساري والسارب حيث يقول «....وسلكنا طريق تدكلت أسفل بلاد توات وهذا الطريق اقرب من الأولى وأسهل منها...» ينظر محمد (بن احمد القيسي)،، المصدر السابق، ص 133.

✓ **الملامح الجغرافية:** إن المدة[1] التي استغراقها الركب في هذه الطريق تدل على العقبات الطبيعية الموجودة فيها، والمؤلف لم يذكر أسماء هذه العقبات التي كانت تعترض الحجيج, وإنما كان يشير إليها بأسماء المياه القريبة منها مثلاً عند انقطاع وادي بحان توجد هناك جبال، وبين وادي نتقرير وماء جلكم الطريق صعبة والسير فيها إلا بمشقة كبيرة، والطريق الموجودة بين ماء جلكم وماء نكت وصفها بأنها ضيقة ...[2] .

إن المتمعن في هذه الطريق يدرك حقيقة جلية مفادها أن هؤلاء الحجيج يتحملون مصاعب الطريق، وعقبات الطبيعة القاسية وانعدام الأمن، وقلة منابع الماء من أجل قضاء شعائرهم الدينية وتأدية واجباتهم الشرعية، إن دلّ هذا على شيء إنما يدل على تمسك الفرد التواتي بعقيدته وواجباته وثقافته الفكرية والإسلامية التي استطاع الإنسان التواتي أن يضحي من أجلها, بأعز ما يملك من نفسه وماله ووقته كما أن مثل هذه الرحلات كانت تستغل في الحصول على الإيجارات, وأخذ الأسانيد ومعرفة زيارة العلماء وفي بعض الأحيان حتى في التجارة وهذا من باب ازدواجية النية[3].

3- دخول الركب إلى فزان الليبية

إن الشيخ في الطريق التي بين عين صالح وأبار قد ركز فيها على الملامح والأوصاف الجغرافية لعدم وجود السكان بها، أما الطريق الآخر الممتد بين أبار –أول قرى فزان– إلى ريف مصر قد ركز فيها على وصف المدن والقرى والمداشر وذلك لوجود الأجناس السكانية فيها، كما أنه لم يتعرض للأوصاف الجغرافية إلا ناذراً في هذا الطريق، ومن أهم المدن والقرى التي أشار إليها المؤلف وهي كالتالي حسب التسلسل الجغرافي لها من الغرب إلى الشرق .

- **أبار**[4]: وصف المؤلف طريقة استقبالهم للحجيج في شكل مهرجان شعبي ويطلقون أصوات البنادق احتفاء وفرحاً بالضيوف خاصة وأنهم حجيج، كما ذكر الطعام الذي قدم لهم وهو "الخميرة"[5]، ووصفهم بأنهم لا إدام عندهم[6]، والجدير بالذكر هنا هو تلك المقايضة التي حدثت بين الركب التواتي ومختلف شرائح سكان هذه القرية،

---

[1] – المدة التي استغرقها الركب من يوم الاثنين 5 رجب 1188هـ إلى يوم السبت 9 شعبان1188هـ

[2] – يرجى العودة إلى عبد الرحمان (بن عمر التنيلاني)، المصدر السابق، ص03– 09.للمزيد من التعرف على هذه الملامح الجغرافية وهي مشاق ومصاعب كان تعترض سبيل الحجيج في طريقهم إلى البقاع المقدسة

[3] – كان الحجاج التواتيون وخاصة القياد منهم في أغلب الأحيان يرفقون في رحلاتهم الحجازية بمجمل البضائع التجارية قصد التزود بمرددتيها في مواد أخرى وقد كانت كمهنة رسمية عند البعض منهم خاصة في منطقة غات ومرزق وغيرها ينظر:فرج محمود فرج ،المرجع السابق،ص 92.

[4] – عبد الرحمان (بن عمر التنيلاني)، المصدر السابق ص 09.

[5] – الخميرة: هي آكلة محلية مشهور عند التواتين تستعمل مثل الخبز اليوم وتتكون من الدقيق وبعض التوابل الأخرى من الدقيق

[6] – كناية على عدم وجود اللحم أو الدهن عندهم .

وتتمثل في أخذ التمر والزرع والدجاج والخبز وهي مواد متوفرة في المنطقة التواتية، ولكن لا يمكن أخذ الكمية الكافية لأنها مواد أساسية وتُستهلك كل يوم، أما السكان الأصليون فكانوا يأخذون الحناء، والكحل، والخِرق البالية[1] وهي أعظم رغبةٍ عندهم لقلة اللباس، وهذا يوضح لنا المبادلات التجارية التي كانت تقع بين قوافل الحجيج التواتية وغيرها من القوافل الأخرى .

- **قرية أججم:** وهي القرية الثانية التي زارها الركب ووصفها بأنها أكبر قرى فزان، وأكثرها عمارة وخيرات وأجودها تمراً مقارنة مع سابقتها.
- **قرية تساوي:** وتأتي هذه القرية بعد ذكر مجموعة من القرى التي أوردها المؤلف ذكراً لا وصفاً ومنها "قرية أوتش"، و"قرية أبريا"، و"قرية أمتو نتريك"، "قرية تكركيب"، هذه الأخيرة التي التقى فيها الركبان التواتيون الذاهب والعائد، وكان العائد ركب "أحمد البكاي بن الشيخ أبي النعامة" ومعه حجيج عين صالح، أما عن قرية "تساوى" التي نحن بصدد وصفها فقد أشار المؤلف إلى "الرمان" المتوفر عندهم بكثرة وإلى طريقة استقبالهم للحجيج بحيث يخرجون في جمع من الأهالي والعلماء ومن بينهم الصالح "سيدي الحاج محمد بن الحاج عبد الله" الذي عقد معه الشيخ الأخوة في الله،

كما أن المؤلف انتقدهم في القبر[2] الموجود في مقبرتهم التي زارها الشيخ .

- **قرية مرزق:** وتميزت هذه القرية في تقاليد استقبالها للوفود المارة إلى الحج، فيلتقي مختلف سكانها الركب وفيهم أميرهم فينصبُ له كرسي وعلى رأسه رايتان، وبعد الجلوس يشرع في مصافحة أهل الركب ولا يزيد على المصافحة شيء ،وينطلق سباق الخيول في شكل احتفالي وفي النهاية يعود الجميع إلى الديار.
- **قرية انزغن:** وهي أكثر وأجود قرى فزان تمراً، والمؤلف كان قد أشار إلى أن" قرية اججم" هي أكثر وأجود هذه القرى تمراً، مما يبين لنا بأن المؤلف كان يذكر ذلك مقارنة مع ما سبقها وليس تناقضاً كما يتبادر إلى الذهن منذ الوهلة الأولى وفي هذه القرية لحق ركب "محمد بن الشيخ أبي نعامة" الذي كان ركب المؤلف ينتظره .
- **قرية زويلة:** يفصل بين زويلة وقرية انزغن "منطقة الحمراء" ولكن المؤلف لم يتعرض لها بالوصف وإنما اكتفى بذكرها فقط، وفي حديثه عن زويلة ذكر بأنها قاعدة فزان في القديم وأن بها سبعة قباب زعم أهلها أنها قبابُ من افتتحها من الصحابة والتابعين انتقدهم المؤلف فيها[3], وفيها اجتمع الشيخ مع بعض طلبتها يسألونه عن مسائل عدة، فمنهم من يسأله مستفيداً، ومنهم من يسأله امتحاناً للشيخ على إمكانياته وقدرا ته العليمة

---

[1] – يقصد المؤلف بذلك الملابس التي تم استخدامها ويدلنا هذا على الصناعة النسيجية المتوفرة في منطقة توات حتى أصبح التواتيين يبيعون القديمة التي مازلت تصلح لاستعمال ويلبسون الجديدة لتوفرها وكثرتها كمّا ونوعية

[2] – القبر الموجود في هذه القرية طوله خمسة عشر ذراع ويدّعي السكان أنه قبر نبي وعليه خط دائري وأن هذا الخط لا تمحوه رياح ولا مطر مع العلم بأنه في أرض رملية. ينظر عبد الرحمان (بن عمر التنيلاني)، الرحلة، المخطوط السابق، ص 11.

[3] –انتقاد المؤلف يتمثل في عدم تعين أسماء هؤلاء الصحابة والتابعين الموجودين في هذه القبور

وبعد هذه القرية يشرع المؤلف في ذكر المناطق التي حل بها ذكرا فقط عدا بعض الأوصاف القليلة، ويرجع السبب في ذلك لاحتمالين هما إما لعدم وجود ما يستحق الوصف في هذه المناطق أو اختصاراً للرحلة ومن أهم المناطق التي أوردها : "أم الأفاعي" و"قرية تمس"و" طريق الهاروج"[1] بنوعيه الأبيض والأسود وفيه أحجار والتواءات وطلوع وهبوط إلى أن يصل الركب إلى "ماء زلطا" الذي توجد به مرارة ومنه إلى قرية "واجلة" .

- قرية أوجلة: وصفهم المؤلف بأن أخلاقهم سيئة وأن أهلها في غاية المشاكسة وقلة الأمانة، ولم يطب للركب البقاء فيها سوى ثلاثة أيام ومغادرتها.
- قرية جلو:عرفها الشيخ بأنها أخصاص مبنية بالجريد لا جدار فيها إلا مخازن للتمر ووصف نخلها بالجيد ويشبه نخل قرية انزغن، وبعد هذه القرية يأتي على ذكر بعض المناطق والأماكن قبل الوصول إلى قرية "سوى" وهي "القرود" التي وصفها بأنها رحال منها موضع يسمى "الصنك" وآخر يسمى "لم الألواح" بالإضافة إلى "خطية الجوداوى" و"خطية الككم" وغيرها من الأماكن والمناطق إلى أن يصل الركب إلى قرية سوى.
- قرية سوى: وصفها بأنها قرية كثيرة العيون وتمرها من أحسن التمر وأهلها لا بأس بهم يولون أمورهم لأثني عشر من شيوخهم ولهم سياسة وشهامة لا ينازعهم فيها أحد من عرب مصر ولا طرابلس.
- قرية أم الصغير: يفصل بين هذه القرية وبين سوى و"واد أم هموا" وهي قرية صغيرة سكانها أصلهم من مدينة برنو الإفريقية. وأشار المؤلف الى العديد من منابع المياه الموجودة في هذا الطريق ومنها: ماء زلطا الذي توجد به مرارة، واد قطمير، واد الطرفاوي ومائه فيه ملوحة، ماء بخطية الغزوالية، واد أم هموا، وماء اليهودية[2] .

4- دخول الركب إلى ريف مصر

كان دخول الشيخ إلى مصر عبر قرية كرادس المصرية[3] الواقعة في الحدود المصرية الليبية في يوم الأحد 11/شوال 1188هـ وبعدها عبر الركب النيل للدخول إلى القاهرة كمحطة أولية يستقر فيها الركب من مصر، وبمجرد دخوله إلى القاهرة تاه الشيخ بسبب كثرة الزحام الذي كانت تشهده القاهرة في هذه الفترة واختلاط الناقة التي كانت تحمل الأمتعة بالجمال التي فصلت بينه وبين أصحابه، كان يظن أن ناقته معها ،لكن ظنه خاب بعد أن فقد أصحابه، واسترسل الشيخ في سرد وقائع الحادثة[4] التي ألمت به إلى أن وجد أصحابه.

---

[1]- هذا الطريق عبارة عن جبال متلاصقة مع بعضها البعض المؤلف ذكر بأنها طريق صعبة يمكن الرجوع إلى عبد العزيز (صريح شرف)، **جغرافية ليبيا** ،مركز الإسكندرية للكتاب ط2، مصر، 2008م، ص 82

[2] – هذه المنابع المائية هي فقط التي تقع بين القرى في الأراضي الخالية التي أوردها المؤلف، أما في المدن فانه لا يشير إلى منابع المياه بل يعتمد على مياه القرية المقيم فيها

[3]- إبراز الشيخ المعالم الجغرافية المهمة التي يمكن من خلالها تجزئة الرحلة إلى تقسيمات منهجية وهو ما اعتمدت عليه في تبويب الرحلة ينظر قسم التحقيق .

[4] – للمزيد من التعرف على الحادثة يرجع إلى عبد الرحمان بن عمر التنيلاني المرجع السابق ص 15-17.

ما يمكن أن نستشفه من خلال هذه الحادثة هو الأحوال الاجتماعية للمجتمع المصري ومنها النهوض باكراً مثل قوله لم اكتحل بنوم حتى قرب الفجر وابتدأ الناس المرور في الزقاق[1] وحسن الضيافة والاستقبال، كما أن الشيخ أعجب كثيراً بتلك المزارات التي شاهدها في القاهرة؛ ومن بينها الإمام الشافعي ورأس الحسين والسيدة نفيسة وغيرهم.[2]

ولما خرج الركب من القاهرة وعند مجاوزته "بندر عجرود" تعرض إلى قُطّاع الطرق فأخذوا ثلاثة جمال، وواصل الركب طريقه إلى "صحراء التيه" وهناك التقى بالركب الشامي فتسوق منه الركب التواتي وبلغ الركب "عقبة أيلة" التي يضرب بها المثل في الشدة عبر درب الحجاز سواء من ناحية السكان القاطنين هناك أو من العقبات الموجودة فيها، ويقتصر المؤلف على ذكر المناطق ومواصفات مياهها إلى بداية تأدية مناسك الحج ومنها "بندر المليح" و"بيرم السلطان" ومائه طيب، و"بندر الإلزام" ومائه أسوء مياه الدرب، و"بندر الوجه" وآباره أطيبها أعلاها، و"الحوراء" ومائها متوسط بين الملاحة والحلوة،"القبط" ومائه من أطيب مياه الدرب ،و"الينبوع" وكان المقام فيها مع الركب المصري والتونسي.

5- بداية مناسك الحج :

عند دخول الركب إلى "قاع البزوة" والذي كان في شهر ذي الحجة 1188هـ بدأ الشيخ في تأدية مناسك الحج المفتتحة بركعتي الإحرام، وبعدها انتقل الركب إلى "عقبة السكر" ثم إلى "عسفان" ومنه إلى المسجد الحرام الذي دخله الركب من باب الشبكة عند تعذر الدخول من باب السلام وشرع الشيخ في تأدية مناسك الحج، أما الإقامة فكانت في بيت حفيد الإمام الحسن العجمي بدون كراء، وفي اليوم الثامن خرج الشيخ إلى "منى" وبات بها الركب إحياء لسنة المصطفى وهذه السنة كانت مهجورة كما ذكر الشيخ في هذا الزمان وفي صبيحة يوم التاسع خرج الركب إلى "عرفة" وبعدها شرع الشيخ في عرض المناطق الموجودة في أرض الحجاز والتي مر بها مثل بدر، واخليص ،والجديدة، وآبار علي،ورابغ ومنها دخل إلى المدينة المنورة يوم الخميس 7 محرم 1189هـ وزار الركب قبور الشهداء مثل قبر سيدنا حمزة[3] وفي طريق العودة يشير الى نفس المناطق التي أشار إليها إلى الذهاب إلى أن

---

1 – عبد الرحمان بن عمر التنيلاني الرحلة المرجع السابق ص

2 – من بين المزارات التي أعجب بها كذلك ابن وهب، وابن القاسم ،نفسه، ص 18.

3 – لم يشرح المؤلف مناطق الحجاز شرحاً مفصلاً مثل ما فصل في المناطق الأخرى وأنما اكتفى بذكرها ويعود ذلك إلى شهرتهم

يقول ودخلنا القاهرة[1] وختم المؤلف رحلته بحديث شريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه»[2] .

ثالثاً الأبعاد التاريخية للمخطوط:

تكتسي الرحلة الحجازية المدروسة بعدا تاريخياً يمكنه أن يكشف لنا عن مجموعة من النقاط الغامضة في سواء في التاريخ المحلى أو العربي والتي كانت توضع أمامها علامة استفهام لإبهامها ولقلة المادة المعرفية الكافية لدراستها وهي على شاكلتين :

1- الأبعاد العامة للمخطوط:

يعتمد المهتمين بأدب الرحلات في دراسة أي رحلة، على دواعي الرحلة مهما كان نوعها حتى يتسنى لهم فهمها واستيعابها ومعرفة مدى أهميتها الأدبية والتاريخية، والرحلة المدروسة يمكن أن نلمس فيها داعيين أساسين: الأول واضح ويمكن الجزم به لأن المؤلف صرح به وهو تأدية فريضة الحج[3] أما الداعي الثاني وهو الذي كان وراء تدوين الرحلة ولا يمكن الجزم به؛ فيمكن رده إلى تلبية طلب الأصدقاء والأقرباء منه هذا الأمر، أو إفادة القراء والاستمتاع بها، أو الاهتداء بها في رحلات لاحقة[4].

1. اتضحت فيها معالم الرحلة بالمعايير والموصفات التي كانت معهودة عند الرحالة العرب, وهذا ما يؤكد لنا بأن التواتيين عرفوا هذا الفن بكل مقاييسه وأنواعه, ولو أن الغالب على الرحلات التواتية أنها كانت علمية وحجازية، والرحلة المدروسة تأكد ذلك فهي لا تقل أهمية عن رحلة العياشي ورحلة محمد بن احمد القيسي- أنس الساري والسارب- وغير ها من الرحلات المغاربية ولا نبالغ إن قلنا بأنها دقيقة نوعا ما، خاصة من الناحية الجغرافية [5]

---

[1] - طريق العودة من الحجاز إلى القاهرة لم تشر إليه النسختان ويحتمل أن يكون المؤلف لم يكتب عن الكثير لان الورقتين الأخيرتين تدلان على ذلك أو كتب في أوراق لم يعثر عليهم النساخ كما أنه لم يشرح المؤلف مناطق الحجاز شرحاً مفصلاً مثل ما فصّل في المناطق الأخرى وأنما اكتفى بذكرها ويعود ذلك إلى شهرتها في الأرجح.

[2] - محمد بن إسماعيل (البخاري)، **صحيح البخاري**، ج5، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، تح : مصطفى،ديب البغا، ط3، دار ابن كثير بيروت، 1987م، ص 2272.

[3] - عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، الرحلة المصدر السابق، ص01.

[4] - هذا الداعي الأخير قد يكون أرجح الدواعي عند المؤلف ونجد عند العياشي في رحلته أنه يعتمد على رحلة شعرية سبقته أو ان من معه كان يكتب هذا الشعر حيث يقول في أحدى منازله في درب الحجاز وهو قرب واد مكيدن

واد مكيدن ما نعطش فيه كل يوم نجئ على ما

ينظر أبو سالم (العياشي)، المصدر السابق، ج1، ص107.

[5] - للتأكد من ذلك يرجى المقارنة بين الرحلة والرحلات الأخرى من الناحية الجغرافية – المناطق ،الأحوال الجوية ،المرتفعات والمنخفضات وغيرها - خاصة في الطريق الواصلة بين توات إلى مصر وإحصاء المنطقة الجغرافية الموجود في الرحلة وبين الناطق المذكورة في الرحلات الأخرى .

2. مزج التواتيين بين فنين عرفا تطورا كبير وهما: فن الرحلة وفن الفهرسة نذكر منها فهرسة عبد الرحمان بن عمر التنيلاني التي هي في الأصل عبارة عن رحلات قام بها المؤلف إلى أروان وسلجماسة وفاس[1] وعالج فيها أهم شيوخه بتراجم وافية ونادرة هو ما أعطاها صبغة الفهرسة [2] ونجد كذلك رحلة عمر بن عبد القادر التنيلاني التي توصل محققها إلى أنها فهرسة وليست رحلة [3] لكن وحسب ما أطلعت عليه فإن الأمر متعلق بالرحلات العلمية ،أما الحجازية فإنها خالية من التراجم والسير وهذا ما يمكن ملاحظته في الرحلة المدروسة فهي لا تورد تراجم ولا سير لعلماء وإن كان هذا فهو على سبيل الذكر فقط.

3. تمتاز الرحلة بفنها الإبداعي والأدبي في طابعها العام مثلما نلمسه عند العديد من الرحالة مثل ابن بطوطة والعياشي ومحمد بن أحمد القيسي ورحلة الورتلاني وغيرهم، فيستعملون في تدوين رحلاتهم الشعر الملحون والفصيح وبعض الأساليب البيانية واللغوية مما يزيد في صبغتها الأدبية, ويبقى الأمر بالنسبة لتاريخ مقتصراً على ما تذكره من وقائع تاريخية يمكن إضافتها إلى سجل الأحداث التاريخية، إلا أن هناك بعض الرحلات التي يبقى الجانب الأدبي مقتصراً على طابعها العام كونها رحلة، أما مضمونها فلا ينبئ عن فنها الأدبي ويمكن القول أنها تفيد في الجانب التاريخي أكثر من الجانب الأدبي وهذا الأمر نلمسه عند التواتيين كثيراً والرحلة المدروسة هي إحدى هذه النماذج، كما نلمس ذلك عند الشيخ مولاي احمد الطاهري في رحلته حول توات والتي هي عبارة عن كتاب معنون "بنسيم النفحات في أخبار علماء توات الثقات".

4. تهتم الدراسات المتخصصة في تاريخ توات سواء الفقهية أو اللغوية أو التاريخية بدراسة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني, لذلك تعد هذه الرحلة مصدراً مهما في التعرف على شخصه ومكانته العلمية وقدرته الإبداعية فهي تنبئ عن جوانب عدة يمكن القول عنها أنها كانت مجهولة عن الشيخ، كما أنها تكشف لنا عن مجال خصب كان يحبذه الشيخ وأبدع فيه وهو الترحال والتنقل الذي أفنى شبابه فيه.

5. تتميز الرحلات بكتابتها التاريخية الموضوعية الجادة في أغلب الأحيان، والرحلة المدروسة هي جزء من هذه الرحلات فتدوينها يدل على أنها عفوية دون تملق أو مداراة أو مداهنة لأي سلطان أو حاكم أو منطقة من المناطق مثل ما كانت الرحلات المغربية تكتب عن مناطق نفوذ سلطانهم أو عن المنطقة التي ينتمون إليها، وهذه الكتابات لا تمد إلى الحقيقة بصلة خاصة ابن بطوطة عندما يكتب عن المغرب بعد زيارته الهند والعراق وغيرها من الأقطار العربية والإسلامية فيقول "...فمثلت بين يدي مولانا الأعظم ... فأنستني هيبته هيبة سلطان العراق

---

[1] – هذه الرحلات لم يدون المؤلف عنها كثير وأنما ركزا على ترجمة شيوخه والإجازات التي منحة له

[2] – تواصل محقق هذه الرحلات بعد الدراسة والبحث إلى أنها فهرسة وليست رحلة يمكن العودة إلى عبد الرحمان بن عمر التنيلاني ،الفهرسة المصدر السابق،ص44.

3 – عمر بن عبد القادر التنيلاني، المصدر السابق، 72.

وحسنه حسن ملك الهند ...وشجاعته شجاعة ملك الترك...وألقيت عصا التسيار ببلاده الشريفة، بعد أن تحققتُ بفضل الإنصاف أنها أحسن البلدان...»[1]

6. ثم أن هذه الرحلة في حد ذاتها إرث ثقافي وحضاري بغض النظر عن قيمتها العلمية فهي تبقى رمزاً شاهداً على واقع علمي عاشته هده المنطقة عبر فترة زمنية محددة.

7. تعد الرحلة مصدراً مهماً في الكتابة على القرن الثاني عشر الهجري، إذ هي تشخّص لنا الحياة الاجتماعية في المجتمع التواتي، كما أنها تبرز لنا مدي أهمية تمنطيط في الاقتصاد التواتي وتعطينا صورة واضحة عن واقع التواتيين أواخر القرن الثاني عشر.

2- **الأبعاد الخاصة بالمضمون:**

أ- **الأبعاد الجغرافية:** يتفاوت تصوير الرحالة التواتيون لأنواع الطبيعة التي مروا بها إجمالاً ونستطيع أن نتبين نوعين في معالجتهم للطبيعة بصفة عامة ويرجع ذلك التفاوت إلى الحسن الجمالي لكل رحالة وحسب قدرات كل منهم على الملاحظة والوصف الدقيق؛ فبعضهم يتمتع بذوق نافذ، ولهذا جاءت رحلاتهم عبارة عن لوحات تصور مناظر الطبيعة، أما البعض الآخر فإنهم يهتمون أكثر بإبراز الطريق والمنازل التي مكثوا فيها هنيهة من الزمن, وكلُّما صادفهم من عوائق وصعاب فجاءت رحلاتهم عبارة عن أخبار علمية جافة تشبه كتب المسالك والممالك[2]، وإذا ما أسقطنا ذلك على الرحلة المدروسة فإنها أقرب إلى النوع الثاني منه إلى الأول فهي عبارة عن مادة علمية تاريخية محضة لا مجال للأدب فيها إلا طابعها العام، وفي هذا الصدد يقول عنها الدكتور أحمد أبو الصافي جعفري «...وإذا استثنينا تلك المقدمة التي أفتتح بها الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر التنيلاني رحلته، إضافة إلى بعض الفقرات في طياتها، فإن الرحلة بدت أقرب إلى التأريخ منه إلى نص أدبي راقي...»[3] .

تتجلى الملامح الجغرافية في الرحلة وذلك في إبراز العديد من المواصفات الجغرافية التي أوردها المؤلف في تدوين رحلته وهي على النحو التالي:

1. يوضح لنا مسار الرحلة مجموعة من الطرق أهمها الطريق المحلي الذي يمتد من وسط توات إلى قرية بوعلي ثم ينحرف باتجاه إقليم تدكلت وفيها يلتقي مع الطريق الرئيسي في قوافل الحجيج ,ويمر أسفل توات إلى سجلماسة وهو الطريق الذي سلكه محمد بن أحمد القيسي (ابن المليح) ويشير إليه بقوله: «وسلكنا طريق تدكلت أسفل بلاد

[1] – محمد بن عبد الله بن محمد (أبن بطوطة)، المصدر السابق، ج2، ص ص358-359.

[2] – مثل كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري وكذلك للأصطخري وغيره وهذه الكتب تميزت بطابعها الجاف والخالي من التطرق إلى جماليات الطبيعة من الأنهار والوديان وغيرها.

[3] – أحمد (أبا الصافي جعفري)، **الحركة الأدبية**، المرجع السابق،ج2، ص 148.

توات، وهذا الطريق أقرب من الأولى –يقصد بالأولى الطريق التي تمر من أعلى توات–[1] وأسهل منها فبلغنا بعد ثلاثة أيام مدشرة صغيرة يقال لها إن صالح...»[2]، ويجيبناً هذا القول عن السؤال الذي طُرح في سبب اختيار المؤلف هذا الطريق ومن وراءه حجيج توات الوسطى[3]، بالإضافة إلى عوامل أخرى مثل توفر منابع المياه والكلأ، أما الطريق الثانية في مسار الرحلة والممتدة بين عين صالح وفزان الليبية ويلتقي هذا الطريق مع طريق أزقر المشهورة بقوافلها التجارية وهي الطريق التي يلتقي فيها كل من الطريق المار أعلى توات وأسفلها وهذا حسب مقارنة بينما قاله المؤلف وبينما قاله محمد بن أحمد القيسي[4]، أما الطريق الثالث في مسار الرحلة والذي يمتد من فزان إلى القاهرة وهو الطريق الرابط بين المشرق والمغرب محوره الأساسي في القوافل التجارية قاعدة مرزق كأكبر قاعدة اقتصادية في بلاد فزان ويمر عبر العديد من المناطق في الصحراء الليبية، والقادم من توات سواءً من الأعلى أو الأسفل يمر به إلى القاهرة ويلتقي مع الطريق الشمالي[5] الأساسي في القاهرة، أما الطريق الرابع هو الذي يمتد من القاهرة إلى الحجاز مع العلم بأن هناك طريق كان يمرُ على بحر القلزم ومنه مباشرة إلى الحجاز[6].

2. **الأوصاف الجوية:** يشير المؤلف إلى بعض الأحوال المناخية التي تعرض لها الركب خلال الطريق ومن أهم تلك الأوصاف التي صادفت الركب عند خروجه من عين صالح حيث يقول المؤلف: «...وظللنا سائرين من يومنا إلى العصر لأن الله أكرمنا بريح شمالية ولم يحبسنا الحر إلا قرب الزوال..»[7]، ويقول عن بعض الأوصاف الأخرى

---

1 – إن هذا الطريق سلكه محمد بن القيسي عن ذهابه إلى الحجاز ويمتد من سجلماسة إلى تبلبالة ثم تسابيت ثم إلى أوقروت ومنها إلى أن يتلقي بطريق أزقر المشهور ثم منها إلى بلاد فزان ينظر محمد بن احمد القيسي، المصدر السابق، ص ص 30–31 ويوجد هناك طريق من أوقروت إلى توقرت ثم ورقلة وهو الذي سلكه العياشي: ينظر أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج1، ص 111. والملحق رقم 04.

2 – محمد (بن أحمد القيسي)، المصدر السابق، ص133.

3 – أما حجيج توكارين فقد أشار أبو سالم العياشي إلى أنه كانوا يسافرون في بعض الأحيان في الطرق الواقعة اعلي توات ينظر أبو سالم(العياشي)، المصدر السابق، ج1، ص111.

4 – يقول المؤلف «فنزلنا على ماء يقال له نكت ويوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب والتاسع عشر من إشتنبر وهو مجمع طريق أزقر ينظر عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، الرحلة، المصدر السابق، ص7. في حين أن محمد بن أحمد القيسي يقول عن خروجهم من أوقروت «... ثم مرحلة بعل بين هذه المدشرة وبين مدشرة أوقروت آخر بلاد توات من تلك الناحية أقمنا به يوما لتهيئ لدخول إلى صحراء المعروفة بأزقر...» ينظر محمد بن احمد القيسي، المصدر السابق، ص30.

5 – الطرق الشمالي هو الطريق الذي كانت تسلكه العديد من الرحلات الشمالية مثل أبن بطوطة وبعض الرحلات الجزائرية ويمتد من طنجة إلى تلمسان ومنها إلى الجزائر وتونس ...ألخ ينظر الملحق رقم:02.

6 – هذا الطريق سلكته بعض الرحلات الحجازية التواتية كما وردفي البعض منها

7 – عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، الرحلة، المصدر السابق، ص04.

في الحجاز «...ولما تعالى النهار وأفطر الركب غيمت السماء وأبرقت مطراً غزيراً وسارت الأرض كأنها نهراً ...»[1].

3. **المرتفعات الجبلية:** يتعرض المؤلف في رحلته إلى بعض المرتفعات التي كانت تعيق قوافل الحجيج, ومحذرا الرحلات القادمة منها, نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر جبال الهاروج التي عان الركب فيها وهي في الطريق الممتدة في صحراء فزان حيث يقول المؤلف عنها: «... نزلنا قرية تمس وأقمنا بها الثلاثاء والأربعاء وارتحلنا منها يوم الخميس الخامس من رمضان والثاني من نوفمبر سالكين طريق الهاروج لما بلغنا أن غدران ماء بها فاكترينا من يدلنا عليها...ويوم السبت رحلنا إلى قرب الهاروج الأسود فدخلنا فيه يوم الأحد وسرنا في عقبات وأحجار والتواء وطلوع وهبوط أنسانا ذلك ما لقيناه في طريق أزقر...»[2]، ومن بين المرتفعات كذلك بل وأكثرها شدة وصعوبة وهي عقبة أيله والموجودة في آخر الحدود المصرية من الناحية الشرقية يقول عنها المؤلف :«...ثم رحلنا منه وقطعنا العقبة الهايلة التي يضرب بها المثل في الوعرة وشدة الخوف...»[3].

ب- **وصف المدن والقرى:** ركز المؤلف على وصفها بشكل كبير ويذكر الأسماء الخاصة بها, عدا بعض المناطق التي لم ترد باسمها عند الرحالة الآخرين مما يوحي بأن المؤلف كان يدرك حقيقة الطريق ولتجنب التكرار فإن المدن والقرى سبقت الإشارة إليهم[4].

ت- **الأبعاد الاجتماعية:** اعتنى الرحالة عبد الرحمان بن عمر التنيلاني بالأمور الاجتماعية عناية شديدة فاقت عنايته بالأمور الأخرى, ولهذا اكتسبت رحلته صبغة خاصة جعلتها مصدراً لا يستغني عنه المؤرخين المتخصصين، ولنبدأ بالحديث عن المظاهر الاجتماعية المستنبطة من الرحلة في منطقة توات, حيث يوضح المؤلف مع مطلعها الحوار الذي جرى بينه وبين سيد عمر بن سيدي عبد الرحمان وإدريس بن العلامة سيدي عمر مفاده ونتيجته هو حصول عبد الرحمان بن عمر التنيلاني على المبلغ المخصص للسفر إلى الحج كما يتضح من خلاله مدى الترابط بين أفراد المجتمع وإحساس الفرد التواتي بأخيه في أصعب الظروف[5]، ويصور لنا الرحالة من خلال هذا الحوار أن المجتمع التواتي مجتمعاً متديناً، وعند انطلاق الرحلة يشير المؤلف إلى أهم المحطات التي مر بها مشيراً إلى مدى استجابة وتقصير السكان في الضيافة وحسن المعاشرة, ويوضح لنا المكوث الذي طال في المحطات التواتية مدى استجابتهم لوفود الحجيج، وتُقدّر المدة التي استغرقها المؤلف في الأقاليم التواتية بخمسة وعشرين يوماً تقريبا وقد أشار المؤلف إلى مجموعة من الشخصيات التي رحبت به أثناء الطريق في كل محطة أقام فيها .

أما المجتمع الليبي فإنه ركز على عوائده في استقبال الحجيج وبعض العادات التي تخص معتقداتهم ومستواهم المعيشي، فمنها ما أشاد بمستواها المعيشي وسياستها مثل قرية "سوى" حيث يقول عنها :«... وأهلها لا بأس بهم

---

1 - نفسه، ن2، ص07

2 - نفسه، ن2، ص12.

3 - لمزيد من التعرف وللتوضيح أكثر عقبة أيله يرجى العودة إلى قسم التحقيق ص

4 - يرجى العودة إلى نقد المضمون .

5 - للتعرف على مجريات الحوار يمكن العودة إلى ن1، ص01.

يولون أمورهم لأثني عشر من شيوخهم ولهم سياسة وشهامة لا يحسدهم عليها أحد من الأعراب...»[1] ووصف البعض منها بتدني المستوى المعيشي كقرية "أبار" التي يقول عنها :«...وأكرمونا بالخميرة إلا أنهم لا أدام عندهم...»[2]، ومنها كذلك قرية "وجلة"، وتختلف عوائد كل قرية عن أخرى مما يوحي بأن القرى لم تكن متحدة فيما بينها في الفترة المدروسة .

وبعد وصول الشيخ إلى مصر وعبوره النيل إلى القاهرة وقعت له واقعة، تمثلت في إضلاله الطريق فلم يجد الركب بسبب الناقة التي كان يظن أنها مرت مع قطيع من الإبل المصرية خلال الزحام الذي كان موجود في القاهرة آنذك[3]، ولما تأمل الشيخ القطيع لم يجد الناقة ولا الركب، وبات الشيخ في إحدى مساجد القاهرة وقُبيل الفجر بدأ الناس المرور[4], وهو ما يوضح لنا بأن المجتمع المصري كان مجتمعاً نشيطاً، وفي ذلك اليوم يجد أصحابه ويستمر الركب إلى أن يصل إلى "بندر عجرود" القريب من عقبة "أيله" وفي هذه المنطقة تعرض قُطّاع الطرق إلى الركب وأخذ ثلاث جمال، ويصور لنا الرحالة بأن سكان هذه المناطق يغلب على طابعهم السلب والنهب والاحتيال مثل عرب "بدر" ولكن الركب مر بهذه الطريق بسلام.

ث- **الأبعاد الاقتصادية:** تعرض المؤلف إلى بعض الملامح الاقتصادية التي يمكن أن نستشف من خلالها مجموعة من النتائج الهامة في حركة التجارة عبر قوافل الحجيج ويمكن أن نجمل ذلك في مجموع من النقاط الآتية:

1- صور لنا الرحالة القاعدة الاقتصادية في حركة التجارة التواتية بحيث لا يمكن الخروج من البلاد التواتية دون التزود منها وهي تمنطيط التي كانت تعد العاصمة الاقتصادية للإقليم خلال القرن 12هـ/ 18م حيث يقول المؤلف عنها «...فخرجنا من بلادنا بعد صلاة الجمعة العاشر من جمادى الأخيرة ونزلنا مدينة تمنطيط إصفرار يومنا وأقمنا بها السبت ...»[5].

2- كما يشير المؤلف إلى المقايضة الاقتصادية التي حدثت بين الركب وسكان مدينة أبار الليبية حيث يقول عنها المؤلف «...واقمنا عندهم يوماً وخرج أهلها يتسوقون الركب رجالاً ونساءً وصبياناً بالتمر والزرع واالدجاج والخبز، ويأخذون منهم الحناء والكحل والخرق البالية وهي أعظم رغبتهم لقلة اللباس عندهم ...»[6].

---

[1] – عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، الرحلة، المصدر السابق، ص14.

[2] – نفسه، ص09.

[3] – يقول الشيخ عن الزحام، «... فلما توسطنا بعض أزقة المدينة كثر الزحام ...» ،ينظر: عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، الرحلة المصدر السابق، ص 15.

[4] – وفي هذا الصدد يقول الشيخ «... ولم اكتحل بنوم حتى قرب الفجر وابتدأ الناس المرور في الزقاق...»، ينظر: نفسه، ص16.

[5] – عبد الرحمان (بن عمر التنيلاني)، الرحلة، المصدر السابق، ص 02.

[6] – نفسه، ص 09.

3- عند وصول الركب إلى منطقة بندر النخيل القريبة من الناحية الشرقية إلى صحراء سيناء فالتقى الركب التواتي مع الركب الشامي الذي كان من جملة بضائعه الفواكه الشامية والثمار فتسوقه الركب التواتي وذلك عن طريق المقايضة[1].

رابعاً: الطريقة المتبعة في التحقيق:

اتبعتُ خلال تحقيق ودراسة لهذه الرحلة مجموعة من القواعد التي تُمكن القارئ من فهم غوامض الدراسة وتسهل عليه الاستيعاب والاطلاع بكل حيثيات ودقائق الرحلة ونوردها كالأتي:

1- عرض الرحلة تامة في شكل نص مستخلصة من النسختين وذلك بإتمام وتثمين لبعضهما البعض، ولم اعتمد على نسخة واحدة في هذه الدراسة وإنما حاولت جاهدا أن أضع نص الرحلة في شكله الحقيقي وذلك من خلال الجمع بين النسختين ،كما أن هذه التكميلات والنقائص سواء بالنسبة للنسخة الأولى أو الثانية موضح في الهامش

2- قابلت بين النسختين من حيث الألفاظ والمعاني والعبارات وغيرها من الفروقات الموجودة بينهما ووضحت ذلك في الهامش.

3- رسمت الألفاظ والحروف بالرسم الإملائي(الحديث) لأن الناسخان رسما بعض المصطلحات وفق الرسم القرآني مثل "تعلى"[2] وقد يكون ذلك نقلاً عن المؤلف وهدا وارد لأن الشيخ متأثر بالأسلوب القرآني ورسمه ويبدوا ذلك جلياً في كتابته.

4- تخريج الأحاديث الواردة في النص أو التي تفهم من سياق الكلام

5- تفسير وشرح المصطلحات المبهمة في النص والألفاظ الغريبة خاصة تلك التي استعملها المؤلف باللغة العامية مثل "القايلة"[3]

6- التعريف بالأماكن الجغرافية من المدن والقرى ومنابع المياه أو الأماكن المخصصة للرحلة التي مر بها المؤلف وقد انتهجت في التعريف بها عدم الإطناب مع الإحالة إليها في أهم المصادر والمراجع التي تحدثت عنها، وهناك بعض المناطق التي عرفها المؤلف أتخطها بعض الأحيان، وكل ذلك حسب ما أمكنني وتوفر لدي من مصادر ومراجع، مع العلم أن هناك بعض الأماكن التي لم تشر إليها المصادر أو أشارت إليها بمسميات أخرى، حاولت الرجوع في التعريف بها إلى الرحلات التي سلكت نفس الطريق الذي سلكه المؤلف .

7- التعريف بالعلماء والأعلام وبعض خصائصهم الثقافية الذين تعرضت لهم الرحلة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب التراجم والسير

---

1 - نفسه، ن2، ص06.

2 -عبد الرحمان (بن عمر التنيلاني)، المصدر السابق، ص 01

3 - نفسه، ص 07.

8- حاولتُ أن أضع عناوين جديدة في نص المخطوط وتجزئته إلى فقرات حسب الحدود الجغرافية المهمة والبارزة، والتي أشار إليها المؤلف بتواريخها وذلك قصد فك إبهام الرحلة وغوامضها وإعطائها صبغة منهجية تسهل على القارئ الاستيعاب والفهم ويجوز للمحقق ذلك[1]

الملاحق:

مخطوط:

رحلة عبد الرحمان بن إدريس التنلاني التواتي إلى الجزائر العاصمة

المؤلف:

عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن سيدي أحمد بن يوسف العثماني الأموي أصلا-أي من ذرية سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه-التنلاني التواتي دارا(ت**1233**هـ/**1817**م بمدينة سيو قافلا من رحلة حجية له).

مضمون المخطوط:

رحلة من توات إلى الجزائر(العاصمة الجزائرية اليوم) وهي رحلة لعام **1231**هـ/**1816**م ذكر فيها ما شاهده يومها من هجوم الإنجليز العسكري على الجزائر.

ملاحظة:

المخطوط لا يحمل عنوانا خاصا.

الخزانة الموجود بها:

مخطوط بدون رقم التصنيف بخزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي،كوسام،أدرار(توات)-الجزائر.

[1] معمر(شباب)، "**المناهج والأساليب الحديثة لتحقيق والترميم التراث المادي**"، مجلة الأثر، ع 4، الجزائر، مديرية الثقافة لولاية بشار، نوفمبر 2009م، ص 28

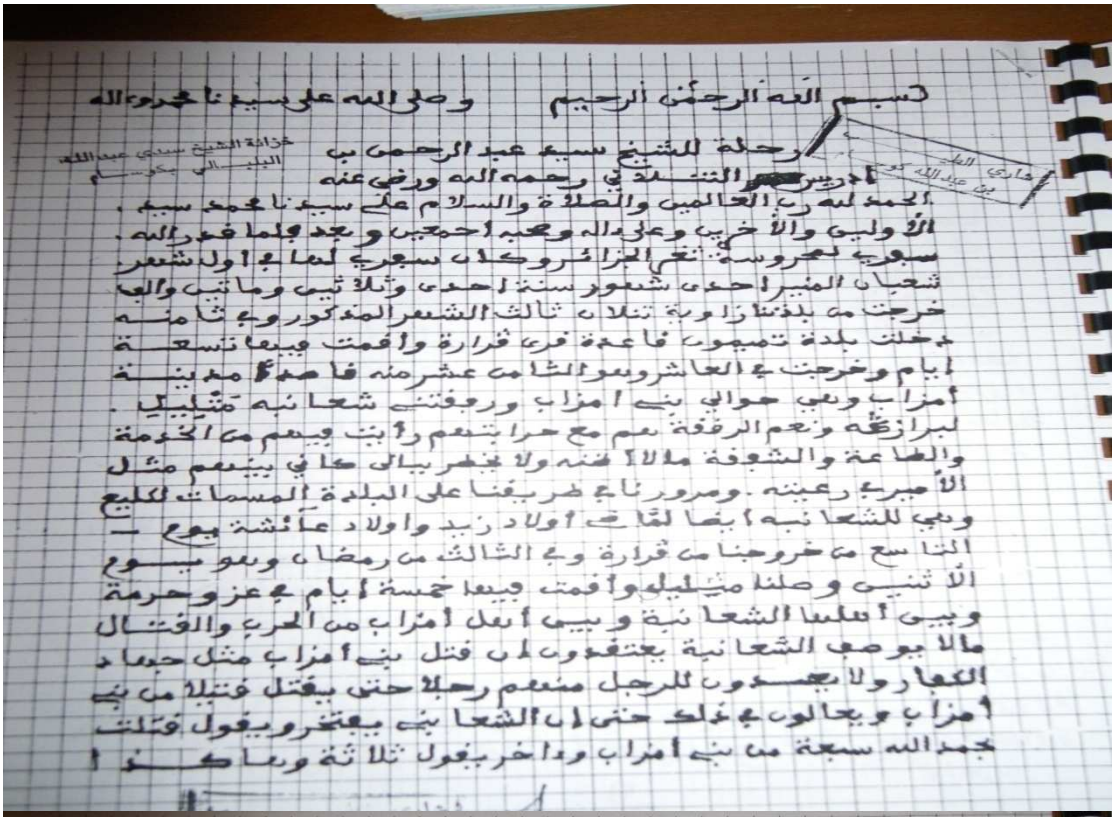

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن
إدريس التنلاني رحمه الله ورضي عنه

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد
الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فلما قدر الله
سبحانه وتعالى بخروجنا من الجزائر وكان سبعة أيام أول شهر
شعبان المنير إحدى وثمانون سنة إحدى وثلاثين ومائتين والف
خرجت من بلدتنا زاوية تنلان ثالث الشهر المذكور ودخلت
دخلت بلدة تميمون فأقمنا فيها قرارة وأقمت فيها تسعة
أيام وخرجت في العاشر ويوم الثامن عشر منه فأقمنا مدينة
أمزاب وبقي حوالي بني أمزاب ورفقتي شعانبه تمثيل
لبرازكه ونعم الرفقة نعم مع حرابتهم وأبت ويعم من الخدمة
والطاعة والشفقة مالا أعلمه ولا يظهر ببالي كما في بيتهم مثل
الأجير في عينه. ومرورنا على طريقنا على البلدة المسماة الكليع
وبقي للشعانبه أيضا لقاء أولاد زيد وأولاد عائشة يوم
التاسع من خروجنا من قرارة وفي الثالث من رمضان ويوم يوم
الاثنين وصلنا ميليلي وأقمت فيها خمسة أيام في عز وحرمة
وبين أهلها الشعانبة وبين أهل أمزاب من الحرب والقتال
مالا يوصف الشعانبة يعتقدون أن قتل بني أمزاب مثل جهاد
الكفار ولا يعدون للرجل مسلم رجلا حتى يقتل قتيلا من بني
أمزاب ويحالون في ذلك حتى أن الشعانبي يفتخر ويقول قتلت
بحمد الله سبعة من بني أمزاب وآخر يقول ثلاثة وهاكذا

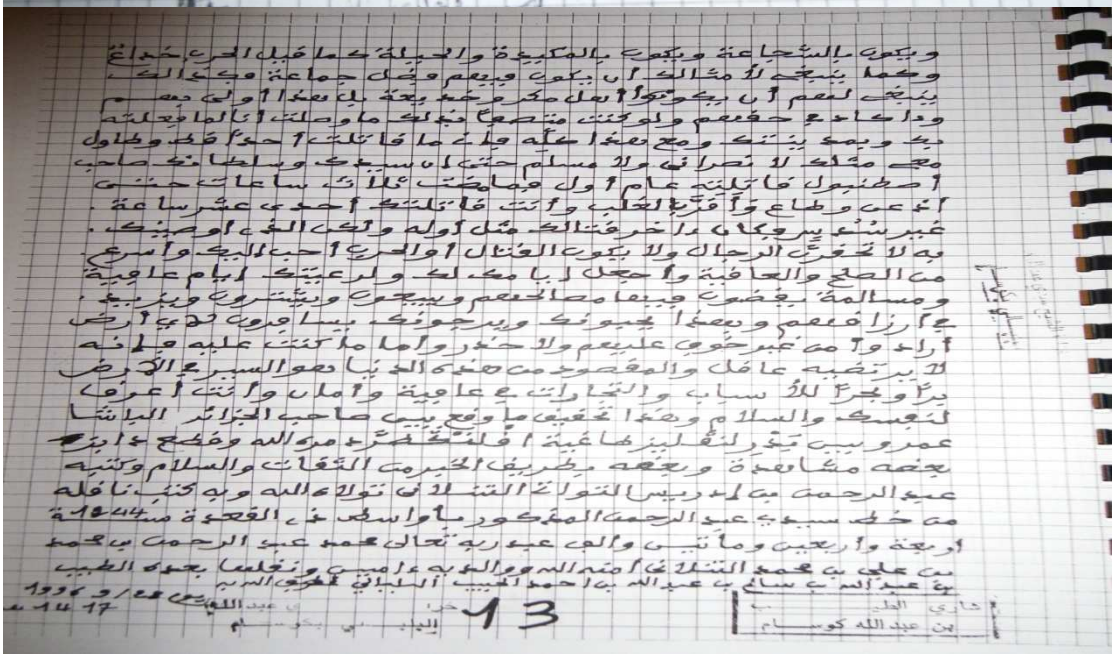

ويكون بالشجاعة ويكون بالمكيدة والحيلة في ما قابل الحرب خداع
وهما ينبغي لأمة الله أن يكون فيهم وفي كل جماعة وفي الملك
ينبغي لهم أن يكونوا أهل مكر وخديعة بل هذا أولى وهم
وداعاة حقهم ولو كنت متصلحا بذلك ما وصلت أنا لما وصلت
به وبمه بيننا ومع هذا حالة ما قاتلت أحدا قط وطاول
معه مدة لا تصرفي ولا مسلم حتى أن سيدي وباطنا صاحب
اصطنبول قاتلته عام أول فما بقيت عليه إلا ساعات حتى
أتوعن وطاع وأقر بالغلب وأنت قاتلته أحد عشر ساعة.
غير شيء سرقه لا ذاخرته لك مثل أوله وآخره أوصيك.
به لا تحرش الرجال ولا يكون القتال أو الحرب أحب إليك وأسرع
من الصلح والعافية وأجعل بابك لك ولرعيتك أيام عافية
ومسالمة يخصب فيها ماشيتهم ويسمنون ويتناسلون ويربحون
في أرزاقهم ويعطيهم الله ويرجوهم بيسا جرون في أرض
أراد وأمن غير خوف عليهم ولا حذر وأما ما كنت عليه فلا نه
لا يربنضبه عاقل والمقصود من هذه الدنيا دعوا السير في الأرض
بر أو بحر أو للأسباب والتجارات في عافية وأمان وأنت أعرف
لنفسك والسلام وهذا تخفيف ما وقع بيني صاحب الجزائر الباشا
عمر وبين تونس لتقليبه عليه فالله يطهره ويقطع دابره
بخصه مشاهدة وبعينه بطريق الخبر من الثقات والسلام وكتبه
عبد الرحمن بن إدريس التنلاني نقلا من خط سيدي عبد الرحمن المذكور وما اسطر في القعدة سنة
أربعة وأربعين ومائتين وألف عبد ربه تعالى محمد عبد الرحمن بن محمد
بن علي بن محمد التنلاني أمنه الله وإياه آمين ونقلها بجده الطيب
بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن أحمد الحبيب السلماني الحرش السري
1994 د/ 44 17

13

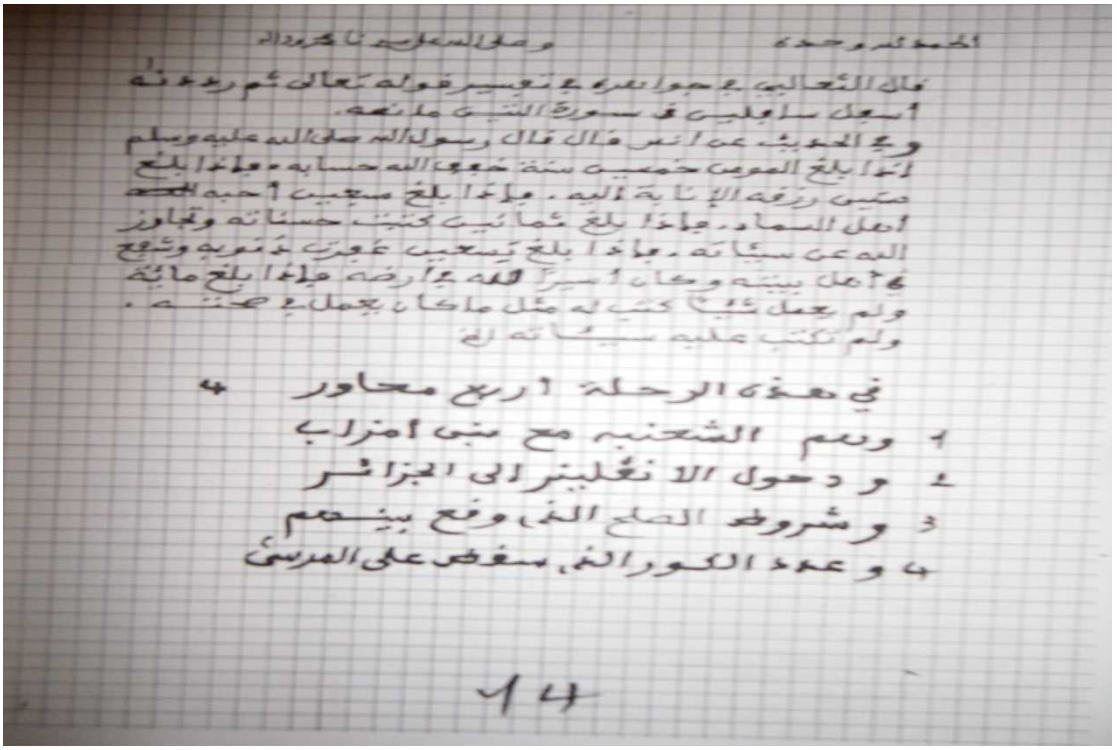

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال تعالى في جواب قدره في تفسير قوله تعالى ثم ردوا
أسعل سائلين في سورة النبأ ما نصه.
وفي الحديث عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا بلغ العمر خمسين سنة خفف الله حسابه، فإذا بلغ
ستين رزقه الإنابة إليه، فإذا بلغ سبعين أحبه الله
أهل السماء، فإذا بلغ ثمانين كتب حسناته وتجاوز
الله عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر له ما تقدم وشفع
في أهل بيته وكان أسيرا لله في أرضه فإذا بلغ مائة
ولم يعمل شيئا كتب له مثل ما كان يعمل في حسناته.
ولم تكتب عليه سيئاته.

في هذه الرحلة أربع محاور

1 وسم الشحنبة مع بني أمزاب
2 ورحول الانكليز الى الجزائر
3 وشروط الصلح التي وقع بينهم
4 وعدد الكور التي سقوط على المرسى

٧٤